كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثالث والعشرون

تحقيق

علي السباعي

إشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

قام بتحقيق هذا الجزء الأستاذ على السباعى ، وراجع أخباره وأشعاره على ما يقابلها من المخطوطات التى وصفت فى الجزء الأول من هذه الطبعة وقام بمراجعته لجنة من الأساتذة عبد الكريم العزباوى ومحمود محمد غنيم والشيخ حسن على عطية .

وأضيف إليه من التراجم والأخبار والأشعار — التى لم ترد فى طبعة بولاق ، ووردت فى ملحق برنو وفى الجزء المسمّى بالحادى والعشرين من طبعة الساسى — أخبارُ أبى حشيشة ، وأخبار عنان جارية الناطفى ، وأخبار الحسن بن وهب ، ووضعت فى أماكنها بحسب المخطوطات المعتمدة ، كما أضيف إليه بعض أخبار مروان بن أبى حفصة الأصغر ، مما لم يرد فى ترجمته فى الجزء الثانى عشر من طبعة دار الكتب .

وقام بعمل فهارسه الفنية الأستاذ على عبد المحسن .

ويلى هذا الجزء إن شاء الله الجزء الرابع والعشرون ، وأوله أخبار عبد الله بن أبى العلاء ، وبتمامه يتم كتاب الأغانى كلّه من هذه الطبعة .

والله الموفق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار نُصيْب الأصغر

نشأته

نُصيب مولى المهدىّ ؛ عبدٌ نشأ باليمامة ، واشتُرِىَ للمَهدىّ فى حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصيب مولى بنى مَروان ، فأعتقه ، وزوَّجه أمةً له يقال لها : جعفَرَة . وكناه أبا الحَجْناء ، وأقطعه ضَيْعةً بالسواد ، وعُمِّر بعدَه .

يمدح الرشيد

وهذه القصيدة يمدح بها هارون الرشيد ، وهى من جيّد شعره وفيها يقول :

خليلىَّ إنى ما يزالُ يشوقُنى ... قَطينُ الحَىِّ والظاعنُ المتحمِّلُ

فأقسمت لا أنسى ليالىَ مَنعجٍ ... ولا مأسَلٍ إذ منزلُ الحى مأسَلُ[1]

أمن أجل آياتٍ ورسمٍ كأنه ... بقيةُ وحْىٍ أو رداءٌ مُسَلسَلُ[2]

جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنه ... تحدُّر دُرٍّ أو جُمانٌ مُفصَّلُ

فيأيُّها الزنجىُّ مالكَ والصِّبا ... أفِقْ عن طِلابِ البِيضِ إن كنت تعقِلُ

فمثلك من أحبوشة الزِّنج قُطِّعت ... وسائلُ أسبابٍ بها يُتوسَّلُ[3]

قصــدنا أميرَ المؤمنين ودونَه ... مهامهُ مَوماةٍ من الأرض مَجْهَلُ

على أَرحبيَّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... ثمائلُها ممــا تُحَلُّ وتُرْحَلُ[4]

إلى ملكٍ صَلْتِ الجَبين كأَنه ... صَفيحَةُ مَسنون جلا عنه صَيقلُ[5]

---

(١) منعج : واد يدفع فى بطن فلج ، حدثت به واقعة من أيام العرب . مأسل : دارة من دارات العرب وذكرت فى شعر لبيد .

(٢) مسلسل : ردىء النسج كمهلهل . وفى هج : كتاب مسلسل .

(٣) أحبوشة : جماعة الناس ليسوا من قبيلة كالحباشة .

(٤) أرحبيات : نجائب منسوبة إلى أرحب ، فحل من فحولهم .

(٥) صلت : واضح .

إذا انبلَج البَابانِ والسترُ دونَه بَدَا مثلَ ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ
شريكانِ فينا منهُ عينٌ بَصيرة كَلوءٌ وقلبٌ حافظ ليسَ يغفُلُ
فما فاتَ عينيْه وعاهُ بقلبه فآخِرُ ما يرعى سواءٌ وأوّلُ
وما نازعت فينا أمورَكَ هفوةٌ ولا خَطلة فى الرأى والرأى يَخطَلُ
إذا اشتبهتْ أعناقُه بيَّنت له معارفُ فى أعجازه وهْو مُقبلُ
لئن نالَ عبدُ الله قبلُ خِلافةً لأنتَ من العهد الذى نِلتَ أفضلُ
وما زادكَ العهدُ الذى نلتَ بسطةً ولكن بتقوى الله أنتَ مُسربَلُ[1]
ورثتَ رسولَ الله عُضْوا ومَفصِلا وذا من رسول اللهِ عُضوٌ ومَفصِلُ
إذا ما دهتْنا من زمانٍ مُلمَّةٌ فليس لنا إلا عليكَ المعوَّلُ
على ثقةٍ منا تَحِنُّ قلوبُنا إليكَ كما كُنَّا أباكَ نؤمِّلُ

وهى قصيدة طويلة، هذا مختار من جميعها .

يبذر فى مال المهدى فيوثقه بالحديد

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بن مَهرُوية، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثنى أبى، قال:

وجَّه المهدىُّ نُصَيْبًا الشاعر مولاه إلى اليمن فى شراء إبلٍ مَهرِيَّة، ووجَّه معه رجلاً من الشيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألفَ دينار، قال: فمدَّ أبو الحجناء يدَه فى الدنانير يُنفقها فى الأكل والشرب، وشراء الجوارى والتزويج، فكتب الشيعِىُّ بخبره إلى المهدىّ، فكتب المهدىُّ فى حَمْلِه مُوثَقًا فى الحديد.

(١) فى جميع النسخ: «عهد الله» والصواب «عبد الله».

يستشفع بشعره إلى المهدى

فلمّا دخل على المهديّ أنشده شعرَه ، وقال :

تأوّبنى ثِقلٌ من الهمّ مُوجِـعُ ... فأرّق عينى والخَليُّون هُجَّعُ
هُموم تَوالتْ لو أطافَ يَسيرُها ... بِسَلْمَى لظلّتْ شُمُّها تتصدّعُ
ولـكنّها نيطتْ فَناء بحملها ... جَهيرُ المنايا حائنُ النفس مجزعُ(١)
وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حِندِسًا ... نخِلتُ دُجى ظلمائها لا تَقشَّعُ

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

إليكَ أميرَ المؤمنين ولم أجدْ ... سواك مُجيراً منكَ يُدنى ويَمنعُ
تلمّستُ هل من شافع لى فلم أجدْ ... سوى رحمةٍ أعطا كها اللهُ تَشفعُ
لئن جلّت الأجرامُ منى وأفظعتْ ... لَعفوُكَ عن جُرمى أجلُّ وأوسعُ
لئن لم تسعْنى يابنَ عمِّ محمد ... لما عجزتْ عنى وسائلُ أربعُ
طُبِعت عليها صبغةً ثم لم تزَلْ ... على صالح الأخلاق والدين تُطبَعُ(٢)
تغابيكَ عن ذى الذنبِ ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتى ويصنَعُ(٣)
وعفوكَ عمّن لو تكونُ جريمةٌ ... لطارتْ به فى الجوّ نكباءُ زَعزَعُ(٤)
وأنّك لا تنفكُّ تُنعِش عاثِراً ... ولم تعترضْه حين يكبو ويخْمَعُ(٥)
وحلمكَ عن ذى الجهل من بعدماجرى ... به عَنَقٌ من طائش الجهل أشنعُ(٦)
ففيهنّ لى إمّا شَفَعْن منافعٌ ... وفى الأربع الأولى إليهنّ أفزَعُ

(١) تراءى له الموت عيانا .
(٢) فى م : « خلقة » بدل « صبغة » .
(٣) فى ف : « ذى اللب » بدل « الذنب » .
(٤) فى س ، ب ، « جزيته » : بدل « جريمة »
(٥) يخمع : يعرج فى المشى ، وهو كناية عن التعثر .
(٦) : العنق نوع من السير

٢٧/٢٠

مُناصحتى بالفعل إن كنت نائياً … إذا كان دانٍ منك بالقول يَخدَعُ
وثانيةٌ ظنّى بك الخيرَ غائباً … وإن قلتَ عبدٌ ظاهر الغَشِّ مُسبَعُ[1]
وثالثةٌ أنى على ما هَوِيتَــه … وإن كثَّر الأعداء فىَّ وشنَّعوا
ورابعةٌ أنّى إليكَ يسوقُنى … ولاؤُك فمولاكَ الذى لا يُضيَّعُ
وإنى لمولاكَ الذى إن جفوتَه … أتى مستكينا راهباً يَتَضرَّعُ
وإنى لمولاكَ الضعيفُ فأَعْفِنى … فإنى لعفوٍ منكَ أهلٌ وموضعُ

فقطع المهدىّ عليه الإنشادَ ، ثم قال له : ومَنْ أعتقك يابن السوداء ! فأومأ بيده إلى الهادى ، وقال : الأمير موسى يا أمير المؤمنين ، فقال المهدىُّ لموسَى : أعتقتَه يابُنىَّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمضى المهدىُّ ذلك وأمر بحديده ، ففُكَّ عنه ، وخلعَ عليه عِدّةً من الخِلَعْ الوشْىِ والخزِّ والسوادِ والبياضِ ، ووصله بألفَىْ دينار ، وأمر له بجارية يقالُ لها : جعفرة جميلة فائقةٍ من رُوقة[2] الرقيق .

المهدى يقبل الشفاعة ويجيزه ويزوجه

فقال له سالم قيِّمُ الرقيق : لا أَدفعها إليكَ أو تعطِيَنى ألف دِرهم ، فقال قصيدتَه :

أآذنَ الحىُّ فانصاعوا بتَرحالِ … فهاج بينهمُ شوقى وبلبالى[3]

وقام بها بين يدى المهدىّ فلما قال :

ما زلتَ تبذل لىَ الأموالَ مجتهداً … حتى لأصبحتُ ذا أهلٍ وذَا مالِ
زَوَّجْتَنِى يابنَ خير الناس جاريةً … ما كان أمثالُها يُهدَى لأمثالى
زوَّجتَنى بضَّةً بيضاءَ ناعمةً … كأنَّهــا دُرَّة فى كفِّ لآلِ

(١) مسبع : خبيث .
(٢) روقه الرقيق : جمع رائقة ، أى حسان الرقيق .
(٣) فى هج : قد آذن الحى . بدل « أآذن الحى »

حتى توهَّمتُ أن اللهَ عجَّلَها ... يابنَ الخلائفِ لى من خيرِ أعمالِى

فسَألَنِى سالِمٌ ألفا فقلتُ له ... أنّى لىَ الألفُ ياقُبِّحتَ مِن سالِ!

—(1)أراد: من سائل، كما قالوا: شاكى السلاح وشائك(1)—

هيهاتُ أَلفُك إلّا أن أجىء بها ... من فضل مولًى لطيفِ المَنِّ مِفْضالِ

٥ فأمر له المهدىُّ بألف دينار ولسالم بألف درهم.

قال ابن أبى سعد: وحدثنى غير محمد بن عبد الله؛ أنه حُبس باليمن مدةً طويلةً، ثم أشخِص إلى المهدىّ، فقال وهو فى الحبس، ودخلتْ إليه ابنَتُه حَجْناءُ، فلما رأت قيوده بكت، فقال:

بكاؤه حين رأى بنته

لقد أصبحتْ حَجناءُ تبكى لوالدٍ ... بِدَرَّةِ عَين قلَّ عنه غناؤها

١٠ أحجناءُ صبراً، كلُّ نفس رهينةٌ ... بموتٍ ومكتوبٌ عليها بلاؤها

أحجناءُ أسبابُ المنايا بمرصدٍ ... فإلّا يعاجلْ غَدْوُها فمَساؤها

أحجناءُ إن أفلِتْ من السجن تَلْقَنِى ... حُتوفُ منايا لا يُرَدُّ قضاؤها

أحجناءُ إن أضحى أبوكِ ودلوُه ... تعرّت عُرًا منها ورثَّ رِشاؤها(2)

لقد كان يُدْلى فى رجالٍ كثيرة ... فيمتَح مَلأًى وهى صفرٌ دِلاؤها

١٥ أحجناء إن يصبحْ أبوكِ ونفسُه ... قليلٌ تمنِّيها قصيرٌ عَزاؤها(3)

لقد كان فى دنيا تفيَّأ ظِلُّها ... عليه ومجلوبٌ إليه بَهاؤها

قال ابن أبى سعد: ولما دخل نُصَيْب على المهدىّ مُقَيَّداً رَفَدَه ثمامَةُ بن الوليد العبسىّ

(1-1) تكملة من هج.

(2) فى م، ا، ف: «يصبح» بدل «أضحى».

٢٨/٢٠

عنده واستعطفه له ، وسوّغ عذره عنده ، ولم يزل يرفُقُ به ، حتى أمر بإطلاقه ، وكان نُصَيب فى متقدّم الأيام منقطعا إلى أخيه شَيبة فقال فيه :

يمدح ثمامة العبسى

أثمامُ إنك قد فككت ثُماما حَلَقا برين من النُّصيبِ عظاما

حَلَقًا توسّطها العمــودُ فلزّها لولا ثمامـــةُ والإلهُ لداما [1]

اللهُ أنقذنى به من هُوّةٍ تيهاء مُهلكةٍ تكونُ رِجاما

فلأشكرنّك ياثمامةُ ماجرتْ فِرقُ السحاب كَنَهْورا ورُكاما [2]

ولأشكرنّك ياثمامةُ مادعتْ وُرقُ الحمام على الغُصون حَماما

وخلفْتَ شيبةَ فى المقام ولا أرى كمقام شيبةَ فى الرجال مَقاما

أغنَى إذا التمس الرجالُ غَنَاءه فى كلّ نازلةٍ تكون غَراما

وأعمَّ منفعةً وأكرمُ حائطا تَهدِى إليه تحيَّةً وسلاما [3]

لا يبعدَنّ ابنُ الوليد فإنه قد نال من كل الأمورِ جِساما

لو مِن سوى رَهط النبيِّ خليفةٌ يُدعَى لكان خليفةً وإماما

يبكى شيبة أخا ثمامة

قال ابن أبى سعد : ودخل نصيب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة ، وهو يفرّق خيلَه على الناس ، فأمر له بفرس منها ؛ فأبى أن يقبله ، وبكى ، ثم قال :

(١) لزها : ألصقها ، وليس من الأدب الجمع بين الله وثمامة وتقديم ثمامة على الله .

(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب « فوق » بدل « فرق » . كنهورا : قطعا من السحاب ، وفى س ، ب : « جهاما » بدل « ركاما » وهو سحاب لا يمطر ، وليس هذا مناسبا للمدح . والركام : المتراكم المجتمع .

(٣) فى مج : « أكثر » بدل « أكرم » .

ياشيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لى شَجَنًا   آليتُ بعدكَ لا أبكى على شَجَنِ

أضحتْ جيادُ أبى القعقاع مُقْسَمَةً   فى الأقربين بلا مَنٍّ ولا ثَمنِ[1]

ورَّثْتهم فتعزَّوا عنك إذ وَرِثوا   وما ورِثْتُك غيرَ الهم والحَزَنِ

فجعَل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهله وإخوانه يبكون .

٥ وشَيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهدىّ .

اليزيدى يهجو شيبة

وفى شَيبة يقول أبو محمد اليزيدىّ يهجوه ، وكان عارضَه فى شىء من النحو بحضرة المَهدىّ :

عِشْ بجَدٍّ فلن يضرَّك نَوْكٌ   إنما عيشُ من ترى بالجُدودِ

عِشْ بجَدٍّ وكن هبنَّقَةَ القيــــسىَّ جهلا أو شَيبةَ بنَ الوليد

١٠ أخبرنا بذلك محمدُ بنُ العباس اليزيدىّ عن عمه عن أبيه .

أخبرنى عمى قال : حدثنا القاسم بن محمد الأنبارىّ ، قال : حدثنا عبد الله ابن بشر البَجَلىّ عن النضر بن طاهر قال :

يهجو من لا يجيزه

أتى نُصيبٌ مولى المهدىّ عبدَ الله بن محمد بن الأشعث ، وهو يتقلَّد صنعاء للمهدىّ ، فمدحه ، فلم يُثِبه ، واستكساه بُردا فلم يَكسُه ، فقال يهجوه :

١٥ سأكسوكَ من صنعاءَ ما قد كسوتَنِي   مقطَّعةً تَبقى على قِدَمِ الدهرِ[2]

إذا طُوِيتْ كانتْ فُضوحُكَ طَيَّها   وإن نُشرتْ زادتكَ خِزيا على النَّشرِ[3]

---

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : ابن قعقاع . بدل « أبى القعقاع » كذا فى ف وفى س ، ب : « بلا حمد » . بدل « بلا من »

(٢) ب ، س : « كسوتنى » ، والمثبت من ف .

(٣) كذا ، فى ف ومعناها « الفضيحة » وفى س ، ب : « وضوحك »

أغرّك أن بيّضتَ بيتَ حمامةٍ وقلت: أنا شبعانُ منتفجُ الخصْرِ[1]

لقد كنتَ فى سَلْحٍ سَلَحْتَ مخافةَ الـ حرُورِيّة الشّارين داعٍ إلى الضرّ[2]

ولـكنهُ يأبى بك البُهر كُلّمَا جريتَ مع الجارى وضيقٌ من الصدرِ[3]

٢٩ / ٢٠

قال النضرْ: وكان النُّصيب مَلعونا، هَجّاء، فأهدى للربيع بن عبد الله بن الربيع الحارثى فَرَسًا فقبِله، ثم ندم خوفا منْ ثِقَل الثواب، فجعل يَعِيب الفرس، ويذكر بُطْأَه وعجْزه، فبلغ ذلك النُّصيب، فقال:

مساجلة حول فرس

أعبتَ جوادنا ورغبتَ عنه وما فيه لعمرُكَ من مَعابِ

وما بجوادنا عجزٌ ولـكن أظنُّك قد عجزتَ عن الثوابِ

فأجابه الربيعُ فقال:

رُوَيدَك لا تـكن عَجِلاً إلينا أتاك بما يسوءك من جوابِ

وجدتُ جوادَكم فَدْما بَطيئا فما لَـكُمُ لَدينا من ثَوابِ[4]

فلما كان بعد أيام رأى النُّصيبُ الفرسَ تحتَ الربيع فقال له:

أخذتَ مُشَهّرًا فى كل أرض فعجّلْ يا ربيعُ مشهّراتى[5]

يمانيةً تخـيّرها يمـانٍ منمنَمةَ البيوت مُقطّعاتِ

(١) منتفج: مرتفع، والبيت كناية عن دعته وسمنته واغتراره بحالته.

(٢) الحرورية: طائفة من الخوارج فى اليمن، كانت تتبع نجدة بن عويمر، وكان فى البيت تامة، وداع خبر مبتدأ مقدر.

(٣) البهر: تتابع النفس من شدة الجرى وانقطاعه من الإعياء.

(٤) كذا فى ف وفى س، ب: «خريت مع الخارى». بدل «جريت مع الجارى»

(٤) الفدم: الغليظ الجافى الأحمق، وفى س، ب: «قدما»، تصحيف.

(٥) كذا فى ف وفى س، ب: «أجدت» بدل «أخذت»

وجاريةً أضلّت والديْها مولدةً وبيضاً وافياتِ
فعجِّلْها وأنفِذْها إلينا ودعْنا من بنَاتِ التُّرّهات (١)

فأجابه الربيعُ فقال :

بعثتَ بمقرِفٍ حَطِمٍ إلينا بطيء الحُضْر ثم تقولُ : هاتِ (٢)

٥ فقال النُّصيب :

فى سبيل الله أودى فَرَسى ثم عُلِّلْتُ بأبيات هَزَجْ
كنتُ أرجو من ربيع فرجاً فإذا ما عندَه لى من فَرَجْ

قال : ثم خرج الرَّبيعُ إلى مكة ، وقد كان وعد النُّصيبَ جاريةً ، فلم يعطه ، وأمر ابنه أن يدفع إليه ألفى دِرهم ففعل ، فقال النُّصيب :

بيض الدراهم بدل بيض الغوانى

١٠ ألا أبلغا عَنِّى الربيعَ رِسالةً ربيعَ بنى عبد المَدانِ الأكارمِ
أعزّتْ عليكَ البيضُ لما أرغتُها فرُغتَ إلى إعداد بِيض الدراهم (٣)
ألم تر أنى غيرُ مستطرَفِ الغِنى حديث وأنّى من ذُؤابة هاشِمِ ؟ (٤)
وأنك لم تهبطْ من الأرض تلعةً ولا نجوةً إلا بعهدى وخاتَمِى

قال : ثم قدم الربيعُ فأهدى إلى دُفافة بن عبد العزيز العَبسىّ طبق تمر ، فقال

١٥ فيه دُفافة :

---

(١) الترهات : الأباطيل ومفردها ترهة .
(٢) كذا فى ف والمقرف ما أمه عربية لا أبوه ، وفى س ، ب : «بمقرب» بدل « بمقرف » .
حطم : متكسر ، والحطم داء فى قوائم الدابة والحضر : شدة عدو الفرس .
(٣) أرغتها : طلبتها ، . رغت : ملت وحدت .
٢٠ (٤) كذا فى ف ، م ، أ ، وفى س ، ب : « مستطرق » بدل « مستطرف »

شعر حول طبق تمر

بعثتَ بتمرٍ فى طُبيقٍ كأنما بعثتَ بياقوتٍ توقَّدَ كالجمر
فلو أن ما تُهدِى سنيًّا قبلتُه ولكنما أهديتَ مثلَك فى القدر
كأنَّ الذى أهديتَ من بُعد شُقَّةٍ إلينا من المُلْقَى على ضِفَّة الجِسْر

فأجابه الربيعُ فقال :

سل الناسَ إما كنتَ لابدَّ طالبًا إليهم بألا يحملوك على القَدْرِ
فإنك إن تُحْمَلْ على القَدْر لاتنل يدَ الدهر من برٍّ فتيلا ولا بَحرِ
لقد كنتَ منى فى غديرٍ وروضة وفى عَسل جمٍّ وما شئتَ من خمر [1]
وما كنتُ منَّانا ولكنْ كفرْتنى وأظهرتَ لى ذمًّا فأظهرتُ من عذرى [2]
لعَمْرى لقد أُعطيتَ ما لستَ أهلَه ولا أهلَ ما يُلْقَى على ضِفَّة الجِسْرِ

فبلغتْ أبياتهما نُصيبا ، فشمت بالربيع ، وقال فيه هذه القصيدة :

رضيتُكما حرصًا ومنعا ولم يكن يَهيجُكما إلا الحقيرُ من الأمر
متى يجتمعْ يوما حريصٌ ومانع فليس إلى حمدٍ سبيلٌ ولا أجرِ
أحارِ بن كعبٍ إنّ عبسًا تغلغلَتْ إلى السيرِ من نجران فى طلب التَّمْرِ
فكيف ترى عبسًا وعبسٌ حريصةٌ إذا طمِعتْ فى التمر من ذلك العُبْر [3]
لقد كُنتما فى التمر لله أنتما شبيهين بالمُلقى على ضِفَّة الجِسرِ

يرتجل مطولة فى مدح الفضل بن الربيع

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيد النحوىّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه :

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : « تمر » بدل « خمر »
(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « منا » . بدل « ذما »
(٣) العبر من الشىء : الكثير

أنّ النُّصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلِّما ، فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه ، فهم يُنْشِدونه ، ويأمرلهم بالجوائز ، ولم يكن امتدحه ، ولا أعدّ له شيئا . فلما فرغوا — وكان يُرَوّى[١] قولا فى نفسه — استأذن فى الإنشاد ، ثم أنشدَ قصيدته التى أولها قَـولُه :

يمدح الفضل بن يحيى

طرقتْك ميّـةُ والمزار شَطِيب ... وتُثيبكَ الهجرانَ وَهْى قريبُ[٢]

٥

لله ميـةُ خُـلَّةً لو أنَّهـا ... تجزى الوِداد بوُدِّها وتُثيبُ

وكأنّ ميّـةَ حين أتلع جيدُها ... رشأٌ أغنُّ من الظبـاء ربيبُ

نصفان ما تحت المؤزَّر عاتكٌ ... دِعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ[٣]

ما للمنـازل لا تـكاد تجيبُ ... أنى يُجيبكَ جندلٌ وجَبوبُ[٤]

جادتْك من سَبَل الثريا دِيمـةٌ ... ريّا ومن نَوء السِّماك ذَنوبُ[٥]

١٠

فلقد عهدتُ بك الحِلالَ بغبطة ... والدهر غضٌّ والجَنابُ خصيبُ

إذ للشباب علىَّ من وَرق الصِّبا ... ظِلٌّ وإذ غُصنُ الشباب رطيبُ

طربَ الفؤادُ ولاتَ حين تطرُّب ... إن الموكَّل بالصِّبا لَطروبُ

وتقول ميّـةُ ما لِمثلكَ والصِّبا ... واللون أسودُ حالكٌ غِرْبيبُ ؟

شَابَ الغرابُ وما أراكَ تَشيبُ ... وطلابُكَ البيضَ الحسانَ عجيبُ

١٥

أعلاقةً أسبابهُنّ وإنّمَا ... أفنانُ رأسكَ فُلفُـل وزَبيبُ[٦]

---

(١) كذا فى النسخ ولعلها : يزور قولا فى نفسه ، أى يعده ويهيئه .

(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب ، مج « وتنئك بالهجران » وفى المهذب : « ونأتك بالهجران » .

(٣) العاتك : الخالص من الألوان الحمر من الطيب .

(٤) جبوب : وجه الأرض الصلب .

٢٠

(٥) كذا فى ف وفى س ، ب : « ريان من » . بدل « ريا من » . وفى س ، ب : « السماء » بدل : « السماك »

(٦) الأسباب : جمع سبب ، والمراد : كيف تهيم بذوات الشعور المرسلة وأنت جعد الشعر !.

لا تهزئى منى فَرُبَّتَ عائبٍ ... مالا يعيبُ الناسَ وهو معيبُ

ولقد يصاحِبُنى الكرامُ وطالما ... يسمو إلىَّ السيِّدُ المحجُوبُ

وأجُرُّ من حُلَل الملوكِ طَرائفا ... منها علىَّ عصائبٌ وسَبيبُ[1]

وأُسالبُ الحسناءَ فضلَ إزارها ... فأصورُها وإزارُها مسلوبُ[2]

وأقول منقوح البدِىّ كأنّه ... بردٌ تنافسه التِّجارُ قَشيبُ[3]

يقولُ فيها فى مدح الفضل :

والبرمكىُّ إذا تقارب سنُّه ... أو باعدَته السنُّ فهو نجيبُ[4]

خِرقَ العطاء إذا استهلَّ عطاؤُه ... لا مُتبعٌ منًّا ولا محسوبُ

يا آل برمكَ ما رأينا مثلَكمْ ... ما منكمُ إلا أغرُّ وَهوبُ

وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتَهُ ... لجلاله إنَّ الجليلَ مَهيبُ[5]

قاد الجيادَ إلى العِدَا وكأنها ... رَجْلُ الجراد تَسوقهنّ جَنُوبُ

قُبًّا تُبارِى فى الأعنَّة شُزَّبا ... تَدَعُ الحُزونَ كأنهنَّ سهُوبُ[6]

من كل مضطرِب العِنان كأنه ... ذِئب يبادرُه الفريسةَ ذِيبُ

تهوِى بكلِّ مغاورٍ عاداتُه ... صِدقُ اللقاء فما لَه تكذيبُ

---

(١) سبيب : جمع سبيبة وهى شقة رقيقة من الثياب من أى نوع كان ، وقيل من الكتان خاصة .

(٢) أصورها : أميلها .

(٣) البدى : البديهة . ومنقوح الكلام ، أى مهذبه ومحرره . وفى هج : مقترح الكلام .

(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : « وإن » بدل « إذا » .

(٥) كذا فى ف وفى س ، ب : « هيبة » . بدل « هبته » وفى ب ، س ، « الجلال » بدل « الجليل »

(٦) قبا : ضوامر ، مفرده أقب أو قباء ، شزبا : خشنة يابسة ، جمع شازب

حتى صَبَحن الطالبىَّ بعارضٍ فيـــه المنايا تَغْتَدِى وتئُوبُ
خاف ابنُ عبد الله ما خوَّفته لجفاكَ ثم أتاك وهو مُنيبُ
ولقد رآكَ الموتَ إلا أنَّه بالظنِّ يُخْطِىء مرة ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسه فنجا بها أجلٌ إليه يَنتهى مكتوبُ
٥ فكسوتَه ثوبَ الأمان وإنَّه لا حبلُه واهٍ ولا مقضوبُ[(١)]
شِمنا إليكَ مَخيلةً لا خُلَّبًا في الشَّيم إذ بعضُ البروق خَلوبُ
إنَّا على ثِقةٍ وظنٍّ صادقٍ مِمَّا نؤمِّله فليسَ نَخيبُ

يجيزه الفضل فيشكره شعرا

قال : فاستحسنَها الفضلُ ، وأمر له بثلاثين ألفَ دِرهم ، فقبَضها ، ووثَب قائمًا ، وهو يقول :

١٠ إنى سأمتدحُ الفضلَ الذى حُنِيَت منّا عليه قُلوبُ البِرِّ والضِّلَعُ
جاد الربيعُ الذى كنا نؤمِّلُه فكلْنا بربيع الفضلِ مرتَبعُ
كانت تطولُ بنا فى الأرض نُجعتُنا فاليوم عنه أبى العباس نَنْتَجِعُ
إن ضاق مذهبُنا أو حلّ ساحتَنا ضَنكٌ وأزْم فعند الفضلِ متَّسَعُ[(٢)]
ماسلَّم اللهُ نفسَ الفضل من تلَفٍ فما أبالى أقام الناسُ أم رَجعُوا
١٥ إن يمنعوا ماحوتْ منا أكفُّهُمُ فلن يضرَّ أبا الحجناء مامَنَعُوا
أوحَلَّئُونا وذادوا عن حياضِهِم يومَ الشروع ففى غُدْرانكَ الشُّرَّعُ[(٣)]
يا ممسكا بِعُرَا الدنيا إذا خُشِيَت منها الزلازلُ والأمرُ الذى يقعُ

---

(١) فى ف وهج : فكسوته ثوب الأمان بذمة : لا حبلها واه ...
(٢) أزم : شدة : من أزم العام يأزم : اشتد قحطه .
٢٠ (٣) حلئونا : منعونا الشرب .

قد ضرّستْك الليالى وهى خالية وأحكَمتْك النهى والأزلَمُ الجَذَعُ[1]
فغادرا منك حَزناً عن مُعاسرةٍ سهلَ الجنابِ يسيراً حين يتَّبعُ[2]
لم يفتلِتْك نقيراً عن مُخادعة دَهْىُ الرجال وللسؤالِ تنخدعُ[3]
فأنت مصطلِحٌ بالملك تحمله كما أبوك بثقل المُلك مُضطلِعُ[4]

يمدح زبيدة فى موسم الحج

قال ابن أبى سعد : لما حجّتْ أم جعفر زُبيدةُ لَقِيَها النُّصيب ، فترجّل عن فرسه وأنشأ يقول : ٥

سيستبشر البيتُ الحرامُ وزمزمٌ بأمّ ولىِّ العهدِ زينِ المواسمِ
ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنها ستحمل ثِقل الغُرم عن كل غارمِ[5]
بنو هاشم زينُ البرية كلِّها وأمُّ ولىِّ العهد زينٌ لهاشمِ
سليلةُ أملاكٍ تفرّعت الذُّرى كرامٍ لأبناء الملوك الأكارمِ ١٠
فو الله ماندرى : أفضلُ حديثِها عليهم به تسمو أم المُتقادمِ
يظنّ الذى أعطتْه منها رغيبةً يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

٣٢ / ٢٠

فأمرتْ له بعشْرة آلاف دِرهم وفرس ، فأعطيَه بلا سرج ؛ فتلقّاها لما رحلتْ وقال :

لابد للفرس من سرج ولجام

لقد سادتْ زُبيدةُ كلَّ حىٍّ وميْتٍ ماخلا الملكَ الهُماما ١٥
تُقًى وسماحةٌ وخلوصُ مَجد إذا الأنسابُ أخلصتِ الكراما

---

(١) الأزلم الجذع : معناهما الدهر الكثير البلايا الذى لايهرم .
(٢) فى ب ، س « عن معشرة »
(٣) دهى الرجال : مصدر دهى كالدهاء ، وهو جودة الرأى والبصر بالأمر .
(٤) كذا فى ف وفى ب ، س : « المسك » بدل « الملك » ٢٠
(٥) المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

إذا نزلتْ منازلَها قريشٌ ... نزلتِ الأنفَ منها والسَّناما

بلغتِ من المفاخر كلَّ فخرٍ ... وجاوزْتِ الكلامَ فلا كلاما

وأعطيتِ اللُّهى لكنَّ طِرْفى ... يريد السَّرجَ منكم واللِّجاما

فأمرت له بسَرج ولِجام .

الحجناء ابنته تنشد المهدى

٥ قال ابنُ أبى سعد : خرج المهدى يتنزه بعيسى باذ[1] ، وقدم النُّصيبُ ، ومعه ابنتُه حجْناء ، فدخل على المهدىّ ، وهى معه ، فأنشدته قولها فيه :

رُبَّ عيش ولذةٍ ونعيم ... وبهاء بمشرِق المَيْدانِ

بسط اللهُ فيه أبهى بِساط ... من بَهار وزاهر الحَوْذانِ[2]

ثم من ناضرٍ من العُشْب الأخْــضَرِ ... يزهو شقائقَ النُّعمانِ[3]

١٠ مدَّه الله بالتَّحاسين حتى ... قَصَرت دون طوله العَينانِ[4]

حُفِّفَتْ حافتاه حيثُ تَناهى ... بخيامٍ فى العَين كالظُّلْمانِ

زيَّنوا وسطَها بطارمةٍ مِثْـ ... ـلِ الثريَّا يَحُفُّها النَّسرانِ[5]

ثم حَشْوُ الخيام بيضٌ كأمْثا ... لِ المَها فى صَرائم الكُثْبانِ[6]

---

(١) عيسى باذ : محلة كانت بشرق بغداد ومعنى باذ عمارة : فكأن معناها عمارة عيسى وهو عيسى بن المهدى.

١٥ (٢) بهار : نبت طيب الرائحة . الحوذان : بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر طيب الرائحة أيضاً .

(٣) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « يزهى » .

(٤) التحاسين : جمع تحسين وهو ما وضع للزينة .

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، معرب .

(٦) صرائم الكثبان : جمع صريمة ، وهى قطعة من الرمل .

يتجاوبْنَ في غِناء شَجِيٍّ أَسْعِدَانى يا نخلَتَىْ حُلوانِ[1]
فبقصرِ السلام من سَلَّم اللـــهُ وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنّ أبهى عنده من شَوادِنِ الغِزْلانِ[2]
يالَه منظراً ويومَ سرورٍ شهدتْ لذّتيه كلُّ حَصَانِ

فأمر لها المهدىّ بعشرة آلاف دِرهم ، وله بمثلها ؛ قال : ثم دخلت الحجناء على ٥
العبّاسة بنت المهدى ، فأنشدتها تقول :

الحجناء تمدح العباسة بنت المهدى

أتيناكِ ياعباسةَ الخير والحيا وقد عَجَفَتْ أُدْمُ المهارى وكَلّتِ[3]
وما تركتْ منا السُّنونَ بقيةً سوى رِمَّةٍ منا من الجَهد رَمّتِ
فقال لنا من ينصحُ الرأىَ نفسَه وقد ولّت الأموالُ عنا فقلّتِ
عليكِ ابنةَ المهدىّ عُوذى ببابها فإن محلّ الخير فى حيث حلّتِ ١٠

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطِيب ، فقالت : ٣٣/٢٠
أغنيتِنِى يابنةَ المهدىِّ أىَّ غِنًى بأعجرين كثيرٌ فيهما الوَرَقُ
— أى : اغنيتِنى على عقب ما أغنانى أخوكِ . بأعجَرين : بكيسين —
من ضرب تسعٍ وتسعينٍ مُحكّكةٍ مثلِ المصابيح فى الظّلماء تأتلِقُ

(١) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «يتجارين» بدل «يتجاوبن» ، ونخلتا حلوان : يطلق هذا الاسم على ١٥
جملة ، قرى والمراد هنا حلوان العراق ، وهى فى آخر السواد مما يلى بغداد شرقا . وهذا الشطر أول
قصيدة لمطيع بن إياس الليثى من أهل فلسطين قال :
أسعدانى يا نخلتى حلوان وأبكيانى من ريب هذا الزمان
واعلما أن ريبة لم يزل يفر ق بين الألاف والجيران
(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « شوارد » بدل « شوادن » ٢٠
(٣) أدم : جمع أدماء ، أى لونها مشرب بياضا أوسوادا .

أما الحسودُ فقد أمسى تغيُّظه غمًّا وكادَ برَجْع الرِّيق يختنِقُ
وذوالصداقة مسرورٌ بنا فَرِحٌ بادى البِشارة ضاحٍ وجهُه شَرِقُ[1]

وقال ابن أبى سعد :

يمدح إسحاق بن الصباح

كان إسحاق بن الصباح الأشعثى صديقاً للنُّصيب ، وقدم قدمة من الحجاز ، فدخل على إسحاق ؛ وهو يهب لجماعة وردوا عليه بُرًّا وتَمراً ، فيحملونه على إبلهم ويمضون ، فوهب لنصيب جارية حسناء يقال لها : مَسرورة ، فأردفها خلفَه ،ومضى وهو يقول :

إذا احتقبوا بُرًّا فأنتِ حَقيبتى من البشَريَّاتِ الثقال الحقائبِ[2]
ظفرتُ بها من أشعثىٍّ مهذَّبٍ أغرَّ طويلِ الباع جمٍّ المواهبِ
فدًى لكَ يا إسحاق كلُّ مبخَّلٍ ضجورٍ إذا عضَّت شِدادُ النوائبِ
إذا ما بخيلُ القوم غيَّب مالَه فمالُك عِدٌّ حاضرٌ غيرُ غائبِ[3]
إذا اكتسب القومُ الثَّراء فإنَّما ترى الحمدَ غُنْماً من كريم المكاسبِ

وقال فيه أيضاً :

فتًى من بنى الصَّبَّاح يهتزُّ للنَّدى كما اهتزَّ مَسنونُ الغِرار عتيقُ
فتى لايذُمّ الضيفُ والجارُ رِفْدَه ولا يجتويه صاحبٌ ورَفيقُ[4]
أغرُّ لأبناء السبيل مَوارِدٌ إلى بيته تَهديهمُ وطريقُ

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : «لنا» بدل «بنا» .
(٢) كذا فى ف وفى س ، ب : «الشرفيات» . بدل «البشريات»
(٣) كذا فى ف ، وفى س ، ب «المال» بدل «القوم» فمالك عد . أى كثير .
(٤) يجتويه : يكرهه .

وإن عُدَّ أنسابُ الملوكِ وجدتَه إلى نَسب يعلوهُمُ ويَفوقُ
فما فى بنى الصَّبَّاح إن بَعُد المَدَى على الناس إلا سابقٌ وعَريقُ
وإنى لِمَنْ شاحَنْتُمُ لمُشاحِنٌ وإنى لِمَنْ صادقتمُ لصَديقُ

قال : وكان النُّصيبُ إذا قَدِم على المَهدىّ استهداه القوّادُ منه ، وسألوه أن يأمره بزيارتهم ، فكان فيمن استزاره خُزَيمة بن خازم ، فوصله وحمله ، وقال فيه : ٥

يمدح خزيمة بن خازم

وجدتُك يا خُزَيمةُ أريحِيًّا بما تحوى وذا حَسَبٍ صَميمِ
تميمٌ كانَ خيرَ بنى معدٍّ وأنت اليومَ خيرُ بنى تميمِ
سوى رهط النبىِّ وهم أديمٌ وأنت قُدِدْتَ من ذاك الأديمِ

وقال فيه أيضاً :

يا أفضلَ الناسِ عُودا عند مَعْجَمِهِ إذا تَفاضلَ يوما مَعْجَمُ العُودِ ١٠
إنى لواحدُ شعرٍ قد عُرفتُ به وذا خزيمةُ أضحى واحدَ الجودِ
إن يعطكَ اليوم معروفا يعِدك غداً فأنت فى نائل منه وموعودِ[1]
وقد رأينا تميما غير مُكْرهَةٍ ألقَتْ إليك جميعاً بالمقاليدِ
فأنت أكرمُها نفساً وأفضَلُها إنّ الصناديدَ أبناء الصناديدِ

٣٤ / ٢٠

شعره فى جعد

قال : وكان فى غزاة سَمالو[2] مع المهدىّ ، فوقف به فرسُه ، ومرَّ به جَعْدٌ مولى عبدالله ١٥ ابن هشام بن عمرو ، وبين يديه فرس يُجنَب[3] فقال له : قد ترَى قيام فرسى تحتى ، فارْدُدْ إلىَّ جَنِيبَك حتى يتروّح فرسى ساعة ، فسكَتَ ، ولم يُجنْبه فقال فيه :

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : « على ثقة » بدل « يعدك غدا » .
(٢) سمالو : من ثغور الشأم قرب المصيصة وطرسوس ، وأصلها بالصاد ، ولما أنزل أهلها ببغداد سموا موضعهم بالسين . ٢٠
(٣) فرس يجنب : يقاد إلى آخر .

أنادي بأعلى الصوتِ جَهْداً وقد يَرَى مكانى ولكن لا يُجيبُ ويَسْمَعُ
ولم يرنى أهلا لحُسْنِ إجابة ولا سُوئِها إنى إلى الله أرجِعُ
فلو أنَّنى جازيتُ جَهْداً بفعلِهِ لقد لاح لى فيه من الشعرِ مَوضعُ
ولكنَّنى جافيتُ عنهُ لِغيره بحُسْن الذى يأتى إلىَّ ويَصْنعُ
رأيتك لم تحفظ قرابَةَ بيننـا وما زالتِ القُربى لدى الناسِ تَنفعُ

قال : وسأَلَ عُبيدَ الله بن يحيى بن سليمان مركباً ، فأعطاه إياه ، وجعل معه شريكاً له فيه ، فقال :

· لا يريد شريكا

لقد مدحتُ عبيدا إذ طَمِعتُ بِهِ وقد تملَّقتُهُ لو ينفعُ الملَـقُ
فعاد يسأل ما أصبحتُ سائلَه فكلُّنا سائل فى الحِرْص مُتَّفِقُ
أحينَ سار مديحى فيكمُ طُرُقًا وحيث غنَّتْ به الرُّكبانُ والرُّفَقُ ١٠
قطعتَ حبلَ رجاء كنتُ آمُلُه فيما لديكَ فأضحى وهو مُنحذِقُ[(1)]
قد كان أورَقَ عودى من أبيك فقد تَحيَّتَ عُودى فجفَّ العُودُ والوَرَقُ
من نازع الكلبَ عَرْقا يرتجى شِبَعاً كمصطلٍ بحريقٍ وهو يَحترِقُ[(2)]

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : كتب إلىَّ أبو محمد إسحاق بن أبى إبراهيم يقول : ١٥

الفضل بن يحيى يستقل ما أعطاه إياه

أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبى الحَجْناء نُصَيْب :

عنـد الملوكِ مَضرّةٌ ومنافعُ وأرى البرامِكَ لا تضرُّ وَتَنفَعُ

(١) منحلق : منقطع .
(٢) عرقا : عظما وفى س ، ب : « عرفا » وما أثبتناه من ف

إن العُروقَ إذا استسرَّ بها الثَّرى ... أشِرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ[1]

فإذا نَكِرتَ من امرىء أعراقَه ... وقديمَه فانظرْ إلى ما يَصْنَعُ

قال : فأعجبه الشعرُ ، فقال : يا أبا محمد ، كأنى واللهِ لم أسمعْ هذا القول إلا الساعة ، وما له عندى عيب إلا أنِّى لم أُكافئْه عليه . قال: قلتُ : وكيفَ ذلك أصلحكَ اللهُ ، وقد وهبتَ له ثلاثين ألفَ دِرهم ! فقال : لا والله ما ثلاثُون ألفَ دينار بمكافِئة له ، فكيفَ ثلاثون ألفَ درهم ! ٥

جود الفضل حمل الناس كلهم شعراء

أخبرنى أحمد بن عبدالله بن عمار قال : أخبرنى أحمدُ بنُ سليمان بن أبى شيخ قال :

كان أبى يستملح قولَ نُصيب وقد رأى كثرةَ الشعراء على باب الفضل بن يحيى . فلما دخل الناس إليه قال له :

ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى ... تركَ الناسَ كلهم شُعراء ١٠

ويقول : ما فى الدنيا أحسنُ من هذا المعنى ، وعلى أنه قد أخذ منهم مالا جليلا ولكنْ قلما سمعتُ بطبقته مثلَه .

(١) أشر النبات : ازدهر .

صـــوت

طاف الخيالُ ولات حينَ تَطرُّبِ ... أن زار طيف موهِناً من زَينبِ[١]

طرقَتْ فنفَّرتِ الـكَرى عن نائمٍ ... كانتْ وسادَتَه ذِراعَ الأرحبى[٢]

فبكى الشبابَ وعهدَه وزمانَه ... بعد المشيبِ وما بُكاءُ الأشيبِ!

٣٥ / ٢٠

عَروضه من الـكامل، الشعر لأبى شُراعةَ القَيسى ، والغناء لدَعامة البَصرىّ خفيف رَمَل بالبنصر من كتاب الهشامىّ .

٥

(١) فى س ، ب : « المطرب » بدل « تطرب » .

(٢) الأرحبى : الجمل المنسوب إلى أرحب ، وهى قبيلة من همدان .

أخبار أبى شراعة ونسبه

اسمه ونسبه

هو — فيما كتب به إلينا ابنهُ أبو الفيَّاض سوَّار بن أبى شُراعة من أخباره ونسبه — أحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبى نُعَيم بن خالد بن عَبدة بن مالك بن مُرة بن عَبَّاد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن علِيّ بن بكر ابن وائل :

شاعرٌ بصْرىّ من شعراء الدولة العباسية جيِّدُ الشعر جزلُه ، ليس برقيق الطبع ، ولا سهل اللّفظ ، وهو كالبدوىِّ الشعر فى مذهبه ، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطَب مع شعره ، وكانت به لُوثة وهَوَج .

أمه وأبوه

وأمه من بنى تميم من بنى العنبر ، وابنه أبو الفيَّاض سوَّار بن أبى شُراعة أحدُ الشعراء الرواة ، قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلثمائة ، فكتب عنه أصحابُنا قِطعاً[١] من الأخبار واللّغة ، وفاتنى فلم ألقه ، وكتب إلىَّ وإلى أبى — رحمه الله — بإجازة أخباره على يدى بعض إخواننا ، فكانت أخبار أبيه من ذلك .

فمنها ما حكاه عنه أنه كان جواداً لا يُليقُ[٢] شيئا ، ولا يُسأَلُ ما يقدر عليه إلا سَمِحَ به ، وأنه وقف عليه سائل يوما فرمى إليه بنَعْلِه وانصرف حافياً ، فعثَر فدَميتْ إصبعُه فقال فى ذلك :

يهب نعله فتدمى أصبعه

ألا لا أبالى فى العُــلا ما أصابنى ... وإن نَقبت نَعلاى أوحَفِيتْ رِجْلى[٣]
فلم تَرَ عَيْنِى قَطُّ أحسنَ منظَراً ... من النَّكْب يدمَى فى المواساةِ والبذلِ[٤]
ولستُ أبالى مَنْ تأوَّبَ منزلى ... إذا بقيتْ عندى السراويلُ أو نَعْلى[٥]

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : « قطعات الأخبار » .
(٢) لا يليق : لا يمسك .
(٣) فى هج : « ما لقيته » بدل « ما أصابنى » . ونقبت نعلاى : رقت أو ثقبت .
(٤) من النكب يدمى : وهو صدم الحجارة الرِّجل ، وفى هج : « من الرجل تدمى » .
(٥) تأوب منزلى : زارنى ليلا .

قال : وبلغه أن أخاه يقول : إن أخي مجنون ، قد أفقرنا ونفسه ، فقال :

أخوه يقول إنه مجنون فينشد شعرا

أأُبْزَرُ مجنوناً إذا جُدتُ بالذى ملكتُ وإن دافعت عنه فعاقلُ

فداموا على الزُّورِ الذى قُرِفوا به ودمتُ على الإعطاء ماجاء سائلُ(١)

أبيتُ وتأبى لى رجالٌ أشحَّةٌ على المجد تنميهم تميمٌ ووائلُ(٢)

٥ قال : وقال أيضاً فى ذلك :

أئِنْ كنتُ فى الفتيان آلوت سيدا كثيرَ شحوب اللون مختلفَ العَصْبِ(٣)

فما لكَ من مولاكَ إلا حفاظُهُ وما المرء إلا باللسان وبالقلبِ

هما الأصغران الذائدانِ عن الفتَى مكارِهَه والصاحبان على الخَطْبِ

فإلّا أُطِقْ سعىَ الكرام فأننى أفكُّ عن العانى وأَصْبِرُ فى الحربِ

١٠ أخبرَنى عمى قال : أخبرنى مَيمونُ بنُ هارون قال : حدّثنى إبراهيم بن المدَبِّر قال :

قصة لحن

كان عندى أبو شُراعةَ بالبَصرة ، وأنا أتولّاها ، وكان عندى عمير المغنى المدنى ، وكان عُمير بنُ مرة غَطَفانيا ، وكان يغنّى صوتاً يُجيدُه ، واختاره عليه وهو :

أتحسِبُ ذاتَ الخالِ راجيةً رَبّاً وقد صدعت قلباً يُجَنُّ بها حُبّا

٣٦ / ٢٠

فاقترحه أبو شُرَاعةَ على عُمَير ، فقال : أعطِنى دَراهمَ ، حتى أقبلَ اقتراحكَ ، فقال له

١٥ أبو شُراعةَ : أخْذُ المغنى من الشاعر يدلُّ على ضعف الشاعر ، ولكنى أعرِضُك لأبى إسحاق ، فغنّاه إياه ثلاث مرات وقد شَرِبَ عليه ثلاثةَ أرطال ، وقال :

عدوتُ إلى المُرِّىِّ عدوةَ فاتِكٍ مِعنٍّ خليع للعواذل والعُذْرِ(٤)

---

(١) قرفوا به : وصموا .

(٢) رجال أشحة . جمع شحيح ، أى بخيل ، وفى ف : « أعزة » .

٢٠ (٣) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « لئن » وهو تحريف .

(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : « غدوت غدوة » . بدل « عدوت » وفى س ، ب : مغن ، بدل « معن » ومعنى معن : مبالغ فى العناء والتجشم .

فقال لشىء ما أرى قلتُ : حاجةٌ مُغَلغلة بين المخنّق والنَّحرِ(١)
فلما لوانى يَسْتثيب زَجرتُه وقلت: اَعْتَرِفْ إنَّا كلانا على بَحْرِ(٢)
أليس أبو إسحاقَ فيه غِنًى لَنا فيُجْدِى على قَيسٍ وأُجدِى على بكرِ
فغنّى بذات الحالِ حتى استخفّنى وكاد أديمُ الأرض من تحتنا يجرِى

حدثنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن يزيد المبرد قال :

ابن المدبر يعطيه عشرة آلاف درهم

كان أبو شُـراعةَ صديقاً لابن المدبّر أيامَ تقلّده البصرة ، وكان لا يُفارقه فى سائر أحواله ، ولا يمنعه حاجة يسأله إياها ، ولا يشفَع لأحد إلا شفّعه ، فلما عُزِل إبراهيم بن المدبر شيّعه الناس ، وشيّعه أبو شُراعةَ ، فجعل يردُّ الناسَ ، حتى لم يبق غيرُه ، فقال له : يا أبا شُراعةَ غايةُ كل مودِّع الفراقُ ، فانصرفْ راشداً مكلُوءاً من غير قِلًى والله ولاملَلٍ ، وأمرَ له بعشرة آلاف دِرهم ، فعانقــه أبو شُراعةَ ، وبكى ؛ فأطال ، ثم أنشأ يقول :

يا أبا إسحاقَ سِرْ فى دَعةٍ وامضِ مصحوباً فما منك خَلَفْ
ليتَ شعرى أىُّ أرض أجدبتْ فأُغيثَتْ بك من جَهد العَجَفْ!
نزل الرُّحْم من الله بهمْ وحُرِمناكَ لِذنبٍ قد سَلَفْ
إنما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثُما صرّفه اللهُ انصرَفْ

قال أبو الفياض سَوّار بن أبى شُراعة :

دخل أبى على إبراهيم بن المدبر وعنده مُنَجِّم ، فاراه(٣) إبراهيم بن المدبِّر فى رؤية

(١) مغلغلة : داخلة ممعنة ، المخنق : موضع الخناق .
(٢) فى ف : « يستثيب » أى يسألنى أن أثيبه .
(٣) س ، ب « فما رآه » تحريف ، ماراه : بمعنى عارضه .

خلاف حول هلال رمضان

الهلال لشهر رمضان ؛ فحكم المنجّم بأنه يُرى ، وحَلَف إبراهيم بعتق غلمانه أنه لا يُرى ، فرُئىَ في تلك الليلة . فأعتق غلمانه ، فلما أصبح دخل الناسُ يهنئونه بالشهر ، فأنشده أبو شُراعةَ يقول :

أيها المكثر التّجنّى على الما ... ل إذا ماخلا من السُّؤّالِ

أفتنا فى الذين أعتقتَ بالأمـ ... ـس مواليكَ أم موالى الهلالِ ؟

لم يكن وَكْدُكَ الهلالَ ولكنْ ... تتألّى لصالح الأعمال

إنما لذّتاك فى المال شتّى ... صونُك العِرْضَ وابتذالُ المالِ[1]

ما نُبالى إذا بقيتَ سَليما ... مَن تولّتْ به صروفُ اللّيالى

لا يدعى فيغضب

قال أبو الفيّاض : وكان أبو شُراعة صديقَ السِّدْرى ، فدعا يومًا إخوانَه ، وأغفل أبا شُراعةَ . فمرّ به الرياشىّ ، فقال : يا أبا شُراعة ، ألست عِندَ السِّدرى معنا ؟ فقال : لم يدعُنا . ومرّ به جماعة من إخوانه ، فسألوه عن مثل ذلك ، ومرّ به عيسى بنُ أبى حرب الصّفار — وكان ممن دُعِىَ — فجلس وحَلَف ألا يبرَحَ حتى يأتىَ السِّدْرى ، فيَعتذِرَ إليه ، ويدعوه ، فقال أبو شُراعةَ :

٣٧ / ٢٠

أيْرُ حمارٍ فى حِرِامِّ شِعْرى ... وخُصيتاه فى حِرِامِّ قَدْرِى

إن أنا لم أشفَعْهما بِوَفْرِ ... لو كنتُ ذا وفرٍ دعانى السِّدْرى

أو كان من همّ هشامٍ أمرى ... أو راح إبراهيمُ يُطرى ذِكرى

وابن الرياشى الضعيفُ الأسر ... يخافُ إن أردَفَ ألّا يَجرى[2]

(١) فى هج : « فى الدهر » بدل « فى المال »

(٢) فى س : « أو أردف » بدل « إن أردف » .

وأنتَ يا عِيسى سقاكَ المُسْرِى[1] نعمَ صديقُ عُسرةٍ ويُسرِ

قال أبو الفيَّاض : سقطتْ دارنا بالبصرة ، فعوتبَ أبى على بنائها ، وقيل له : استعن بإخوانِك إن عجزتَ عنه فقال :

لا يستعين بإخوته فى بناء داره

تَلوم ابنةُ البكرىِّ حين أعوبها هَزِيلاً وبعض الآئبين سَمينُ

وقالتْ: لحاكَ اللهُ تستحسنُ العَرا عن الدار إنَّ النائباتِ فُنُونُ

وحولك إخوانٌ كرامٌ لهمْ غِنًى فقلت لإخوانى : الكرامُ عُيونُ

ذَرينى أَمُتْ قبل احتلالِ محلَّةٍ لها فى وُجوه السائلين غُضونُ

سأَفدِى بمالى ماءَ وجهىَ إننى بما فيه من ماء الحياء ضَنِينُ[2]

قال سوَّار بنُ أبى شُراعة : كان إخوانُ أبى يجتمعون عند الحُسينِ بنِ أيوب ابن جعفر بن سليمان فى ليالى شهرِ رمضان ، فيهم الرياشى والجمَّاز ، فقال أبى فى ذلك :

فى ليالى شهر رمضان

لو كنتُ من شيعة الجمَّاز أقعدنى مقاعداً قُرْبُهنَّ الريفُ والشرَّفُ

لكنَّنى كنتُ للعباس متَّبعاً وليس فى مَرْكب العباس مرتَدَفُ[3]

قد بقيتْ من ليالى الشهر واحدةٌ فعاوِدوا مالحَ البقَّال وانصرفُوا[4]

قال : وتزوَّج نديمٌ لأبى شُراعة يقال له بيَّانُ[5] امرأةً ، فاتفق عرسهُ فى ليلة طلَّق فيها أبو شراعة امرأته ، فعوتبَ فى ذلك ، وقيل : بات بيَّان عَروسا ، وبتَّ عَزَبًا ، فقال فى ذلك :

طلاقه ليلة عرس

(١) كذا فى ف : ومعناه الذى يجرى السحاب ليلا وهو الله ، وفى س ، ب : المثرى ، وقد يكون المراد بالمسرى السحاب نفسه ، فمن أسمائه سارية ، ويلاحظ فى قوله : « نعم صديق» أنه لم يجر على القياس فى فاعل نعم وبئس .

(٢) كذا فى ف وفى س ، ب : « ماء الحياة» ، بدل « ماء الحياء »

(٣) كذا فى ف وفى س ، ب : « موكب » بدل « مركب » . وفى م ، هج : « تبعة » بتشديد الباء »

(٤) كذا فى ف وهج وربما كان اسمه « المنهال »

(٥) فى ف : « تبان » بدل « بيان ».

رأتْ عُرسَ بيّانٍ فهبّتْ تلومنى ... رويدَكِ لومًا فالطَّلَقُ أحوطُ
رويدكِ حتى يرجعَ البرُّ أهله ... ويرحمُ ربُّ العرشِ من حيث يُغْبَطُ
إذا قال للطحّان عند حسابه ... أعِدْ نظراً إنى أظنك تغلطُ
فما راعه إلا دعاه وليدةٍ ... هلُمَّ إلى السَّواق إن كنت تَنْشَطُ
٥ هنالك يدعو أمّه فيسبّها ... ويلتبس الأجرَ العَقوق فيحبَطُ[1]
فياذا العُلا إنى لفضلك شاكرٌ ... أبيتُ وحيداً كما شئت أضرَطُ

قال: ثم بلغه عن بيّان هذا أنه عجز عن امرأته، ولم يصِلْ إليها، ولقى منها شرًّا، فقال فى ذلك:

رمى الدهرُ فى صَحبى وفرّق جُلّاسى ... وباعدهم عنى بظَعنٍ وإعراس — يشمت فى بيان
١٠ فكلُّهمُ يبغى غِلاقاً لأيره ... وأقعدَنى عن ذاك فقرى وإفلاسى
فشكراً لربّى خان بيّانَ أيرُه ... وأسعى بأيرى فى الظّلام على الناس
[2] يمسحه بالكف حتى يقيمه ... وهل ينفع الكفّانِ من ثقل الراس[2]

وقال أبو الفياض سوّار:

نظر إلىّ أبى يوماً وقد سألتُ عمّى حاجة فردّنى، فبكى، ثم قال:

١٥ حُبّى لإغناء سوّارٍ يُجشّمنى ... خَوضَ الدُّجى واعتساف المَهْمَهِ البِيدِ — ٣٨/٢٠
كى لاتهونَ على الأعمام حاجَتُه ... ولا يعلّل عنها بالمواعيد
ولا يوليهمُ إن جاء يسألها ... أكتافَ مَعرضة فى العِيس مردودِ[3] — أولادنا أكبادنا

(١) ويلتبس الأجر: لعله ويلتمس الأجر.
(٢-٢) تكملة من هد، وهج.
٢٠ (٣) كذا فى ف والمراد جمل يكثران يولى مرضه، فى هج: «أكتاف مغرورق العينين مردود». كذا فى ب وفى س، ب: «العيش». بدل «العيس»

إذا بكى قال منهمْ ذُو الحِفاظ له لقد بُليت بخُلْقٍ غــيرِ محمودِ

قال : وتَمارى أبو شُراعة ورجلٌ من أهل بَغداد فى النبيذ ، فجعل البغداديُّ يذُمّ نبيذ التمر والدِّبْس[1] ، فقال أبو شُراعة :

يمدح النبيذ

إذا انتخبتَ حبَّه ودِبَسَهُ ثم أجدْتَ ضَربه ومَرْسَهُ[2]

ثم أطلْتَ فى الإناء حَبسهُ شربتَ منه البابلىَّ نفسَــهُ

٥

قال : وأعوز أبا شُراعة يومئذ النبيذُ ، فطلبَ من نديمين كانا له ، فاعتلّ أحدهما بحلاوة نبيذه ، والآخرُ بحُموضته ، فاشترى من نبّاذ يقال له : أبو مَظلُومة دَسْتيجة[3] بدِرهمين ، وكتب إليهما :

دارهمه غنى عن سؤال بخيلين

سيغُنى عن حلاوة دِبْسِ يحيى ويُـغنى عن حُموض أبى أُميّـهْ

أبو مَظلومةَ الشيخُ الموَلّى إذا اتّزنتْ يداه دِرْهَمَيّهْ

١٠

أخبرنى علىُّ بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

كان أبو شُراعة قبيحَ الوجه جدًّا ، فنظر يوماً فى المرآة ، فأطالَ ، ثم قال : الحمد لله الذى لا يحمدُ على الشرِّ غيرُه .

قال سوّار بن أبى شُراعة : حلفَ أبى ألا يشرب نبيذاً بطلاق امرأة كانتْ عندَه ، فهجره حولَين ، ثم حَنِث ، فشرِب ، وطلّق امرأته وأنشأ يقول :

يؤثر النبيذ على امرأته

١٥

فمن كان لم يسمعْ عجيبا فإننى عجيبُ الحديث يا أُميمَ وصادقُه

وقد كان لى أنسانٍ يا أمّ مالكٍ وكلٌّ إذا فتّشتَنى أنا عاشقُه

(١) الدبس : عسل التمر

(٢) انتخبت حبه : دنه وزبيره . ضربه ومرسه : نقعه من الماء ودعكه باليد

(٣) دستيجة : إناء من زجاج

٢٠

عزيزةُ والكأسُ التى من يُحِلّها تُخادعه عن عقله فتصادقُه[1]
تحارَبتَا عندى فعطَّلتُ دَنَّها وأَكوابَهَا والدهر جَمٌّ بوَائقه[2]
وحرَّمتُها حولَين ثم أزلَّنى حديثُ النَّدامى والنشيدُ أُوافقهْ
فلمَّا شربتُ الكأس بانتْ بأختِها فبان الغزال المستحبّ خلائقُه
فما أطيب الكأس التى اعتضت منكمُ ولكنَّها ليست بِرِيمٍ أعانقه ٥

قال أبو الفيّاض : قال أبى : قصدتُ الحسنَ بن رَجاء بالأهواز ، فصادفتُ ببابه دِعبل بن علىٍّ الخزاعىّ وجماعةً من الشعراء ، وقد اعتلّ عليهم بدَيْن لزمه ومصادرة[3] فكتبَ إليه :

في مجلس الحسن بن رجاء

المالُ والعقلُ شىءٌ يُستعانُ به على المَقام بأبواب السلاطينِ
وأنت تعلمُ أنى منهما عَطِلٌ إذا تأمَّلتَنى يا بنَ الدَّهاقين ١٠
هل تعلم اليومَ بالأهواز من رَجلٍ سواكَ يصلُح للدُّنيا وللدِّينِ

قال : فوعدَنا وعداً قرَّبه ، ثم تدافعَ ، فكتب إليه :

آذنتْ جُبّتى بأمرٍ قبيحِ من فِراقٍ للطيلسان الفسيحِ[4]
فكأنى بمن يزيدُ على الجُبَّـــةِ فى ظلِّ دار سهلِ بن نوحِ
أنت رُوح الأهواز يابنَ رجاء أىّ شىء يعيشُ إلّا برُوحِ ١٥

٣٩ / ٢٠

فأذن لى وللجماعة ، وقضى حوائجَنا .

يخدع أبناء سعيد بناقة عجفاء

قال أبو الفيّاض وحدثنى أبى قال :

حجَجتُ ، فأتيت دار سعيد بن سَلْم ، فنحرتُ فيها نَاقَةً ، وقلت :

(١) فى هد ، هج « وتسارقه » بدل « فتصادقه »
(٢) بوائقه : جمع بائقة بمعنى مصيبة ٢٠
(٣) مصادرة : مطالبة
(٤) فى م ، ا : « السبيح » ، وفى هد ، هج : « المليح »

وردت دارَ سعيد وهى خالية ٌ وكان أبيضَ مِطعاماً ذُرى الإبلِ

فارتحتُ فيها أصيلا عند ذُكرته وصُحْبتى بِمِنًى لاهُونَ فى شُغُلِ

فابتعتُ من إبل الجمَّال دهشرَةً موسومةً لم تكنْ بالحِقّةِ العُطُلِ[1]

نحرتُها عن سعيد ثم قلت لهم: زوروا الحَطيمَ فإنى غير مرتحِلِ

قال : وبلغت الأبيات وِفعْلى ولدَه ، فأحسنوا المكافأة ، وأجزلوا الصِّلة ؛ قال : ٥
فقال له صديق له : وأنت أيضاً قد استجددتَ لهم النَّحيرةَ ! فضحك ، ثم قال : أغرَّكَ
وصفى لها ؟ أُشهدُ الله أنى ما بلغتُ بها دار سعيد إلا بين عودَيْن .

وقال أبو الفياض :

هو خير ممن تعوله أمه

كان أبو أمامة محمدُ بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم[2]— وأمه سُعدى بنت
عمرو بن سعيد بن سلم — صديقاً لأبى شُراعة ، وكانت أمُّه سُعدى تعولُه ، فكان ١٠
أبو شراعة لا يزال يعبَث به ، وبلغه أن أبا أمامة يقول : إنما معاشُ أبى شُراعة من
السلطان ورِفْده ، ولولا ذاك لكان فقيراً ؛ فقال فيه :

عيَّرتَنى نائلَ السلطان أطلُبه يا ضلَّ رأيك بين الُخرْق والنَّزَق[3]

لولا امتنانٌ من السلطان تجهلُه أصبحتُ بالسَّودفى مُقعوعِسٍ خَلَقِ[4]

— السَّود : موضع تنزله باهلةُ بالبادية[5] — ١٥

رثِّ الرِّدا بين أهدام مرقَّعةٍ يبيتُ فيها بليلِ الجائعِ الفَرِقِ

(١) دهشرة : ناقة كبيرة ، وفى ب ، أ ، م : « دوسرة » وهى بمعناها . الحقه : الناقة التى دخلت فى السنة الرابعة ، والعطل : هى التى لاسمة لها ولا قلائد.

(٢) فى معجم ياقوت : « سالم » . بدل « سلم » .

(٣) كذا فى ف وياقوت ، وفى س ، ب : «الحذق» بدل « الخرق » . ٢٠

(٤) مقعوعس خلق : بال القديم .

(٥) فى معجم ياقوت : السود : قرية باليمامة ، ولا يناسب ذلك ما هنا .

لاشىء أثبتُ بالإنسانِ معرفةً — من التى حزمت جَنبيه بالخِرَقِ[1]
فأين دارُك منها وهى مؤمنة — بالله معروفةُ الإسلام والشفَقِ !
وأين رزقُك إلا من يَدَىْ مَرَةٍ — مابتَّ من مالها إلا على سَرَقِ !
تبيت والهرُّ ممدوداً عيونـكما — إلى تطعُّمِها مخضرّة الحَدَقِ
ما بين رزقيكما إن قاس ذُو فِطَنٍ — فرقٌ سوى أنه يأتيكَ فى طَبَقِ
شارِكْهُ فى صيدِه للفأر تأكلُه — كما تُشارِكُه فى الوجْه والخُلُقِ .

قال أبو الفيّاض : وزاره أبو أمامة يوماً فوجد عنده طَفَشِيلا فأكله كلَّه ، فقال أبو شراعة يمازحه :

أبو أمامه يفجعه فى برمة طفشيل

عين جودى لبُرمةِ الطَّفْشِيل — واستهِلّى فالصبرُ غيرُ جميلِ[2]
فجعتْنى بها يد لم تدَع للذَّ — رِّ فى صَحن قِدرها من مَقيلِ
كان واللهِ لحمُها من فَصيل — راتعٍ يرتعى كَريمَ البُقولِ[3]
خلطتنا بلحمه عَـدَسَ الشّا — م إلى حِمَّصٍ لنا مَبـلُولِ
فأتتْنا كأنها روضةُ بالحَزْ — نِ تدعو الجيرانَ للتَّطْفيلِ
ثم أكفأتُ فوقَها جفنةَ الحىّ — وعلّقتُ صحفتى فى زَبيـلِ[4]
فَمَنَى اللهُ لى بفظٍّ غليظٍ — ما أراه يُقِرُّ بالتَّنْزيلِ
فانتحى دائبا يُدَبِّلُ منها — قلتُ : إن الثريد للتدبيلِ[5]
فتغنَّى صوتاً ليوضِحَ عِندى — حىِّ أُمَّ العلاء قبلَ الرّحيلِ

٤٠
——
٢٠

(١) كذا فى ف وفى بعض النسخ : « خرمت جنبيه بالحرق »
(٢) الطفشيل : نوع من المرق ، وفى المعاجم أنه كسميدع .
(٣) كذا فى ف وفى س ، ب : « رائع » .
(٤) زبيل : قفة أو جراب .
(٥) كذا فى ف ، ومعناه يكبر اللقمة للفم ، وفى س ، ب : يذبل للتذبيل .

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدثنى سوّار بن أبى شُراعة قال :

نبيد شيب بالماء

كتب أبى إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قُتَيبة يستهديه نَبيذاً ، فكتب إليه سعيد : إذا سألتنى — جعلنى اللهُ فِداءك — حاجة فاشطُط ، واحتكم فيها حُكْمَ الصَّبِىِّ على أهله ، فإن ذلكَ يسرُّنى ، وأسارع إلى إجابتك فيه . وأمر له بما التمس من النبيذ ، فمزَجه صاحِبُ شرابه ، وبعثَ به إليه . فكتب إليه أبو شُراعة : أستَنْسِى[1] اللهَ أجلَك ، وأستعيذُه من الآفات لكَ ، وأستعينهُ على شكر ماوهَب من النِّعمة فيك ، إنه لذلك ولىّ ، وبه ملىّ . أتانى غلامُك المليحُ قدُّه ، السعيدُ بملكك جَدُّه بكتابٍ قرأتُه غيرِ مستكرَه اللفظ ، ولا مُزْوَرٍّ عن القصد ، ينطق بحكمتِك ، ويَبَيِّن عن فضلك ، فوالله ما أوضحَ لى خفيًّا ، ولا زادنى بكَ عِلماً ، وإذا أنت تسألُ فيه أن تَهب ، وتحبّ أن تُحمد ، ولاغروَ[2] أن تفعل ذلك ، ومن كَسْبِ أخذتَه ، لا عن كَلالة وغير كلالة ورثته ، موسى أبوك ، وسعيدٌ جدُّك ، وعمرو عمّك ، ولك دار الصِّلَة ، ودار الضيافة ، وصاحب البَغْلةِ الشَّهْبَاء[3] وحصينُ بنُ الحمام وعروة بن الوَرد ، ففى أىّ غلواتِ[4] المجدِ يطمع قَرِينُك أن يستولى على المدَى ، والأمدُ دونَك . وكتابك إلىّ أن أتحكَّم عليك تحكُّم الصبى على أهله ، فلشدّ ماجررت إلىّ معروفَك ، ودللتَ على الأنس بِك ، وحاشَى للمحكوم له والمحكوم عليه فى ذات الحسَب العتيق ، والمنظر الأنيق الذى يسرُّ القلبَ ، ويلائم الرُّوحَ ، ويطردُ الهمَّ :

تدبّ خلال شئون الفَتَى دبيبَ دَبى النَّملة المنتعش[5]
إذا فُتِحت فغَمَتْ ريحُها وإن سِيل خمَّارها قال : خُشْ

(١) أستنسىء : أسأل الله أن يطيل أجلك .
(٢) لاغرو : لا عجب .
(٣) الشهبة : بياض يخالطه سواد .
(٤) غلوات : جمع غلوة ، أى قدر رمية سهم أبعد مايقدر عليه .
(٥) دبى النملة : أصغر النمل والجراد .

— خُشْ : كلمة فارسية تفسيرها : طَيِّب —

فإنْ كنتَ رعيتَ لها عهداً ، وخفظتَ لها عندَكَ يداً ، فانظر ربَّ الحانوت فامطُله دينَه ، واقطع السبب بينَك وبينَه ، فقد أساء صُحبتَها ، وأفسد بالماء حِسَّها ، وسلِّط عليها عدُوَّها ، واعلم بأن أباك المتمثّل بقوله :

٥ يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها فيقعد وسْطَ القوم لا يتكلمُ

وقد بسطتْ قدرتك لسانَك ، وأكثرتْ لك الحمد ، فدونك نُهزةَ البديهة منه :

وبادرْ بمعروف إذا كنت قادراً زوال افتقار أو غنًى عنك يُعقب[1]

وقد بعثتُ إليك بقَرَابة[2] مع الرسول ، وأنشأتُ فى أثرها أقول :

إليك ابن موسى الجودِ أعملتُ ناقتى مجلَّلةً يضفو عليها جِلالُها[3]

١٠ كتومُ الوَحى لاتشتكى ألمَ السُّرى سواء عليها موتُها واعتلالُها

إذا شَرِبَتْ أبصرتَ ماجوفُ بَطنها وإن ظَمِئَت لم يبد منها هُزالُها

وإن حَملتْ حِملا تكلّفتُ حِملها وإن حُطَّ عنها لم أقل كيف حالُها ؟[4]

بعثنا بها تسمو العيونُ وراءها إليك وما يُخشى عليها كَلالُها

وغنّى مُغنِّينا بصوتٍ فشاقنى متى راجعٌ من أم عمرو خيالُها

١٥ أحِبُّ لكم قيسَ بن عيلان كلَّها ويعجبنى فُرسانها ورجالُها

ومالىَ لا أهوَى بقاء قَبيلة أبوكَ لها بدرٌ وأنت هلالُها

(١) فى ف : «منك» بدل « عنك »

(٢) ما يقرب من قدرك . ، وفى بعض النسخ « بقرانة » ، أى زجاجة .

(٣) مجللة : لابسة جلها وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

٢٠ (٤) كذا فى ف وفى س ، ب : « لم أبل » بدل « لم أقل » .

٤١/٢٠

قال : فبعث إليه برسوله الذى حمل إليه النبيذ ، واستملحه فى شِعره ، وبصاحب شرابه ، وكل ما كان فى خِزانته من الشَّراب وبثلاثمائة دِينار.

أخبرنى الأخفش عن المبرِّد وسوَّار بن أبى شراعة جميعاً :

أن أبا الفيَّاض سوار بن أبى شَراعة كان يهوَى قينةً بالبصرة يقال لها : مَليحَة ، فدُعِيتْ ذاتَ يوم إلى مجلس لم يكن حاضرَه ، وحضر أبو علىٍّ البصير ذلك المجلس ، ٥

مساجلة حول جارية

فجمَّشها بعضُ من حضر ، فلم تلتفِتْ إليه ، وعرف أبو علىّ ذلك فكتب إلى أبى الفيَّاض:

لك عندى بِشارة فاستمعها وأجبنِي عنها أَبا الفيَّاض

كنتُ فى مجلسٍ مَليحةُ فيه وهى سُقْمُ الصِّحاح بُرءُ المِراض

وقديمًا عهِدتَنى لستَ فى حقِّكَ والذبِّ عنك ذا إغماضِ

فتفقَّلتُها تفقُّلَ خَصْمٍ وتأملتُها تأمُّل قاض ١٠

ورمَتْها العيونُ من كلِّ أُفقٍ وتشاكَوْا بالوَحْى والإيماض

من كهولٍ وسادةٍ سُمَحاء باللُّها باخلينَ بالأعراض[1]

وصفاتُ القيانِ أولها الغد رُ عليه فى وَصلهنَّ التَّراضى

فتشوَّفتُ ذاكَ منها وأعدد تُ نكيرى وسَوْرتى وامتعاضى

فمحتْ جانبَ المُزاحِ وعمَّتهم جميعًا بالصَّدِّ والإعراض ١٥

وكفانى وفاؤها لكَ حتَّى آذنَ الليلُ جمعَهم بارفِضاض

فأجابَه أبو الفيَّاض :

ليتَ شعرى ماذا دعاك إلى أن هجتَ شوقى وزدتَ فى إمراضى؟

ذكَّرتَنى بُشراكَ داءً قديمًا من سَقام علىَّ لاشك قاضى

(١) اللها : العطايا . ٢٠

إن تكنْ أحسنتْ مليحةُ فى وصـ ـلى وعاصَت رِياضة الرُّوَّاض

وأقامتْ على الوفاء ولم ترْ عَ لوحيٍ منهم ولا إيماض

فعلى صحَّةِ الوفاء تعاقدْ نا وصونِ النُّفوس والأعراض

وعلينا من العفافِ ثيابٌ هنَّ أبهى من حالياتِ الرياض

٥ ليس حظِّى منها سوى النظر الخَتْ لِ وإنى به لجذلانُ راض[1]

لحظاتٌ يقعنَ فى ساحة القلـ ـب وُقوع السهامِ فى الأغراض

وابتسامٌ كالبرق أو هو أخفَى بين سِتريْ تحرُّزٍ وانقباض

لا أخافُ انتقاضَها آخرَ الدهـ ـر بغَدر ولا تخافُ انتقاضى

فأبِنْ لى ألستَ تحمَد ذا الـ ـودَّ وقاكَ الردى أبو الفياض ؟

١٠ قال أبو الفيَّاض : اتصل بأبى شُراعة أن أبا ناظرة السَّدوسىّ يغتابه ، وكان مع آل أبى سُفيان بن ثَوْر فقال يهجوهم :

٤٢ / ٢٠

يهجو بنى سدس

لعن الإلهُ بنى سدوسٍ كلَّهمْ ورمَى بمنجوفٍ وَريّة قاف[2]

قدسَبَّنى عُضروطُهم فسببتُهم ذنبُ الدَّنِىء يُناط بالأشراف[3]

لا يخرج من شتيمة إلى وليمة

قال أبو الفيَّاض : وكان بَيْن بعض بنى عَمنا وبينَ أبى شُراعة وحشَة ، ثم صالحوه ، ١٥ ودعوه إلى طعامهم ، فأَبَى ، وقال : أمِثلى يَخرجُ من صَوم إلى طُعم ، ومن شَتيمة إلى وليمة : ومالى ولـكم مَثَلٌ إلا قول المُتلمِّس.

---

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : « ليست » .

(٢) منجوف : سهم عريض قاف . اسم جبل محيط بالدنيا فيما يزعمون ؛ والمراد داهية نكراء .

٢٠ (٣) عضروطهم : لئيمهم .

فإن تُقبلوا بالودّ نُقبلْ بمثلِه ... وإلا فإنا نحن آبَى وأشمَسُ[١]

وقال فيهم :

بنى سَوَّارَ إن رثّتْ ثيابى ... وكَلَّ عن العشيرة فضلُ مالى[٢]

فمطّرَحٌ ومتروكٌ كلامى ... وتجفُونى الأقاربُ والموالى

ألم أكُ من سَراة بنى نُعَيم ... أحلُّ البيتَ ذا العَمَد الطِّوال

وحولى كلُّ أصيدَ تَغْلَبِىٍّ ... أبىٌّ الضيْم مشتركُ النوال

إذا حضر الغَداء فغيرُ مغنٍ ... ويُغْنى حين تَشتجرُ العوالى[٣]

وأبقوْنى فلستُ بمستكين ... لصاحب ثَروة أُخرى الليالى

ولا بمسِّح المُثْرين كيْما ... أُمسِّحُ من طعامهمُ سِبالى[٤]

أنا ابنُ العنبرية أزّرتنى ... إزار المكرمات إزار خالى[٥]

فإن يكن الغِنَى مجداً فإنى ... سأدعُـو الله بالرزق الحلالِ

---

(١) كذا فى ف وفى م ، أ : « أشوس » ؛ وفى س ، ب « أشرس » بدل « أشمس » .

(٢) فى ف : « بنى سران » بدل « بنى سوار » .

(٣) فى ف « عند مشتجر » وفى سائر الأصول : حين تستجرى ، وفى مهذب الأغانى : حين تشتجر .

(٤) السبل : جمع سبلة ، وهى الدائرة وسط الشفة العليا . أو طرف الشارب .

(٥) فى م ، أ : « ورثتنى » بدل « أزرتنى » .

صـــوت

إذا أُبصرتْكَ العينُ من بُعد غاية وأَوْقعتُ شكًّا فيك أثبتَك القلبُ

ولو أن رَكْبًا يمَّموك لقادَهم نسيمُك حتى يستدلَّ بكَ الركبُ

الشعر لعبدِ الله بنِ محمد بن البوّاب، والغناء لأحمد بن صَدَقة الطُّنبورى، رَمَل مطلق

٥ فى مجرى البِنصر رواية الهشامى.

أخبار ابن البواب

اسمه ونشأته

هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق ، من أهل بخارى. وجِّه[1] بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سِكّة بها ، فاختطُّوها ونزلوها طولَ أيام بنى أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع ، نخدموه.

وكان عبد الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع فى أيام أبى جعفر ، وكان معَه فرآه أبو جعفر مع أبيه ، فسأله عنه فأخبره ، فكساه قَباء خزٍّ ، وكساه تحتَه قباء كَتّان ،رقوع القَبِّ ، وقال له : هذا يَخْفَى تحت ذاك .

ذكر لى ذلك أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن مُحمد البواب عن أبيه .

٤٣ / ٢٠

وكان عبد الله صالحَ الشعر قليلَه ، وراوية لأخبار الخلفاء عالما بأمورهم ، روى عنه أبو زيد عُمَرُ بن شبَّة ونظراؤه ، وقد مضت فى هذا الكتاب وتأتى أخبار من روايته .

يمدح المأمون بعد أن نال منه

قال أحمد بن القاسم اليوسُفىّ : حدثنى محمد[2] بن عبد الله البواب قال : حدثنى أبى قال :

حجبت موسى وهارون خليفةً للفضلِ بن الربيع .

وخدم[3] محمدا الأمينَ فأغناه وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرّض به ، فأخبرنى إسماعيل بن يوسف قال : حدّثنى عبد الله بن أحمد الباهلىّ قال : حدثنى الحسين بن الضحّاك قال :

لما أُتِى المأمون بشعر ابن البواب الذى يقول فيه :

---

(١) فى س ، ب : « واجه » .

(٢) فى س ، ب : « عبد الله بن محمد »

(٣) فى س ، ب : « خلف موسى الأمين » .

صـــوت

أَيبخل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهوًى فَردِ !

رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملَّكه والله أعلم بالعَبْـدِ

ألا إنما المأمونُ للناس عِصمةٌ ... مُمَيِّزَةٌ بين الضَّلالة والرُّشدِ

— لعلويه فى هذه الأبياتَ رَمَل بالوسطى —

قال : فقال المأمون: أليسَ هو القائل:

أَعينىَّ جودا وابكيا لى محمَّدا ... ولا تدْخَرا دَمعا عليه وأَسْعِدا[١]

فلا فرِحَ المأمونُ بالمُلْك بعدَه ... ولا زالَ فى الدُّنيا طريدًا مشرَّدا !

هيهات ، وواحدةٌ بواحدة ! ولم يَصِلْه بشىء .

نزاع بينه وبين إسحاق

هكذا روى عن الحُسَين[٢] بن الضحاك . وقد روى أن هذين الشعرين جميعا للحسين ، وأن قولَ المأمون هذا بعينه فيه .

وقال أحمد بن القاسم حدثنى جَزْء بن قَطَن . وأخبرنى بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق ، قالا جميعا : وقع بين اسحاق وبين ابن البواب شرٌّ فقال ابن البواب شعرا ذَميما رَديئا ، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعَيِّره به وهو :

إنما أنتِ يا عنانُ سراج ... زيتُه الظَّرف والفَتيلةَ عقلُ

قاده للشقاء منى فؤادى ... رِجْل حُبٍّ لكم وللحبِّ رِجلُ[٣]

هَضَم اليوم حبُّكم كلَّ حُبٍّ ... فى فؤادى فصار حُبُّك فُجْلُ

أنت ريحانةٌ وراحٌ ولكن ... كلُّ أنثى سواكِ خَلٌّ وبَقْلُ[٤]

(١) فى هج : « ولا تحزنا » بدل « ولا تدخرا » .

(٢) كذا فى ت وفى س ، ب : الحسن بدل « الحسين » .

(٣) فى س ، ب : « رجل فنى » .

(٤) فى : هج « وروح » بدل « وراح » .

وقال حماد فى خبره وبلغ ذلك أبى فقال له :

الشعر قد أعيا عليك فخلّه وخُذ العَصا واقعدْ عَلى الأبواب

فجاء ابنُ البواب إلى إبراهيم جدّى فشكا أبى إليه فقال له : مالكَ وله يابُنىّ ؟ فقال له أبى : تعرّضَ لى فأجبته ، وإن كفّ لم أرجع إلى مساءته . فتتاركا .

قال أحمد بن القاسم : أخبرنى محمد بن الحسن بن الفضل قال : أخبرنى : إبراهيم ابن أحمد بن عبد الرحيم قال : ٥

يهوى جارية اسمها عبادة

كان بالكَرخ نخّاس يُكنى أبا عُمَير ، وكان له جوارٍ قيانٌ لهنّ ظَرف وأدب، وكان عبدالله بن محمد البواب يألف جارية منهنّ يقال لها : عبّادة ، ويكثرُ غِشْيان منزل أبى عُمَير من أجلها، فضاق ضيقة شديدةً ، فانقطع عن ذلك ، وكره أن يقصّر عما كان يستعملُه من برّهم فتعلم بضيقته ، ثم نازعته نفسُه إلى لقائها وزيارتها ، وصعُبَ عليه الصبرُ عنها ، فأتاه فأصاب فى منزله جماعةً ممن كان يألفُ جواريه ، فرحّب به أبو عمير والجارية والقومُ جميعا ، واستبطئوا زيارته ، وعاتبوه على تأخره عنهم ، فجعل يجمجم فى عذره ، ولا يصرّح ، فأقام عندهم ، فلما أخذ فيه النبيذُ أنشأ يقول : ١٠

٤٤/٢٠

لو تشكّى أبو عُمير قليلا لأتيناه من طَريق العِيادَهْ
فقضَينَا من العيادة حقًّا ونظرنا فى مُقْلَتَىْ عبّادَهْ ١٥

فقال له أبو عمير : مالى ولك يا أخى ؟ انظر فى مُقلتى عبّادة متى شئتَ غيرَ ممنوع ، ودعْنى أنانى عافية ، لا تتمنّ لى المرضَ لتعودَنى.

وقال أحمد بن القاسم :

شعره فى صديق مدمن

كان عبدالله بن إسماعيل بن علىّ بن رَيْطة يألف ابن البواب ويعاشرُه ، فشربَ عندَه يوما حتى سكر ونام ، فلما أفاق فى السّحَر أراد الانصراف ، فحلَف عليه واحتبسه ، وكان عبد الله يهوَى جارية له من جوارى عَمرو بن بانة ، فبعث إلى عمرو بن بانة فدعاه ٢٠

وسأله إحضار الجارية ، فأحضرها، وانتبه عبد الله بن إسماعيل من نومه ، وهو يتململ خُمَارًا. فلما رآها نَشِط ، وجلس فشرب ، وتمّوا يومهم ، فقال عبد الله بن محمد بنُ البواب في ذلك :

وكريمِ الجدِ محضٍ أبوه فهو الصَّقْرُ اللبابُ النُّضارُ
هاشمىٌّ لقُروم إذا ما أظلمتْ أوجهُ قومٍ أناروا
رمت القهوةُ بالنوم وهْنا عينَه فالجَفنُ فيه انكسارُ
فهو من طَرفٍ يُفَدِّيك طَوْرا ويُعاطيكَ اللواتى أداروا
ساعةً ثم انثنى حين دبَّتْ ومشتْ فيه السُّلاف العُقَارُ
وأبتْ عَينى اغتماضاً فلمَّا حان من أخرى النجوم انحدارُ
قلت : عبدَ الله حاذرتَ أمرا ليس يُغنى خائفيه الحِذَارُ
فاستوى كالهُنْدِوانىِّ لمَّا أن رأى أنْ ليس يُغنى الفِرارُ
قلتُ : خذْها مثلَ مصباحِ ليل طُيِّرتْ فى حافَيته الشِّرارُ
أقبلتْ قَطْرا نِطافا ولما يُتعب العاصرَ منها اعتصارُ[1]
هى كالياقوت حمراء شِيبتْ وعَلا الحُمرةَ منها اصفرارُ[2]
كالدنانيرِ جرى فى ذُراها فِضةٌ فالحسنُ منها قُصار[3]
تُنطِقُ الخُرس وبالصمتِ تَرمى مَعشرا نُطْقا إذا ما أحاروا

قال أحمد : وحدثنى يعقوبُ بنُ العباس الهاشمىّ أبو إسماعيل النقيب قال : لما طال سخط المأمون على ابن البواب قال قصيدة يمدحُه بها ، ودسَّ من غنّاه[4]

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : « فيها » بدل « منها » .
(٢) كذا فى ف وفى س ، ب : « شبت » بدل « شيبت » .
(٣) قصار : غاية ونهاية .
(٤) فى س ، ب : « من غنائه » .

فى بَعضها، لما وجد منه نشاطا. فسأل من قائلُها؟ فأَخْبرَ به فرضِىَ عنه، وردّه إلى رسْمه من الخِدمة، وأَنشدَنى أبو إسماعيل القصيدة، وهىَ قوله :

هل للمحبِّ مُعِينُ إذ شطَّ عنه القرينُ !
فليس يَبكى لشَجو الـ ـحزينِ إلاّ الحزينُ
يا ظاعناً غاب عنَّا غَداةَ بانَ القطينُ
أبكى العيونَ وكانتْ به تَقَرُّ العيونُ

يمدح المأمون

يأيهـا المأمون الـ مبـارَك الميمونُ(١)
لقد صفتْ بك دُنيا للمسلمين ودينُ
عليكَ نُور جلالٍ ونُور مُلك مبينُ
القول منكَ فِعَالٌ والظنُّ منك يقينُ
مامِن يديك شِمال كلتَا يديك يَمينُ
كأنما أنتَ فى الجُو د والتُّقى هارونُ
مَنْ نالَ من كل فضلٍ ما ناله المأمونُ !
تألّف الناسَ منه فضلٌ وجودٌ ولينُ
كالبدر يبدو عليه سكِينَةٌ وسكُونُ
فالرزقُ من راحتيه مقسَّمٌ مَضْمونُ
وكل خَصلةِ فضل كانتْ، فَمنه تكونُ

(١) كذا بالأصول والتشعيث هنا يقتضى أن يكون البيت هكذا
يأيها المأمون مبارك ميمون

والأبيات التي فيها الغناء المذكور آنفا أربعة أبيات ، أنشدنيها الأخفش وهى قوله :

أفِقْ أيها القلب المعذَّبُ كم تَصبو ... فلا النأىُ عن سلماك يُسلِى ولا القرْبُ

أقولُ غداة استخبَرَت مِمَّ علتى ... من الحبِّ كربٌ ليس يشبهُهُ كَربُ

إذا أبصرتك العين من بعُد غايةٍ ... فأدخلتُ شكا فيك أثبتك القلبُ

ولو أن رَكبا يمموك لقادَهم ... نَسيمُك حتى يَستدلَّ بكَ الركْبُ

فقال الأخفش مثلُ هذا البيتِ الأخيرِ قول الشاعر :

واستَودَعَتْ نشرَها الديارُ[1] فما ... تَزدادُ طيبا إلا على القِدَم

أخبرنى الحسنُ بن يحيى عن حماد بن إسحاق : قال :

يخشى العين على ساقيه

١٠ رأيتُ محمد بن عبدالله البواب وقد جاء إلى أبى مسلمٍّا فاحتبسه ، ورأيته وهو شيخ كبير ، وكان ضخْما طويلا عظيمَ الساقين كأنهما دَنَّان ، وكان يشدّ فى ساقيه خرزا أسود لئلا تصيبهما العينُ

يملق فيغنيه أبو دلف

وقال محمد بن القاسم : أملق عبدُ الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة ، وعلت سِنُّه عن[2] الخِدمة ، فرحل إلى أبى دلَف القاسم بن عيسى ، ومدحه بقصيدة ، فوهب له ١٥ ثلاثين ألفَ درهم ، وعاد بها إلى بَغداد ، فما نَفِدتْ حتى مات وهى قوله :

طرقتْك صائدةُ القلوبِ رَبابُ ... وتأتْ فليس لهـا إليك مآبُ

وتصرَّمتْ منها العهودُ وغُلِّقتْ ... من دون نيلِ طِلابِها الأبوابُ

---

(١) فى ف « الرياض » بدل « الديار » .

(٢) فى س ، ب : « من » : بدل « عن »

فَلاَ صِدفنَّ عن الهوى وطِلابِهِ فالحبُّ فيه بَلِيَّةٌ وعـذَابُ

وأخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّدا نفحاتُه للمُجْتدين رغابُ(١)

وإلى أبى دلف رحلْتُ مطيِّتى قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ(٢)

تعلوبنـا قُلَلَ الجبـال ودونَهـا مما هوتْ أهويَّة وشِعابُ(٣)

فإذا حللتَ لدى الأمير بأرضه نلتَ المُنى وتقضَّت الآراب ٥

مَلِكٌ تأثَّل عن أبيه وجدِّه مَجْدا يُقصِّر دونه الطُّلابُ

وإذا وزنتَ قديم ذى حسبٍ به خضعتْ لفضلِ قديمه الأحسابُ

قومٌ علَوْا أملاكَ كلِّ قبيلة فالناس كلُّهمُ لهم أذْنابُ(٤)

ضرَبَتْ عليه المكرماتُ قِبابَها فعلا العمودُ وطالَتِ الأطنابُ

عَقِم النساء بمثله وتعطَّلتْ من أنْ تُضَمِّن مثلَه الأصلابُ ١٠

٤٦
٢٠

(١) رغاب : جمع رغيبة ، بمعنى واسعه

(٢) الإرقال : الإسراع .

(٣) أهوية : هوة

(٤) كذا فى ث ، وفى س ، ب : له بدل « لهم »

صـــوت

صغيرُ هواكَ عذّبنى فكيف به إذا احْتُنِكَا
وأنت جمعت من قلبى هوًى قد كان مشتركا
وحبسُ هواكَ يقتُلُنى وقتلى لا يَحلُّ لكا[1]
أما تَرْثى لمكتَئِبٍ إذا ضحك الخلىُّ بَكى

الشعر لمحمد بن عبدالملك الزيات والغِناء لأبى حشيشةَ رَمل بالوُسطى عن الهشامىّ

(١) فى س ، ب : « وحبس رضاك » .

أخبار محمد بن عبد الملك الزيات ونسبه

اسمه ونسبه

هو محمدُ بن عبدالملك الزيات بن أبان بن أبى حمزة الزيات ، وأصله من جَبُّل[١] ويكنى أباجعفر . وكان أبوه تاجرًا من تجار الكرْخ المياسير ، فكان يحثُّه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابةَ وطلبَها ، وقصدَ المعالى ، حتى بلغَ منها أن وزر ثَلاثَ دفعات ، وهو أوّل مَنْ تولى ذلك وتمّ له .

أخبرنى الأخفشُ علىُّ بن سليمان قال : حدثنى عمرُ بن محمد بن عبد الملك قال :

كان جدّى موسرًا من تجار الكَرخ ، وكان يريد من أبى أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغلَ بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدبَ وطلبَه ، ويخالطُ[٢] الكُتّاب ، ويلازم الدّواوين ، فقال له ذاتَ يوم : والله ماأرى ما أنت ملازمُه ينفعك ؛ وليضُرّنّك ؛ لأنك تَدَع عاجلَ المنفعة ، وما أنت فيه مَكْفِىٌّ ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجلَ الذى لا تدرى كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلمَنَّ أيُّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أأنا أم أنت ؟ ثم شخَصَ إلى الحسن بن سهل بفم الصِّلح[٣] ، فامتدحه بقصيدته التى أولها :

كأنها حينَ تناءى خطُوها أخنَسُ مَوْشىّ الشَّوَى يرعى القَلْ[٤]

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه : لا ألومك بعدها على ما أنتَ فيه .

(١) جبل : قرية مقابلة لقرية دسكرة غربى بغداد

(٢) فى س ، ب : « يخاطب » . بدل « يخالط »

(٣) فم الصلح : موضع على نهر الصلح وهو نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبل عليه عدة قرى . والصلح كانت دار الحسن بن سهل

(٤) أخنس : ثور وحشى ، وموشى الشوى : ملون الأطراف

أخبرنى جحظة والصُّولىّ، قالا : حدثنا ميمون بن هارون : قال :

دخوله على الحسن ابن سهل

لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بنَ سهل ، ووصله بعشرة آلاف درهم مَثَلَ بين يديه وقال له :

لم امتدحْك رجاء المالِ أطلُبه ... لـكنْ لتُلبِسَنى التَّحجيلَ والغُرَرَا

٥ وليس ذلك إلا أنّنى رجلٌ ... لا أطلب الوِرْدَ حتى أعرِفَ الصَّدَرَا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مُجيدًا ، لايقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله فى ذلك ، فإن إبراهيمَ مقلٌّ وصاحب قِصار ومقطَّعات ، وكان محمدٌ شاعراً يُطيل فيجيد ، ويأتى بالقصارِ فيجيد ، وكان بليغًا حَسَن اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب .

٤٧ / ٢٠

١٠ فحدثنى عمى رحمه الله قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال :

جلس أبى يومًا للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسًا ، فقال له : ألكَ حاجة ؟ قال : نعم تُدنينى إليك ؛ فإنى مظلوم . فأدناه ، فقال: إنى مظلوم ، وقد أعوزنى الإنصاف ، قال : ومن ظَلَمَك ؟ قال : أنتَ ، ولست أصل إليكَ ؛ فأذكر حاجتى ؟ قال : ومَنْ يحجبك عنى وقد ترى مجلِسى مبذولًا ؟ قال : يحجبنى عنك هَيْبتى لك

١٥ وطول لسانك ؛ وفصاحتُك ، واطراد حُجتك ، قال : ففيم ظلمتك؟ قال : ضَيعتى الفلانية أخذها وكيلك غَصْبًا بغيرِ ثمن ، فإذا وجب عليها خراجٌ أدّيته باسمى لئلا يثبتَ لك اسم[1] بملكها ، فيبطل مِلكى ، فوكيلك يأخذ غلّتها ، وأنا أؤدى خراجها ،

ينصف خصمه من نفسه

وهذا مما لم يسمعْ فى الظلم مثله ، فقال محمد : هذا قولٌ تحتاج عليه إلى بَيِّنَة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل : أيؤمننى الوزير من غضبه ، حتى أُجيبَ ؟ قال : قد أمَّنْتك ،

٢٠ (١) كذا فى ف والديوان وفى س ، ب : « اسم فى ملكها».

قال : البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليسَ يحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك : بيّنة وشهود وأشياء ، أيش هذه الأشياء إلا العىّ والحصر والتغطرس(١) ؟ فضحك ، وقال : صدقتَ ، والبلاء موكّلٌ بالمنطق ، وإنى لأرى فيك مصطَنَعاً ، ثم وقّع له بردّ ضَيعته وبأن يطلق له كُرٌّ حِنطة(٢) وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عِمارة ضَيعته ، وصيّره من أصحابه ، واصطَنَعه . ٥

أخبرنى الصُّولىّ : قال : حدّثنى أحمد بن محمد الطالَقانِىّ(٣) قال : حدثنى عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال :

لمّا وثب إبراهيم بن المهدىّ على الخلافة ، اقترضَ من مياسير التُّجّار مالا ، فأخذ من جدّى عبد الملك عشرَة آلاف درهم(٤) ، وقال له : أنا أردُّها إذا جاءنى مال ، ولم يتم أمرُه فاستخفَى ، ثم ظهر ورضىَ عنه المأمونُ ، فطالَبه الناسُ بأموالهم ، فقال : إنما أخذتُها ١٠ للمُسلمين ، وأردتُ قضَاءها من فيئهم ، والأمرُ الآن إلى غيرى ، فعمل أبى محمدُ بنُ عبد الملك قصيدَةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدى ، فأقرأه(٥) إياها وقال : والله لئن لم تُعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأوصلنّ هذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف أن يقرأها المأمون ، فيتدبّر ما قاله ، فيُوقع به ، فقال له : خذ منى بعضَ المال ، ونجّم علىّ بعضه ، ففعل أبى ذلك بعد أن حلّفه إبراهيمُ بأوكد الأيمان ألاّ يظهر ١٥ القصيدة فى حياة المأمون ، فوفّى له أبى بذلك ، ووفّى إبراهيم بأداء المال كله .

يهدد إبراهيم بن المهدى

والقصيدة قوله :

---

(١) التغطرس : التعالى عن الشىء .

(٢) كر حنطة : أربعون أردبا .

(٣) الطالقانى نسبة إلى طالقان ، وهى بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروز وبلخ ، ٢٠ والأخرى بين قزوين وأبهر ، وضبطها ياقوت بفتح اللام .

(٤) فى ف « دينار »

(٥) فى س ، ب « فاقرأها » اياه

أَلم ترَ أن الشيء للشيء علَّةٌ تكونُ له كالنار تُقدَح بالزَّندِ
كذلكَ جرّبْتُ الأمورَ وإنما يدُلُّك ما قد كان قبلُ على البَعْدِ
وظنِّي بإبراهيمَ أنّ مكانَه سيُبعث يوما مثلَ أيامه النُّكْدِ[1]
رأيت حُسَيْنًا حين صار محمد بغير أمان فى يديه ولا عَقدِ[2]
٥ فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ فصيَّره بالقاع مُنْعفِر الخَدِّ
إذا لم تكنْ للجند فيه بقيةٌ فقد كان ما خُبِّرتُ من خبرِ الجُندِ
هُمُ قتلوه بعد أن قَتلوا لـه ثلاثين ألفا من كهول ومن مُرْدِ
ومـا نصروه عن يَدٍ سلفَتْ له ولا قتلوه يوم ذلكَ عن حِقدِ
ولكنه الغدرُ الصُّراح وخِفةُ الـ حُلوم وبعدُ الرأيِ عن سَنَنِ القَصدِ
١٠ فذلك يوم كان للناس عبرةً سيبقى بقاء الوَحْى فى الحَجر الصَّلدِ[3]
وما يوم إبراهيم إن طال عمرُه بأبعد فى المكروه من يومه عِندى
تـذكّر أميرَ المؤمنين مقـامَه وأيمانه فى الهزلِ منه وفى الجَدّ
أمـا والذى أمسيتَ عبدا خليفةً له شرُّ أيمان الخليفة والعبـدِ
إذا هزَّ أعـــوادَ المنابر باستهِ تغنَّى بليلَى أو بميَّةَ أو هِنـــدِ
١٥ فوالله ما من تَوبةٍ نزعتْ به إليك ولا مَيلٍ إليك ولا وُدِّ

(١) النكد : المشئومة ، جمع أنكد .
(٢) لعله يقصد بالحسين : والد طاهر بن الحسين الذى قتل الأمين
(٣) الوحى : الكتابة .

٤٨
٢٠

ولكنَّ إخلاصَ الضمير مقرِّبٌ إلى الله زُلْفى لا تَخيبُ ولا تُكدِى
أتاكَ بها طوعا إليكَ بأنفه على رغمه واستأثَرَ اللهُ بالحَمْدِ
فلا تترُكنْ للناسِ موضعَ شُبهة فإنك مَجْزِىّ بحسْب الذى تُسدِى
فقد غَلِطوا للناس فى نَصب مثلِه ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المَهدِى(١)
فكيف بمن قد بايع الناسَ والتقتْ ببيعته الركبانُ غَوْرا إلى نَجـدِ ٥
ومن سكَّ تسليمُ الخـلافة سَمْعَهُ ينادَى به بين السِّماطينِ من بُعْدِ
وأى امرئٍ سمَّى بها قطُّ نفسَه ففارقها حتى يُغيَّبَ فى اللَّحدِ
وتزعُم هـذى النـابتيّة أنَّه إمامٌ لها فيا تُسِرُّ وما تُبدِى(٢)
يقولون سُـنِّىٌّ وأيّةُ سُنَّة تقومُ بجَوْن اللون صَعْل القفا جَعْدِ(٣)
وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بعَهده زعيما له باليُمنِ والكوكَب السَّعْدِ ١٠
إذا ما رأوا يوما غلاء رأيتَهم يَحِنّون تَحنانا إلى ذلك العَهدِ
وإقباله فى العيد يوجَف حولَه وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْدِ(٤)
ورجّالةٍ يمشون بالبيضِ قبله وقد تَبعوه بالقضيبِ وبالبُردِ

---

(١) فى س ، ب : « بالمنصور »
(٢) النابتية : أو النوابت – طائفة من الحشوية أحدثوا بدعا غريبة فى الإسلام . ١٥
(٣) كذا فى ف والديوان . وصعل القفا : كناية عن لؤم الحسب . وجعد : بخيل
(٤) يوجف حوله : يسرع ، وفى ف والديوان «اصطكاك» : بدل « اصطفاق » وهما بمعنى واحد ، وهو اهتزاز وتحرك .

فإن قلتَ قد رام الخلافةَ غيرُهُ فلم يؤتَ فيما كان حاول من جَدِّ
فَلمْ أجزه إذ خيَّبَ اللهُ سعيَه على خطإٍ إذ كان منه ولاعمَدِ[1]
ولم أرضَ بعد العفوِ حتّى رفعته وللعَمِّ أولى بالتَّعَهُّد والرِّفْدِ[2]
فليس سواءٌ خارجيٌّ رَمى به إليكَ سفاهُ الرأى والرأىُ قد يُرْدى
٥ تعاوتْ له من كل أوْبٍ عِصابةٌ متى يُورِدُوا لا يُصدروه عن الورْدِ[3]
ومَن هو فى بيتِ الخلافة تَلْتقى به وبك الآباءُ فى ذِروة المجدِ
فمولاكَ مولاه وجندُك جندُه وهل يجمع القينُ الحُسامين فى غِمدِ؟
وقد رَابنى من أهل بيتك أننى رأيتُ لهم وجدا به أيّما وَجدِ
يقولون لا تبعَد من ابن مُلمَّةٍ صبورٍ عليها النفسَ ذِى مِرَّة جَلْدِ
١٠ فَدانا وهانتْ نفسُه دونَ مُلكنا عليه لذى الحال التى قلَّ من يفدى[4]
على حين أعطى الناسَ صَفْقَ[5] أكفِّهم علىُّ بنُ موسى بالولاية والعَهدِ
فما كان فينا من أبَى الضَّيْم غيرُه كريمٌ كفى ما فى القبول وفى الرَّدِّ
وجرَّد إبراهيمُ للموتِ نفسَه وأبدى سلاحا فوق ذى مَيعةٍ نَهْدِ[6]
وأبلى ومَن يبلغْ من الأمر جُهدَه فليسَ بمذمومٍ وإن كان لم يُجْدِ
١٥ فهذى أمورٌ قد يخافُ ذَوُو النهى مَغَبَّتَها واللهُ يهديكَ للرشْدِ

(١) كذا فى ف و فى س ، ب والديوان : «على عمد»
(٢) فى هج ، هد «ولم أر» بدل «ولم أرض» وفى الديوان هج : «رفدته» بدل «رفعته» .
(٣) كذا فى ف والديوان ومعناه اجتمعوا وفى س ، ب «تعادت» بدل «تعاوت»
(٤) فى الديوان : «عليه على الحين الذى قل من يفدى» . (٥) ف : «صفو»
٢٠ (٦) ذو ميعة : أول جرى الفرس ونشاطه . نهد : جسيم مشرف .

أخبرنى الصولىّ ، قال : حدثنى عبد الله بن الحسين القُطربُلّىّ ، عن جعفر بن محمد ابن خَلَف قال :

يزرى بيحيى بن خاقان

قال لى المعلّى بن أيوب : كيف كان محلُّ يحيى بن خاقان عند محمد بن عبد الملك ومقدارُه ؟ فقلت له : سمعتُ محمداً يذكره ، فقال : هو مهزولُ الألفاظ ، عليلُ المعانى سخيف العقل ، ضعيفُ العُقدة[1] ، واهى العزْم مأفونُ الرأى .

قال عبدُ الله :

لا يلبس القباء

ولما تولى محمد بن عبدالملك الوزارة ، اشترط ألاّ يلبسَ القَباء ، وأن يلبس الدُّرّاعة[2] ويتقلّدَ عليها سيفا بحمائل ، فأجيب إلى ذلك .

أخبرنى الصولىّ ، قال : حدّثنى أبو ذَكْوان ، قال : حدثنى طمّاس ، قال ميمونُ ابنُ هارون :

مَن لا يرحم لا يرحم

كان محمد بن عبد الملك يقول : الرَّحْمة خَوَرٌ فى الطبيعة ، وضَعفٌ فى المُنَّة ، ما رحمتُ شيئا قط . فكانوا يطعنون عليه فى دينه بهذا القول ، فلما وُضع فى الثِّقْل[3] والحديد قال : ارحَمونى ، فقالوا له : وهل رحمتَ شيئا قطُّ فتُرحَم ! هذه شهادتُكَ على نفسِك وحكمُك عليها

أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنى أبو ذَكوان ، قال : حدثنى طماس ، قال :

جاء أبو دَنْقش الحاجبُ إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضُر ، فدخل ليلْبَس ثيابه ، ورأى ابن دنْقَش الحاجب غِلمانا لهم رُوقة[4] فقال : وهو يظنُّ أنه لا يسمع :

وعلى اللواط فلا تلومَنْ كاتِباً إن اللّواط سَجِيَّة الكُتّابِ

---

(١) العقدة : الولاية

(٢) الدراعة : ثوب كالجبة مشقوق المقدم يعمل من الصوف خاصة

(٣) فى هج ، هد « فى التنور والحديد» بدل « فى الثقل والحديد »

(٤) غلمان لهم روقة : حسان ، جمع رائق

فقال محمد له :

وكما اللواطُ سجيةُ الكُتَّابِ فكذا الحُلاقُ سَجِيَّةُ الحُجَّابِ[1]

لا اعتذار مع القصاص

فاستحيا ابن دَنْقَش ، واعتذرَ إليه ، فقال له : إنما يقع العُذر لو لم يقع الاقتصاص فأما وقد كافأتكَ فلا .

٥ أخبرني الصوليّ ، قال : حدثني محمد بن موسى ، قال :

يرثي سكرانة

أنشدني الحسنُ بنُ وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا ، يرثي بها سكرانةَ أمَّ ابنه عُمَر ، وجعل الحسنُ يتعجب من جودتها ، ويقول :

يقول ليَ الخِلَّانُ لو زرتَ قبرها فقلتُ : وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ

على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرَها ولم أبلغ السنَّ التي معها الصبرُ

١٠ أخبرني محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقيّ ، قال :

اعتذاره إلى عبدالله بن طاهر

استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أموره ، واتَّهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه ، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك ، وكتبَ في آخر كتابه يقول :

أتزعُم أنني أهوَى خليلاً سواكَ على التّداني والبِعادِ

جحدتُ إذًا مُوالاتي عليًّا وقلت بأنني مولى زيادِ

١٥ قرأت في بعض الكتب :

كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصبهانيّ يخلُفُ عمرَو بنَ مَسعدة على ديوان الرسائل ، فكتب إلى خالدِ بنِ يزيدَ بنِ مزيد : إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخُ منك في غير فَحْم ، ويخاطب امرأً غيرَ ذي فهم ، فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلام ساقط سخيف ؛ جعل أميرَ المؤمنين ينفخُ بالزِّق كأنه حدَّاد ، وأبطل الكِتاب ثم كتب

٥٠ / ٢٠

واحدة بواحدة

٢٠ (١) الحلاق : داء الأبنة .

محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر . وأنت تُجرى أمرَك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسعى [(١)] بنقصان ، ولا تميل برجحان ، فقال عبدُ الله الأصبهانى : الحمد لله ، قد أظهرَ من سخافة اللفظ مادل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره رِبح السِّلع ، ورُجحان الميزان ، ونُقصان الكيل ، والخُسران من رأس المال . فضحك المعتصِمُ ، وقال : ما أسرع ما انتصف الأصبهانىّ من محمد ، وحَقدها ٥ عليه ابن الزيات ، حتى نكبه .

أخبرنى الأخفشُ عن المبرِّد قال :

نظر رجل كان يُعادَى يونس النحوى إليه وهو يُهادَى [(٢)] بين اثنين من الكِبَر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغتَ ما أرى ؟ فعلم يُونس أنه قال له ذلك شامتاً . فقال : هذا الذى كنتُ أرجو فلا بلغته ، فأخذه محمدُ بنُ عبد الملك الزيّات : فجعله فى شعر فقال : ١٠

أدعاء له أم عليه

وعـــائبٍ عابنى بِشيْبٍ لم يعْدُ لمّا ألمّ وقتَهْ
فقلتُ إذ عابنى بشــيْبى : يا عائبَ الشيبِ لا بلغتَهْ

وذكر أبو مَروان الخزاعىّ [(٣)] أن أبا دُهمان المغنِّىَ سَرَق من محمد بن عبدالملك منديلا دَبَقيًّا [(٤)] فجعلَه تحتَ عِمامته ، وبلغ محمداً ، فقال فيه :

وندِيمٍ ســارقٍ خانَنى وهو عنــدى غـيرُ مذموم الْخُلُقْ ١٥
ضاعفَ الكَوْرَ على هامتـه وطوى منديلَنا طىَّ الخِرَقْ
يا أبا دُهمانَ لو جاملْتَنا لكفينــاكَ مَئُوناتِ السَّرَقْ

منديل تحت عمامة

(١) فى م ، ا ، تشعر بدل « تسعى » .
(٢) فى هج « يتهادى » بدل « يهادى »
(٣) ف : « الخرائطى » . ٢٠
(٤) دبقيا : نسبة الى دبيق كأمير ، قرية كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر مشهورة بالثياب الدبقية ، وهى ثياب رقيقة تكور عمائم ، وقد ترقم بأسلاك الذهب .

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بَحر الأصبهانى ، قال :

كنتُ عند أبى الحسين بن أبى البغْل لما انصرف عن بَغداد بعد إشخاصه إليها للوَزارة وبُطْلانِ ما نذَرَه من ذلك ورجوعه ، فجعل يحدّثنا بخبره ، ثم قال : لله درُّ محمد ابن عبد الملك الزيات حيث[1] يقول :

ترجوه فتحرمه

٥ ما أعجبَ الشيء ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أحسبُ أنى قد ملأتُ يدى
ما لى إذا غبتُ لم أُذكَرْ بصالحةٍ وإن مَرِضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ[2]

أخبرنى الصولىّ ، قال : حدثنى عوْن بن محمد الكِنْدىّ ، قال : حدثنى عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، قال :

وصفَنى محمدُ بنُ عبد الملك للمعتصم ، وقال : ما له نظيرٌ فى ملاحة الشعر والغناء ١٠ والعلم بأمورِ الملوكِ ، فلقيتُه فشكرتُه ، وقلت : جُعِلتُ فِداءك ! أتَصِف شِعرى وأنت أشعرُ الناس ؟ ألستَ القائلَ :

ألم تعجب لمكتئبٍ حزينٍ خَدين صَبابة وحليفِ صبرِ
يقولُ - إذا سألتَ به - : بخَيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخَيْرِ ؟

قال : وأين هذا ، من قولك ؟

يتبادلان المدح

١٥ يقولُ لى كيفَ أصبحتَ كيفَ يُصبح مِثلى
ماءٌ ولا كصدّاء[3] ، ومرعى ولا كالسَّعْدان[4] .

أخبرنى الصولىّ ، قال : حدّثنى عَون بنُ محمد: قال : لقى الكنجى[5] محمد بن عبد الملك فسلَّم عليه فلم يجبه ، فقال الكنجىّ :

---

(١) فى م ، أ : « حين » بدل « حيث » .
٢٠ (٢) فى هد ، هج « بواحدة » بدل «بصالحة»
(٣) صداء : ركية ما عندهم أعذب منها .
(٤) السعدان : نبت من أفضل ما يرعى .
(٥) ب ، س : « الكتنبجى »

٥١ / ٢٠

هذا وأنت ابنُ زياتٍ تُصغِّرنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابن عطّار ؟

لا ينتصف من ساقط أحمق

فبلغ ذلكَ محمداً ، فقال : كيفَ يُنتصفُ من ساقط أحمق ، وَضْعُهُ رَفْعُهُ ، وعقابُهُ ثوابُهُ .

أخبرنى الصولىّ ، قال : أخبرنى عبدُ الله بن محمد الأزدىّ ، قال : حدثنى يعقوبُ بن التّمار ، قال :

أضيع ميتة

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخّرك عنا ؟ قال : موتُ أخى ، قال : بأىّ علة ؟ قال : عضّتْ أصبعَه فأرة ، فضربتْه الحُمْرة[1] ، فقال محمد : ما يرد القيامةَ شهيدٌ أخسُّ سبباً ، ولا أنذلُ[2] قاتلا ، ولا أضيَعُ مِيتةً ، ولا أظرفُ قِتلة من أخيك .

أخبرنى عمى عن أبى العَيناء ، قال :

كان محمد بن عبد الملك يُعادى أحمدَ بن أبى دوَاد ، ويهجوه ، فكان أحمدُ يجمع الشعراء ، ويُحرّضهم على هجائه ويَصلُهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين ، كانا أجودَ ما هُجِىَ به ، وهما :

خمسون بيتا فى بيت

أحسن من خَمسين بيتاً سُدًى جمعُـك إيّاهُنّ فى بيت

ما أحوجَ النـاسَ إلى مَطرة تُذهبُ عنهم وَضَرَ الزيت[3]

وكان ابن أبى دوَاد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلا وهو يقدرُ على قول الشعر ، طبعاً رُكِّب فيهم ، قَلّ قولُه أو كَثُر .

(١) الحمرة : ورم من جنس الطواعين ينشأ عن اتساخ جرح .

(٢) كذا فى ف ، م ، ا ، وفى س ، ب «أنزل» بدل «أنذل»

(٣) رواية البغدادى فى الخزانة :

أحسن من تسعين بيتا سدى جمعك معناهن فى بيت

ما أحوج الملك إلى مطرة تغسل عنه وضر الزيت

أخبرنا الصولىّ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ موسى عن الحَسَن بن وَهب ، قال :
أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدَته التى يقول فيها :
* لهان علينا أن نقولَ وتفعلا[1] *
فأثابه عليها ووقَّع عليه :

أبو تمام يمدحه

٥ رأيتك سهلَ البيع سمحاً وإنما ... يُغالَى إذا ما ضنَّ بالشىء بائعُه
فأما الذى هانتْ بضائعُ بيعِه ... فيُوشك أن تَبقى عليه بضائعُه
هو الماءُ إن أجْمَمْتَه طاب وِردُه ... ويُفسدُ منه أن تباحَ شرائعُه
فأجابه أبو تمام وقال :
أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعراً ... أُسامِحُ فى بيعى له من أُبايعُه
١٠ فقد كنتَ قبلى شاعراً تاجراً به ... تُساهل من عادتْ عليك منافعُه
فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعٌ ... يَغَصّ به بعدَ اللذاذة كارعُه
وكمْ من وزيرٍ قد رأينا مُسلَّطا ... فعاد وقد سُدَّتْ عليه مطالعُه
ولله قوسٌ لاَ تطيش سهامُها ... ولله سيفٌ لا تُفَلُّ مقاطعُه
حدثنى الصُّولىّ ، قال : حدثنى محمدُ بن يحيى بن عباد ، قال : حدثنى أبى ، قال :
١٥ حجّ محمد بن عبد الملك فى آخر أيام المأمون ، فلما قَدِم كتب إليه راشدٌ الكاتبُ قولَه :

راشد الكاتب يطلب منه هدية

لا تنسَ عهدى ولا مودَّتيَهْ ... واشتَقْ إلى طَلعتى ورُؤْيتِيَهْ

(١) عجزه : * ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا *

(١ إن غبتَ عنا فلم تغب كثرة الـ ذكر فلا تغفُلَن هديتيَــهْ
التمر والنقل والمساويك والقسـ ـب وخير النعال حسن شِيَه١)
فإن تجاوزتَ ما أقول إلى العَصْـ ـبِ فذاك المأمولُ منك لِيَهْ(٢)

فأجابه محمدُ بن عبد الملك :

إنك منّى بحيثُ يطّردُ الناظــرُ من تحت ماء دَمْعَتِيَــهْ(٣) ٥
ولا ومَن زادنى توَدُّدُه على صِحابى بفضل غَيْبَتِيَــهْ
ما أحسن التركَ والخلافَ لما تريدُ منى وما تقولُ لِيَــهْ
يا بأبى أنتَ ما نسيتُك فى يوم دُعائى ولا هَدِيَّتِيَــهْ
ناجيتُ بالذكر والدُّعاء لك اللّــهُ لدى البيت رافعاً يَدِيَهْ
حتى إذا ما ظننتُ بالملكِ القـ ـادر أن قد أجاب دَعْوَتِيَــه ١٠
قمتُ إلى موضع النعالِ وقدْ أقمت عشرينَ صاحباً مَعِيَهْ
وقلتُ لى صاحبٌ أريد له نَعْلا ولو مِن جلود راحَتِيَــهْ
فانقطع القولُ عند واحدةٍ قال الذى اختار يا بِشَارَتِيَــهْ
فقلتُ عندى لك البشارةُ والشُّكرُ وقَلاَّ فى جَنب حاجَتِيَــهْ
ثم تخيّرتُ بعد ذاك من الْعَصْـ ـب اليَمانى بفضل خِبْرَتِيَــهْ ١٥
موشــيَّةً لم أزلْ بِبائعها أُرغِبُ حتى زها علىَّ بِيَــهْ

٥٢/٢٠

(١-١) التكملة من هد ، هج
(٢) العصب : ضرب من البرود
(٣) كذا بالنسخ وفى الديوان نقلا عن طبقات الشعراء ولابن المعتز « يطرف » .

يرفعُ فى سومِه وأُرغِبُــــه | حتى التقى زهــدُه ورَغْبَتِيَهْ
وقد أتاكَ الذى أمرتَ به | فاعذِرْ بكثْر الإنعــام قِلَّتِيَهْ

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمدُ بنُ يزيد المبرِّد ، قال :

كان لمحمد بن عبد الملك برذونٌ أشهب لم يُرَ مثلُه فراهةً وحسناً ، فسعى به محمدُ بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم ، ووصف له فراهته[1] ، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه ، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه :

المعتصم يأخذ برذونه فيقول فى ذلك شعراً

كيف العَزاء وقد مضى لسبيلهِ | عنا فودَّعنا الأحمُّ الأشهبُ ![2]
دبَّ الوشاةُ فأبعـدوك ورُبَّمـا | بَعُدَ الفتى وهو الأحبُّ الأقربُ
لله يومَ نأيتَ عنّى ظاعنـــا | وسُلبتُ قربَك أىَّ عِلْقٍ أُسلَبُ
نفسٌ مفرَّقةٌ أقام فريقُهـــا | ومضى لِطِيَّتِــه فريقٌ يُجنَبُ
فالآن إذ كُملت أداتُك كلُّهـا | ودعا العيونَ إليـك لونٌ معجِبُ
واختيرَ من سرِّ الحدائد خيرُها | لك خالصاً ومن الحُلِىِّ الأغربُ
وغدَوتَ طَنَّان اللِّجام كأنمـا | فى كل عُضو منك صَنْجٌ يُضربُ
وكأنّ سرجَك إذ علاك غَمامةٌ | وكأنمـا تحتَ الغمامةِ كوكبُ
ورأى علىَّ بك الصديقُ جلالةً | وغدا العدوُّ وصـدرُه يتلهّبُ
أنساكَ لا زالت إذًا منسيَّةً | نفسِى ولا زالت يَمينِىَ تُنكَبُ[3]

(١) فراهته : حسنه ونشاطه .
(٢) الأحم الأشهب : الأسود .
(٣) كذا فى ف والديوان ، وفى سائر النسخ «منيته» وفى هج « بمثلك تنكب » .

أضمرتُ منك اليأسَ حين رأيتُنى وقُوَى حبالى من قُواك تقضَّبُ
ورجعتُ حين رجعتُ منكَ بحسرة لله ما فعــــل الأصمُّ الأشيبُ[1]

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان — رضـوانُ الله عليه — قال : حدثنى محمدُ بنُ ناصح رحمةُ الله عليه ، قال :

ناظر له ناظر

لحقتْ غلاَّتِ أهلِ البَتِّ[2] آفةٌ فى أيام محمد بن عبد الملك من جَراد وعَطَش ، فتظلَّم[3] إليه جماعة منهم ، فوجّه ببعض أصحابه ناظراً فى أمرهم ، وكان فى بصره ضَعْف، فكتب إليه محمد بن علىّ البَتّى :

أتيتَ أمراً يا أبا جعفــــرٍ لم يأته بَرٌّ ولا فاجــــرُ
أغثتَ أهلَ البتِّ إذ أهلِكوا بنـــــاظرٍ ليس له ناظـــرُ

فبلغه ، فضحِك وردّ الناظرَ ووقّع لهم بما سألوا بغير نَظر .

أخبرنى الصولىّ رضى الله عنه قال : حدثنى محمدُ بن يحيى بن أبى عبّاد عن أبيه رضى الله عنهما قال :

مساجلة بينه وبين على بن جبلة

قال علىّ بن جَبَلة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان قد قصدَ أبا دُلَف القاسم ابن عيسى فى بعض أمره :

يا بائعَ الزيتِ عرِّج غيرَ مرموقِ لتُشـغلَنّ عن الأرطال والسوق
من رام شتمكَ لم ينزِع إلى كَذبٍ فى مُنْتَماكَ وأبداه بتحقيـــق
أبوك عبدٌ وللأمِّ التى فلقت عن أمِّ رأسك هَنٌ غيرُ محلوقِ

(١) كذا فى ف والديوان وفى سائر النسخ : الأحم الأشيب ، والمراد به ذم محمد بن خالد
(٢) البت : قرية من أعمال بغداد قريبة من راذان
(٣) كذا فى ف وفى سائر النسخ « تكلم » .

إن أنتَ عدّدت أصلا لا تسبُّ به ... يوماً فأمُّك منى ذَاتُ تَطليقِ
ولن تطيقَ بحولٍ أن تُزيل شَجًا ... أثبتُّه منك فى مستنزَلِ الرِّيقِ
الله أنشاك من نَوْكٍ ومن كَذِب ... لا تعطفنَّ إلى لؤمٍ لمخلوقِ
ماذا يقول امرؤ غشّاك مِدحتَه ... إلا ابنُ زانية أو فرخُ زِنديقِ ؟

٥ فأجابه محمد :

اشمخ بأنفك يا ذا السيِّء الأدبِ ... ما شئتَ واضرب قذال الأرضَ بالذنَبِ
وارفع بصوتك تدعو مَن بذى عَدَنٍ ... ومَن بقالىقَلا بالويل والحَرَبِ[1]
ما أنتَ إلا امرؤٌ أعطى بلاغتَه ... فَضْلَ العِذار ولم يربعْ عَلَى أدبِ[2]
فاجمح لعلّك يوما أن تعضَّ على ... لُجُمٍ دِلاصيَّةٍ تَثنيكَ من كَثَبِ[3]
١٠ إنّى اعتذرت فما أحسنتَ تسمعُ مِن ... عُذرى ومن قبلُ ما أحسنتَ فى الطَّلَبِ
صَبْراً أبا دُلَفٍ فى كل قافيةٍ ... كالقِدْرِ وَقْفًا على الجارات بالعُقَبِ[4]
يا ربّ إن كان ما أنشأتَ من عرَبٍ ... شَرْوَى أبى دُلَفٍ فاسخَطْ على العربِ[5]
إنّ التعصُّبَ أبدى منك داهيَةً ... كانَتْ تُحجَّبُ دونَ الوهم بالحُجُبِ

فأجابه على بن جَبَلة :

١٥ نبّهتَ عن سِنَةٍ غينيكَ فاصطبرِ ... واسحب بذيلك هل تَقفُو عَلَى أثرٍ ؟[6]

---

(١) قالى قلا : مدينة بأرمينية من نواحى خلاط ، بلد أبى على القالى صاحب الأمالى .
(٢) يربع : يقف
(٣) لجم دلاصية : ملساء براقة .
(٤) العقب : جمع عقبة : أى شىء من المرق يرده مستعير القدر
٢٠ (٥) شروى : مثل ، وفى هج « من أنشأنا » بدل « ما أنشأت » .
(٦) كذا فى ف ، وفى س ، ب «لقفو» ، ومعنى تقفو : تمحو .

إن يَرحَضِ اللهُ عنى عارَ مُطّلَبى إليكَ رِفداً ألا فامجدْ به وغُرِ[1]
إنى ودعواكَ أن تأتى بمكرُمةٍ كمُنبضِ القوسِ عن سَهمٍ بلا وتَرِ
فاردد جُفونكَ حَسْرَى عن أبى دُلَفٍ ولا ملامَةَ أن تعْشَى عن القَمرِ
لا يسخطنّ امرؤ إن ذلّ من حَسبٍ فالله أنزلَه فى محكَم السُّورِ
لم آتِ سَوْءاً ولم أسخَط عَلَى أحدٍ إلّا عَلَى طَلَبى فى مُجْتدَى عَسرِ[2]
أقصِرْ أبا جعفرٍ عن سَطْوَةٍ جمحَت إن لم تُقصِّر بها مالتْ إلى القِصَرِ

فأجابه محمدُ بنُ عبد الملك :

يأيُّها العائبى ولم يرَ لى عيباً أما تنتهى فتزدجِرُ !
هل لكَ وترٌ لدىّ تطلبُه فأنت صَلدٌ ما فيك معتَصَرُ
فالحمدُ والمجدُ والثناء لنا وللحسودِ التّرابُ والحَجَرُ

وهى طويلة يقول فيها :

تعيشُ فينا ولا تلائمُنا كما تعيشُ الحميرُ والبقَرُ
تُغلِى علينا الأشعار منكَ وما عندكَ نَفعٌ يُرجَى ولا ضَرَرُ

أخبرنى عمى — رحمه الله — قال : حدّثنى عمرُ بنُ نصر الكاتب ، قال : حدثنى عمى علىّ بن الحسن بن عبد الأعلى ، قال محمد :

فارس ذا الفارس

اجتاز بديعٌ غلامُ عُمير المأمونىّ بمحمد بن عبد الملك الزيات ، وكان أحسنَ خلق الله وجهاً ، وكانَ محمّد يحبُّه ويُجنُّ به جنوناً فقال :

راح علينا راكباً طِرفَهُ أغْيَدُ مثلُ الرشأِ الآنسِ

(١) فى س ، ب : «مطلبتى» بدل « مطلبى »

(٢) اجتداه : سأله حاجة ، والمراد هنا سؤال صعب النوال .

قد لبس القُرطُقَ واستمسكتْ كفّاه من ذى بُرَقٍ يابِسِ[1]

وقُلِّد السيفَ على غُنْجِه كأنهُ فى وقعة الدّاحِسِ

أقول لمّا أن بدا مُقْبِلاً يا ليتنى فارسُ ذا الفارسِ[2]

أخبرنى الأخفشُ ، قال : حدثنى محمدُ بنَ يزيد قال :

٥ دامت الأمطارُ بسُرَّ مَنْ رأى ، فتأخّر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزيرٌ ، والحسن يكتبُ له ، فاستبطأه[3] محمد بن عبد الملك ، فكتب إليه الحسنُ يقول :

أوجبَ العذرَ فى تراخى اللقاء ما توالَى من هذه الأنواء

سماء تعوقنى عن سماء

لست أدرى ماذا أقولُ وأشكو من سماء تعوقُنى عن سماء

١٠ غيرَ أنى أدعو على تلكَ بالثُّكْـ ـلِ وأدعو لهذِه بالبقاء

فسلام الإله أهدِيه غضًّا لك منى يا سيِّد الوُزَراء

أخبرنى الصُّولىّ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ موسى ، قال :

اعتلّ الحسنُ بن وهب ، فتأخّر عن محمد بن عبد الملك أياماً كثيرةً ، فلم يأته رسولُه ، ولا تعرَّف خبره ، فكتب إليه الحسنُ قولَه :

مساجلة بينه وبين الحسن بن وهب

١٥ أيُّهذا الوزيرُ أيّدكَ اللـ ـهُ وأبقاكَ لى بَقاءً طويلا

أجميلا تراه يا أكرمَ النا س لكيما أراه أيضاً جميلا

إننى قد أقمتُ عَشراً عليلا ما ترى مرسِلا إلىّ رسولا[4]

---

(١) القرطق : القباء

(٢) فى م ، أ : « راكب » بدل « فارس » .

٢٠ (٣) ب ، س : « فاستبطأ »

(٤) فى هج « شهرا » بدل « عشرا »

إن يكن موجب التعمّد فى الصّحـ ـه مَنًّا علىّ منكَ طويلا[١]
فهو أولى يا سيدَ الناس بِرًّا وافتقاداً لمَن يكون عليلا
فلماذا تركتَنى عُرضة الظنّ من الحاسدينَ جِيلا فجِيلا ؟
ألِذَنبٍ فما علمتُ سوى الشكـ ـر قرينا لنيّتى ودَخِيلا ؟
أم ملالٍ ، فما علمتك للصا حبِ مثلى على الزمانِ مَلولا ؟ ٥
قد أتى اللهُ بالشفاء فما أعْـ ـرفُ مما أنكرتَ إلا قليلا
وأكلتُ الدُّرّاج وهو غِذَاءٌ أفلَتَتْ علّتى عليه أفولا[٢]
بعد ما كنتُ قد حملتُ من العلّـ ـةِ عِبْئًا على الطِّباع ثقِيلا
ولعلّى قَدِمتُ قبلَك آتيـ ـكَ غَداً إن وجدتُ فيه سَبيلا

فأجابَهُ محمدُ بنُ عبد الملك : ١٠

دفع اللهُ عنـكَ نائبةَ الدّهـ ـر وحاشاكَ أن تكونَ عَليلا
أشهـدُ اللهَ ما علمتُ وماذا كَ من العُـذرِ جائزًا مقبولا
ولعَمرى أن لَو علمتُ فلازمتُـ ـك حولاً لكان عِندِى قَليلا
إننى أرتجِى وإن لم يكنْ ما كان مما نَقَمتُ إلا جليلا
أن أكونَ الذى إذا أضمر الإخـ ـلاصَ لم يلتمِسْ عليه كَفيلا ١٥
ثم لا يبـذُلُ المودّة حتى يجعلَ الجهدَ دُونها مَبذولا
فإذا قال كانَ ما قال إذْ كا نَ بعيداً من طَبعه أن يَقولا

---

(١) فى م : «التعهد» بدل « التعمد » .

(٢) الدراج : كرمان طائر من طير العراق أرقط ، وفى هج « الدجاج » بدل « الدراج » .

فاجعلَنْ لى إلى التعلُّق بالعُـذ ـرِ سَبيلاً إن لم أجد لى سَـبيلا

فقـديمًا ما جادَ بالصفْح والعفـ ـوِ وما سامحَ الخليلُ الخليـلاَ

قال : وكتبَ محمدُ بن عبد الملك إلى الحَسَن بن وهب وقد تأخَّر عنه :

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبَرٌ ماذا تراه دَهاه قلت : أيْلوْلُ[1]

شهر تجَذُّ حبالُ الوصل فيه فما عَقدٌ من الوصل إلا وهو محلول

مساجلة أخرى بينهما

قال : وكان محمد قد ندبه لأن يخرجَ فى أمر مُهِمّ فأجابَه الحسَنُ فقال :

إنى بحولِ امرئٍ أَعليتَ رُتبتَه لحظُّه منـكَ تعظيم وتبجيـلُ

وأنت عُدّته فى نَيل همّتـه وأنت فى كلّ ما يهواه مأمولُ

ما غالنى عنـك أيلولٌ بلذّتِه وطيبِـه ولنعمَ الشهرُ أيلولُ

الليلُ لا قِصَرٌ فيـه ولا طولُ والجوصافٍوظهرالكأسمَرحولُ

والعود مستنطَقٌ عن كلّ معجبةٍ يُضْحى بها كلُّ قلب وهو مَتْبولُ[2]

لكن توقُّعُ وشْك البين عن بلدٍ تحـلُّه فوكاءُ العين محلولُ

مالى إذا شمَّرتْ بى عنك مبتَكِراً دُهمُ البغال أو الهوجُ المراسيلُ[3]

إلا رعاياتُك اللاّتى يعودُ بها حدُّ الحوادثِ عنّى وهو مفلولُ

قال : وكان الحسنُ بن وهب يساير محمداً على مُسَنّاة[4] ، فعدل عن المسـنّاة لئـلا

---

(١) أيلول : شهر رومى يقابله « سبتمبر » من شهور الفرنجة

(٢) ف، هج : « فى كل » بدل « عن كل » .

(٣) المراسيل : جمع مرسال ، والهوج : جمع هوجاء ، والمراد : الناقة المسرعة سهلة السير.

(٤) مسناة : سد يعترض به الوادى

يضيق لحمد الطريقُ ، فظنّ محمد أنه أشفقَ على نفسه من المسنّاة ، فعدل عنها ، ولم يساعده على طريقه ، وظنّ بنفسه أن يصيبَها ما يصيبه ، فقال له محمد :

قد رأيناكَ إذ تركتَ المسنّا ةَ وحاذَيْتَنِي يَسارَ الطريقِ
ولعمرى ما ذاكَ منكَ وقد جدَّ بك الجِدُّ من فِعال الشَّفيقِ

فقال له الحسَنُ :

إن يكنْ خوفى الحُتُوفَ أرانى أن ترانى مشبَّهًا بالعَقُوقِ
فلقد جارتِ الظنونُ على المُشـ ـفقِ والظَّنُّ مولعٌ بالشفيقِ
غرَّر السيدُ الأجلُّ وقد سا رعلى الحَرْفِ من يَمين الطريقِ[1]
فأخذتُ الشِّمالَ بُقيا عَلَى السيـ ـد إذ هالنى سُلوكُ المَضيقِ
إنّ عندى مودّةً لك حازتْ ما حوى عاشقٌ من المَعشوقِ
طودُ عزّ خصصتُ منه ببرٍّ صار قَدْرِى به مع العَيُّوقِ[2]
وبنفسى وإخوتى وأبى البـرّ وعمّى وأسرتى وصديقى
من إذا ما رُوِّعتُ أمّن رَوْعى وإذا ما شَرِقتُ سوَّغَ رِيقى

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش والصولىّ ، قالا : حدثنا المبرِّد ، قال :

استسقى الحسنُ بنُ وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم ، وهو مع المعتصم فسقاه وكتب إليه :

لم تلقَ مِثلى صاحبا أندى يداً وأعمَّ جودَا

(١) فى س ، ب « علا » بدل « غرر » و « الخوف » بدل « الحرف » .
(٢) العيوق : نجم أحمر مضيء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

٥٦ / ٢٠

ثم ساجلة ثالثة بينهما

يمدح نفسه

١٠

١٥

يسقى النـــديمَ بقفرةٍ لم يَسْق فيها الماءُ عُودَا

صـفراء صافيةً كأنْـ ـنَ بكأسِها دُرًّا نَضِـيدَا

وأجودُ حين أجـودُ لا حَصِرًا بذاكَ ولا بليـدَا

وإذا اسـتقلّ بشكرها أوجبتُ بالشُّكْر المزيدَا

٥ خُذها إليـكَ كأنّما كُسِيتْ زُجاجَتُها عُقودَا

واجعل عليكَ بأن تقو مَ بشكرها أبداً عهـودَا

أخبرنى[1] الصولىّ ، قال : حدثنى أحمد بن محمد الأنصارىّ ، قال : حدثنى هارون ابن محمد بن عبد الملك ، قال :

دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب فى آخر أيام المأمون ، فجاءهُ

١٠ ودخلا حمّامًا له ، وأقاما على لهوهما ، ثم طُلِب الحسنُ بن وهب لعمل احتيج فيه إليه ، فمضى ، وبطل يومهم[2] ، فكتب الحسن إليه :

يوم سرور لا يكمل

سـقياً لنَضرِ الوجهِ بَسَّامِهِ مُهذّبِ الأخـلاق قَمقامِهِ[3]

تكسبه شُكراً على أنهـا مُطبقـةُ السِّنّ لِلوّامِـهِ[4]

زُرْناه فى يوم عـلا قدرُه من سـائرِ الأيام فى عامِهِ

١٥ أسـعده الله وأحظى به وجاده الغيث بإرهامِـهِ[5]

فكان مسروراً بنـا باذلاً لرحْـلِهِ الرحبِ وحمّامِهِ

نخدمه وهو لنا خادم بفضله من دونِ خُدّامِهِ

---

(1) من أول هذا الخبر حتى آخر الترجمة ساقط من نسختى ب س ، وما ، والتكملة من . هج وهد

(2) فى هج « وبطل يومهما » بدل « وبطل يومهم » .

(3) القمقام — ويضم — السيد .

٢٠ (4) فاعل تكسبه ضمير الأخلاق ، وإطباق السن : كناية عن الصمت .

(5) الإرهام : الغيث .

ثم سقانا قهوةً لم يدَعْ أطيبَ منها بِقَرى شامِهِ
صهباء دَلَّتْ على دَنِّها وحدَّثَتْ عن ضعف إسلامِه[1]

فأجابه محمد بن عبد الملك رحمه الله تعالى :

وزائرٍ لذَّ لنا يومُهُ لو ساعد الدهرُ بإتمامِه
ماذا لقينا من دواوينه وخطّه فيها بأقلامِه ؟ ٥
أسرّ ما كنّا فمن مازحٍ أو شارب قد عَبَّ فى جامِه
فارقنا فالنفس مطروفة بوا كف الدّمع وسجّامِه
وعاد بالمدح لنا منعماً به إلى سالف إنعامِه
ليت-وأنّى لى بها مُنْيَةً- لو كنت فيه بعضَ قُوَّامِه
يَشْكر ما نال على أنه لا يُشكرُ الحرُّ لحمَّامِه ١٠
أمسحه فيه وأدنو له من خلفه طورا وقُدّامِه
جعلت نفسى جُنَّة للصّبا وبِعت إسلامى بإسلامِه
فصار ما يشرب حِلاً له وصرت مأخوذاً بآثامِه

أخبرنى الحسن بن القاسم الكاتب ، قال : سمعت القاسم بن ثابت يحدّث عن أبيه ، قال : قال أحمد الأحول : ١٥

وضعه فى حديد ثقيل

لما قُبِض على محمد بن عبد الملك الزيات تلطّفت فى الوصول إليه ، فرأيته فى حديد ثقيل ، فقلت له : أعْزِزْ علىّ ما أرى ، فقال :

سَلْ ديارَ الحى ما غيّرَها وعفاها ومحا منظرها ؟

(١) ذلك كناية عن عتقها .

وهى اللاتى إذا ما انقلبت … صَيَّرت مَعروفَها مُنكَرَها[1]

إنما الدنيا كظِلٍّ زائلٍ … نحمد الله كذا قَدَّرها

فى هذه الأبيات رمل طنبورى لا أدرى لمن هو ؟

ومما يغنّى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات :

صوت

ظالمى ما علمتُه … مُعتدٍ لا عدمتُهْ

مُطْمِعى بالوصال مم … تنعٌ حين رُمتُهْ

مُرْصِدٌ بالخلاف والـ … ـمَنْع من حيثُ سِمتُه[2]

هاجرٌ إن وصلتُهُ … صابرٌ إن صَرَمتُهْ

كم وكم قد طويتُ ما … بى وكم قد كَتمتُهْ

رُبَّ همٍّ طويت فيـ … ـك وغيظٍ كظمته[3]

وحياةٍ سئمتها … والهوى ما سئمتهْ

رُمتُ شيئًا هَوِيتُه … ليس لى ما حُرِمتهْ

قال إذ صرّح البكا … ء بما قد سترتُه[4]

لو بكى طول دهرِه … بدمٍ ما رَحِمْتُه

الغناء لأبى العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر .

---

(١) فى هد « وهى الدنيا » بدل « وهى اللاتى »
(٢) أرصد له شيئا : أعده له
(٣) فى هج « طويت عنك » بدل « طويت فيك »
(٤) فى هج « كتمته » بدل « سترته »

صــــوت

إذا أحببتُ لم أسْـــلُ وإن واصلتُ لم أقطَعْ
وإن عاتبنى النـــــاسُ تصـــــامَمْتُ فلم أسْمَعْ
وقد جرّبت ما ضرّ وقد جرّبت ما ينفعْ
فما مثـــل الهوى أنهـَـ كُ للجسم ولا أضرَعْ ٥
ولا كالهجر فى القربِ إلى الموت ولا أسْرعْ
وإنْ أوجعنى العَذْل فنِيرانُ الهوى أوجعْ
وهذا عَـــدَمُ العقـــلِ فما أسْـطِيع أن أصــنَعْ
ولا والله ما عنــــدى لمـــا قد حلّ بى مَدْفعْ
ولا فىّ لهجـــــرانـ ك لولا ظلمكمْ موضـعْ ١٠

الغناء لعريب لحنان : خفيف ثقيل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرّد ، قال : حدثنى الحسن بن رجاء ، قال :

مدح الحسن بن وهب

قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلح ، وامتدحه بقصيدته التى أولها : ١٥

كأنها حين تنـــاءى خَطْوُهُ أخْنس مَوْشِىُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ[(١)]

(١) الأخنس : ذكر البقر الوحشى ، موشى الشوى : منقوش الأطراف .

وقال فيها :

إلى الأمير الحسن استنجدتُها أىّ مرادٍ ومَنَــــاخٍ ومحلّ
سيف أمير المؤمنين المنتضَى وحصن ذى الرياستين المُقْتَبِل*[1]
آباؤك الغرّ الألى جــدُّهمُ كِسرى أنوشروان والناس هَمَلْ
٥ من كلّ ذى تاجٍ إذا قال مضى كلُّ الذى قال وإن همّ فَعَــل
فأينَ لا أينَ وأنّى مِثلُكمْ أنتم الأملاك والنــاس خَوَل*[2]

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال : ومرض الواثق ، فدخل إليه الحسن بن سهل عائداً ، ومحمد بن عبد الملك يومئذ وزيره ، والحسن بن سهل متعطِّل ، فجعل الحسن بن سهل يتكلم فى العلة وعلاجها ١٠ وما يصلح للواثق من الدواء والعلاج والغذاء أحسن كلام ، قال : فحسده محمد بن عبد الملك ، وقال له : مِنْ أين لك هذا العلم يا أبا محمد ؟ قال : إنى كنت أستصحب من أهل كل صنعة رؤساء أهلها ، وأتعلّم منهم ، ثم لا أرضى إلا ببلوغ الغاية ، فقال له محمد — وكان حسوداً : ومتى كان ذلك ؟ قال : فى زمان قلت فِىّ :

يتنكر للحسن بن سهل فيخجله

فأين لا أين وأنّى مثلكم أنتم الأملاك والنــاس خوَل[3]

١٥ فخجل محمد بن عبد الملك ، وأطرق ، وعَدَل عن الجواب .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنى حمّاد بن إسحاق قال : حدثنى ميمون بن هارون بن خلف قال :

(١) ب ، س « المتقبل » بدل « المقتبل » .
(٢) فى البيت خلل عروضى ، فالمصراع الثانى من الرمل ، والقصيدة كلها من الرجز ، ونرجح
٢٠ أنها « فأنتم الأملاك » والخول : الخدم والحشم .
(٣) ارجع إلى ما كتبناه عن هذا البيت فى التعليقة السابقة .

كنت أسير بالقرب من محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يريد يومئذ منزله ، حتى مرّ بدار إبراهيم بن رباح ، فرأى فيها قبة مشيدة ، فقال :

عسى أمور بعد ذلك تكون

أما القباب فقد أراها شُيِّدَتْ وعسى أمورٌ بعد ذاك تكون
عبدٌ عرَتْ منه خلائقُ جهلِهِ إذ راح وهو من الثَّراء سمين[1]

٥ فما كان إلا أيّام حتى أوقع به .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الحسن بن علىّ بن عبد الأعلى عن أبيه ، قال :

ابن أبى دواد يكيد له

كان الواثق قد أصلح بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبى دواد ، فكفّ محمد عن ذكره ، وجعل ابن أبى دواد يخلو بالواثق ، ويغريه به ، حتى قبض عليه ، وكان فيما بلغه عنه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه . فقبض الواثق عليه ، ثم أطلقه ١٠ بعد مدة ، ثم وزر للمتوكل ، وكان محمد بن عبد الملك أشار بابن الواثق ، وأشار ابن أبى دواد بالمتوكل ، وقام وقعد فى أمره حتى ولّى ، وعمّمه بيده ، وألبسه البُردة ، وقبّل بين عينيه ، وكان المتوكّل قبل ذلك يدخل على محمد بن عبد الملك فى حياة الواثق يشكو إليه جفاءه له فيتجهّمه محمد ، ويُغلظ له الردّ ، إلى أن قال يوماً بحضرته : ألا تعجبون إلى هذا العاصى ، يعادى أمير المؤمنين ، ثم يسألنى أن أصلح له قلبه ! اذهب ، ويلك فأصلح ١٥ نفسَك له ، حتى يصلح لك قلبه . فكان موقع ذلك يحسن عند الواثق ، فدخل إليه يوماً ، وقد كان قال للواثق : إن جعفراً يدخل إلىّ وله شعر قفًا وطُرّة مثل النساء ، فقد فضحك فأمره بأن يحلقهما ، ويضرب بشعرهما وجهه ، فلما دخل إليه المتوكل فعل ذلك به ، وتجهّمه بالقبيح ، فلما ولى الخلافة خشى إن نكبه عاجلا أن يستتر أسبابه[2] فتفوته بغيته فيه ، فاستوزره وخلع عليه ، وجعل ابن أبى دواد يغريه به ويجد عنده لذلك موقعا

٢٠ (١) فى هج « نزت » بدل « عرت »
(٢) هكذا فى النسخ التى بين أيدينا ، ونرجح أن ثمة تحريفا ، ولعل العبارة : « خشى إن نكبه عاجلا أن يستثير أحبابه »

واستماعا ، حتى قبض عليه وقتله ، فلم يجد له من أملاكه كلها من عين وَوَرِق وأثاث وضيعة إلّا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندم على ذلك ، ولم يجد منه عوضًا ، وكان أمره مما يُعتدّ على أحمد بن أبى دواد ، ويقول : أطمعتَنى فى باطل ، وحملتَنى على أمر لم أجد منه عوضا .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ ، قال :

زعم محمد بن عيسى الفساطيطىّ ، أن محمد بن عبد الملك اجتاز بدندن الكاتب ، وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له ، فقال دندن :

دندن الكاتب يتنبأ بما حدث له

راح الشقىّ بخلعة النُّكْرِ مثل الهدِىِّ لليلة النَّحْرِ[1]

لا تمّ شهر بعد خِلْعَتِه حتى تراه طاقَ الجَمْرِ[2]

١٠ ويُرى يُطاين من إساءته يَهْوِى لَهُ بقَواصم الظهْرِ[3]

فكان الأمر كما قال .

قال علىّ بن الحسين بن عبد الأعلى :

فى التنور

فلما قبض عليه المتوكل استعمل له تنُّورَ حديد ، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرّك إلا دخلت فى جسده ، ثم أحماه له وجعله فيه ، فكان يَصيح : ارحمونى ! فيقال له : ١٥ اسكت ، أنت كنت تقول : ما رحمت أحداً قطّ ، والرحمة ضعف فى الطبيعة ، وخَوَرٌ فى المُنّة ، فاصبر على حكمك ! وخرج عليه عبادة ، فقال : أردت أن تَشْوِيَنى ، فشَوَيْتُك .

أخبرنى طاهر بن عبد الله بن طاهر الهاشمىّ : قال : قال العباس بن طومار :

موت ومكايدة

أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات — وقد أحمى تنور حديد ، وجعله فيه — فيكايده ، فدخل إليه فوقف بإزائه . ثم قال : اسمع يا محمد ، كان

٢٠ (١) فى هج « جاز » بدل « راح » ، الهدى : الضحية ونحوها

(٢) وربما كانت « طاق الجمر » محرفه عن : صار فى الجمر

(٣) لم نقف فيما فى أيدينا من المعاجم على هذه الصيغة (يطاين) .

فى جيراننا حفّار يحفر القبور ، فرضت مخنّثة من جيرانى ، وكانت صاحبتى لى ، فبادر فحفر لهـا قبراً من الطمع فى الدراهم ، فبرأت هى ومرض هو بعد أيام ، فدخلت إليـه صاحبتى وهو بالنزع ، فقالت : ويْ يا فلان ؟ حفرت لى قبراً وأنا فى عافية ، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها ، وحياتك يا محمد ، لقد دفناه فى ذلك القبر ، والعقبى لك .
قال : فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ، ويكايده إلى أن مات .

قال الصولىّ :

الحسن بن وهب يرثيه

وقال الحسن بن وهب يرثى محمد بن عبد الملك ، وكان فى حياته ينتفى[1] منها ، ويجحدها ، ثم شاعت بعد ذلك ، ووجدت بخطه :

يكاد القلب من جزعٍ يطـيرُ ... إذا ما قيل قد قُتِـل الوزيرُ
أميرَ المؤمنين هدَمْتَ ركنًا ... عليـــه رحاكمُ كانت تدورُ
سيُبلى المـلك من جزعٍ عليه ... ويخرب حين تضطرب الأمورُ[2]
فمهلا يا بنى العبـــاس مهلاً ... فقد كُويَتْ بفعلكمُ الصدورُ
إلى كم تنكبُون الناس ظلماً ... لكم فى كل ملحمة عقـــيرُ
جزيتم ناصراً لكمُ المنـــايا ... وليس كذلِكمْ يُجزَى النَّصيرُ
فكنتم سائقا أرسا إليـــكم ... وذلك من فعالكمُ شهـــيرُ[3]
وكأنَّ صـــلاحه لو شئتموه ... قريبًا لا يحاوله البصـــيرُ
كأنَّ الله صـــيَّركم ملوكاً ... لئـــلاَّ تعدلوا ولأنْ تجوروا

(١) ينتفى منها : يتنصل منها ، ولا ينسبها إلى نفسه خوفا .
(٢) سيبلى : من البلى أو البلوى : كلاهما صحيح ، وفى مج « يحزن » بدل « يخرب »
(٣) فى المصراع الأول التواء ، وهو كذلك فى النسخ ، ولعله محرف عن « وكم من سابق أوما إليكم » وأوما : تخفيف أومأ بمعنى أشار

أخبار أبى حشيشة(*)

اسمه ونسبه

أبو حشيشة لقبٌ غَلَبَ عليه ، وهو محمدُ بن أمية بن أبى أمية ، يكنى أبا جَعفر ، وكان أهله جميعاً متّصلين بإبراهيمَ بن المَهدىّ ، وكان هو من بينهم مَعنيًّا بالطُّنبور ، يُغنّى أحسن غِناء[1] وخَدَم جماعة من الخلفاء أولهم المأمونُ ، ومَن بعدَه إلى المعتمِد .

٥ وله يقول أبو صالح بن يَزْداد وكتب بها فى استتاره[2] :

ابو صالح يكتب له فى استتاره

جُعِلْتُ فِداكَ يابنَ أبى أميّـهْ أرى الأيامَ قد حكمتْ عليّـهْ

وملّنِىَ الصديقُ وخانَ عهدى فما أقرا لكمْ كتبًا إليّـهْ

فإن كان الضـميرُ كما بدالى فهذا والإلهِ هو البَليّـهْ

وكان أكثرُ انقطاعه إلى أبى أحمد بنِ الرشيد أيامَ حياته ، وكان أبوه وجده ١٠ وأخواله كُتّابا .

وقرأت على أحمد بن جعفر جَحظةَ ما ذكره عن أبى حشيشةَ فى كتابه الذى ألفه فى أخبار مراتب الطُّنبوريين والطُّنبوريات وكان من ذلك أنه قال :

شاهدتُ أبا حشيشةَ مدّة ، وكان يتغنّى فى أشعار خالد الكاتب وبنى أمية ، وكانت معه نِقَرٌ من الأحاديث يضعُها مواضعَها ، وكانت له صنعة تقدّمَ فيها كلَّ طُنبورىّ ، ١٥ لا أحاشى من قولى ذلك ، فَمِنها :

كأنّ همومَ الناس فى الأرض كُلِّها علىَّ وقلبى بينهم قلبُ واحدِ

ولى شاهدَا عدلٍ سُهادٌ وعَبرةٌ وكم مُدَّعٍ للحُبِّ من غيرِ شاهدِ

وهو خفيف رَمَل مطلق . قال جَحظةُ : ورأيته فى القَدْمةِ التى قدِمها مع ابنِ المدبّر بين يدى المعتمد ، وقد غناه من شعر علىّ بن محمد بن نصر .

٢٠ (*) لم ترد هذه الترجمة فى طبعة بولاق .

(١) فى مج «أحسن الناس غناء»

(٢) فى س ، ب : « استفساره»

صــــوت

حُرِمتُ بذلَ نوالك واسوأتا من فِعالك!
لمــا مَلَلْتَ وصالى آيسْتِنى من وِصالك

المعتمد يهب له مائتى دينار

فوهبَ له مائتى دينار .

واللحن رَمَل مطلق . ٥

أخبرنى جَحظة فيما قرأتهُ عليــه ، قال : حدثنى ابن نُوْبخت : يعنى علىّ بنَ العباس قال :

عريب تفضله على علويه ومخارق

رأيتُه وقد حضرت عَريبُ عند ابن المدبر ، وهو يُغنّى ، فقالت له عَريب : أحسنتَ يا أبا جعفر ، ولو عاش الشَّيْخان ما قلتُ لهما هذا — تَعنى عَلّوَيه ومُخارقًا .

حدثنى أبو حشيشةَ ، قال : هجم علىّ خادمٌ أسودُ ، فقال لى: البسْ ثيابَك ، فعلمتُ أن هذا لا يكون إلا عن أمر خليفة أو أميرٍ ، فلم أُراجعه ، حتى لبستُ ثيابى،فمضيت معه فعبَرَ بى الجسرَ ، وأدخلنى إلى دارٍ لا أعرفها ، ثم اجتاز بى فى رِواق فيه حُجَرٌ تفوح

مائتا سوط إن تكلم

منهنّ رائحةُ الطعامِ والشرابِ ، فأدخِلتُ منهنّ إلى حجرة مفروشة ، وجاءنى بمائدة كأنها جَزعة يمانية قد نشرت فى عراصها الحِبَرة[1] ، فأكلتُ وسقانى رِطلين وجاءنى بصــندوق ففتحه فإذا فيه طَنابير ، فقال لى : اخترْ ، فاخترتُ واحدا ، وأخذ بيدى ، ١٥ فأدخلنى إلى دار فيها سَمّاعة[2] وفيها رجلان على أحدهما قَباء غليظ ، وعلى الآخر ثيابٌ مُلحَم[3] وخزّ ، فقال لى صاحب الخزّ : اجلس ، فجلست ، فقال : أكلتَ وشربتَ ؟ فقلت : نَعمْ . قال: عندنا ؟ قلتُ : نعم ، قال : تُغَنِّى ما نقول لك ؟ فقلت له : قل ، فقال : تُغنِّى بصنعتك :

(١) الحبرة كناية عن ألوان الطعام الشهية البراقة .
(٢) لعل المراد بها السامعون كالنظارة بمعنى الناظرين .
(٣) ملحم ، كمكرم : جنس من الثياب ولعله المبطن .

٢٠

يا كثيرَ الإقبالِ والانصرافِ[1] ومَلولاً ولو أشــأ قلت خَافِ

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيتهُ إياه ، وجعلَ يطلبُ منى صوتاً بعد صوت من صَنعتى ، فأغنّيه ، ويستعيده ، ويشرب هو والرجُل ، وأسقى بالأنصاف المختوته[2] إلى أن صلوا العشاء الآخرة ، وهم لا يشربون إلا على الصوتِ الأول لا يريدون غيره ، ثم أومأ إلىّ الخادم : قم ، فقمت ، فقال لى صاحبُ القَباء منهما : أتعرفنى ؟ قلتُ : لا والله ، قال : أنا إسحاق بن ابراهيم الطاهرىّ ، وهذا محمد بن راشد الخنّاق ، واللهِ لئن بلغنى أنك تقولُ : إنك رأيتَنى لأضربنَّك مائتىْ سَوط ، انصرف . فخرجتُ ودفع إلى الخادم ثلاثمائة دينار ، فجهدتُ أن يقبلَ منها شيئاً على سبيل البرّ ، فما فعَل .

حدّثنى جحظةُ قال : حدثنى أبو حشيشةَ : قال :

وجّه إلىّ إسحاق بن إبراهيم الطاهرىّ ، فصرتُ إليه وهو فى داره التى على طرَف الخندق ، فدعا بجُونة[3] ، فأكل وأكلتُ من ناحية ، ودعا بستارة وقال : تغنّ بصنعتك :

عادِ الهوَى بالكأسِ بردا فأطِـعْ إمارة من تبــدّى

وهو خفيف رَمَل مطلق .

فغنّيتهُ مراراً ، ثم ضرب السِّتارة ، وقال : قولوه ، فقالَتْه جاريةٌ فأحسنت غاية الإحسان ، فضحِك ثم قال : كيفَ تراه ؟ فقلت: قد والله بغَّضُوه إلىّ ، فازداد فى الضحِك ، وأنا أرمقُ جُبّةَ خزٍّ خَضراء كانتْ عليه ، فقال : كم ترمُقُ[4] هذه الجُبّة ؟ يا غلامُ ، كانت عشرة أثواب خزّ فقطعت منها هذه الجبّة ، فهاتِ التسعةَ فجىء بها ، فدفعها إلىّ فكنت أبيعَ رُذَالَها[5] بستينَ دِينارا .

---

(١) يجب قطع همزة الانصراف لإقامة الوزن .
(٢) المختوته : الناقصة . (٣) جونة : سلة صغيرة .
(٤) ترمق . تلحظها لحظا خفيفا . (٥) الرذال : الدون الخسيس من كل شىء .

حدثنى جحظةُ قال :

حدثنى أبو حشيشةَ أن بَنى الجنيد الإسكافِيِّينَ كانوا أوّل من اصطنعه ، وأنهم كانوا يسمونه الظَّريف ، وأن أول منزل ابتاعه من أموالهم إلى أن شاع خبرُه ، وتفاقم أمرُه . قال : وكانوا آ كلَ الناس ، رأيتُ رجلا منهم ، وقد أ كل هو وابن عم له اثنين وعشرين رأسا كبارا ، وشَرِبا ، فسكِرا وناما ، ثم انتبها فى وقت الظُّهر ، فدعَوا بالطعام ، فعادا إلى الأ كل ، ما أنكر مِنْهما شيئا . ٥

ونسختُ من كتاب ألَّفه أبو حشيشةَ ، وجمع فيه أخباره مع من عاشره ، وخدمَ من الخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال :

المأمون اول خليفة سمعه

أول من سمِعنى من الُخلفاء المأمون ، وهو بدمشق ، وصفنى له مُخارق ، فأمر بأشخاصى إليه ، وأمر لى بخمسين[1] ألفَ دِرهمٍ أتجهّزُ بها ، فلما وصلتُ إليه أدنانى ، وأعجِبَ بى ، وقال للمعتصِم : هذا ابنُ من خدمك وخدم آبائك وأجدادكَ يا أبا إسحاق ، جَدُّ هذا أمية كاتب جدِّكَ المهدىّ على كتابة السرِّ وبيتِ المال والخاتَم ، وحجَّ المهدىُّ أربعَ حِجَجٍ كان جدّ هذا زميلَه فيها . واشتهى المأمونُ من غنائى : ١٠

صـــوت

يضرب لغنائه بشعر فيه ذكر الشيب

كان يُنْهَى فَنَهَى حين انتهى   وانجلتْ عنه غياباتُ الصِّبا ١٥

خلع اللهوَ وأضحى مُسْبِلا   للنُّهى فَضْلَ قميصٍ ورِدا

كيف يرجو البيضُ مَنْ أوَّله   فى عيون البيض شَيْبٌ وجلا[2]

كان كحلا لمآقيها فقدْ   صار بالشيب لعينيها قَذَى

الشعر لدِعبِل ، والغناء لمحمد بن حسين بن مُحرز رمَل بالوسطى .

قال أبو حشيشة : وكان مُخارق قد نهانى أن أغنِّيَ ما فيه ذكرُ الشيبِ من هذا الشعر ، وأن أقتصر على البيتين الأولين ؛ لأن المأمون كان يشتدُّ عليه ذكرُ الشيب ، ٢٠

(١) فى «خمسة آلاف» (٢) شيب وجلا : انحسار مقدم الشعر ، أو هو دون الصلع .

ويكرهه جدًّا من المغنّين ، وأمر ألاَّ يغنّيه أحدٌ بشعر قيل فى الشيب أو فيه ذكر له ، فسكرتُ يوما ، فمررت فى الشعر كلِّه ، فقال : يا مُخارق ، ألا تحسنُ أدبَ هذا الفتى ! فنقفنى(١) مُخارق نَقْفة صلبة ، فما عُدتُ بعدها لذكر شىء فيه الشيب .

لكل خليفة صوت يحبه

وذكر أبو حشيشةَ فى كتابه هذا مما كان يشتهيه عليه المأمونُ وغيره من الخلفاء أصواتا كثيرةً ، ولا فائدة فى ذكرها ها هنا لأنها طويلة ، فذكرت مما كان يختاره عليه كلٌّ خليفة صوتا . قال أبو حشيشةَ : كان المعتصم يَشتَهِى علىّ :

صــوت

أسرفَت فى سوء الصنيع وفتكتَ بى فتكَ الخليع

وولِعتَ بى مُتمـــرِّداً والعـذر فى طرف الوَلُوعِ(٢)

صيّرتُ حبّـك شـافعا فأتيتُ من قِبَل الشّـفيعِ

الشعرُ لأصرَم بن حُميد ، والغناء لأبى حَشيشَة .

قال : وكان الواثق يختارُ من غنائى :

يا تاركى متلدِّد العُوّاد جذلانَ العُداةِ(٣)

انظُر إلىّ بعين را ضٍ نظرةً قبل المماتِ

خلّيتَنى بين الوعيـ ـد وبين ألسِنَةِ الوُشاةِ

ماذا يُرَجَّى بالحيـا ةِ مُنَغَّصٌ روحَ الحياةِ ؟

الشعر لمحمدِ بنِ سعيد الأسدىّ ، والغناء لأبى حَشيشَة خفيف رَمَل .

قال: وكان المتوكّل يحبّنى ، ويستخفّنى ، وكانت أغانيه التى يشتهيها علىّ كثيرةً منها :

(١) النقف : أشد الضرب بعصا ونحوها .
(٢) فى هج « طرق » بدل « طرف » .
(٣) متلدد العواد : متحير الزائرين .

صـــوت

أطعتُ الهوى وخلعتَ العِذارا ... وباكرتَ بعد القَراح العُقارا[1]
ونازعكَ الكأسَ من هاشم ... كريمٌ يحبُّ عليها الوَقارا
فتى فرّق الحمدُ أموالَه ... يَجُرّ القميصَ ويُرخى الإزارا
رأى اللهُ جعفرَ خيرَ الأنام ... فملَّكه ووقاهُ الحِذارا

الشعرُ والغناءُ لأبى حَشيشَة .

قال : وكان الفتح بن خاقان يشتهى علىّ :

صـــوت

قالوا عشقتَ فقلتُ أحسنَ من مَشَى ... والعشقُ ليس على الكريم بعارِ
يا من شكوتُ إليه طول صبابتى ... فأجابنى بتجهُّمِ الإنكارِ

قال : وكان المستعين يشتهى علىّ :

صـــوت

وما أنسَ لا أنسَ منها الخشوعَ ... وفيضَ الدموع وغمزَ اليدِ
وخدّى مُضافا إلى خدِّها ... قياما إلى الصُّبح لم نَرقُدِ

الشعر لحمدِ بن أبى أمية والغناء لأبى حشيشة .

قال : وأخبرنى محمد بن علىّ بن عِصْمة — وكان إليه الزهدُ فى الدنيا كلِّها — قال : حضرتُ المعتزَّ وقد ورد عليه جوابُ كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكان كتب إليه يطلُبنى منه ، فكتب إليه محمد : إنى عَليلٌ ، لا فضلَ فِىّ للخدمة ، قال أبو عِصمة : فقال لى المعتزُّ : يا أبا محمد ، صديقك أبو حشيشة يؤثر علينا آل طاهر ، فقلتُ له : يا سيِّدى ، أنا أعلم الناس بخَبَره ، هو والله عليل : ما فيه موضع لخدمةِ أمير المؤمنين ،

(١) العقار : الخمر .

قال : ثم ذكرنى المعتمد . وحرّضه[1] علىّ ابنُ حمدون ، فكتب إلى أيوب[2] سليمان ابن عبد الله بن طاهر — وهو يومئذٍ أمير بغداد — فى إشخاصى ، فشخّصنى إليه من ساعتى ، فأكرمنى ، وأدنى فى مجلسى ، وأمر لى بجائزة ، واشتهى علىّ :

قلبى يُحبُّـــكِ يا مُنى قلبى ويُبغضُ من يحبُّكْ

٥ لأكونَ فرداً فى هـــوا كِ فليتَ شِعرى كيفَ قَلْبُك ؟

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والصنعةُ لأبى حشيشة رمل .

قال أبو حشيشة : سمع إبراهيم بن المهدىّ أصواتاً من غناء محمد بن الحارث بن بسخُنّر وعمرو بن بانة ، فاستحسنها وأخذها جواريه، وقال: الطُّنبور كُلُّه باطل، فإن كان فيه شىء حقّ فهذا . وأشتهى[3] أن يُسمعنى . فهبته هيبة شديدة ، وقلت : إن رضينى لم يزِد ١٠ ذلك فى قَدرى ، وإن لم يرضَنى بقيتُ وصمةً آخرَ الدهر ، وكان يطلبنى من محمد بن الحارث بن بسخُنّر خاصة ، ومن إسحاق بن عمر و بن بزيع ، فكنتُ أفِرُّ منهما ، حتى صِرتُ بسُرَّ من رأى ، وأنا فى تلك الأيام منقطعٌ إلى أبى أحمد بن الرشيد ، ونحن فى مضاربَ[4] لم نكن سكنّا المنازل بعدُ ، فوافى إلى أبى أحمد بن الرشيد رسولُ إبراهيم بن المهدى فأبلغه السلامَ ، وقال : يقول لك عمُّك : قد أعيتْنى الحِيَلُ فى هذا الخبيثِ ، وأنا ١٥ أحبُّ أن أسمعَه ، وهو يهربُ منى ، فأحبُّ أن تبعثَ به إلىّ ، ويكون زيرب[5] معه تؤنسه . فقال لى : أبو أحمد : لا بدّ أن تمضىَ إلى عمى ، فجهدتُ كلَّ الجهد أن يُعفِيَنى ، فأبى ، فلما رأيت أنه لا بدّ لى منه لبستُ ثيابى ، ومضيتُ إليه ، وهو نازل فى دسكرة ، فرحّب بى

مع إبراهيم ابن المهدى

(١) ب ، س : « وتعرضه » .
(٢) فى هج : « فكتب إلى أبى أيوب » .
٢٠ (٣) ب ، س : « لو اشتهيت »
(٤) مضارب : جمع مضرب ، وهو الفسطاط .
(٥) ب ، س : « ربرب » .

وقرّب ، وبسطَنى كلّ البسط ومعى زِريابُ ، ودعا بالنبيذ ، وأمر خَدَمًا له كبارا ، فجلسوا معى وشربوا وسقَوْنى . وعرض لى بكلّ حيلة أن أغنّىَ ، فهبتُه هيبة شديدة ، وحَصِرتُ . وشرِبَ ، ودعا بثلاث جوار ، فخرجن وجلسن ، وقال لهنّ : قُلنَ :

صــوت

كيفَ احتيالى وأنتَ لا تصلُ عِيل اصطبارى وقلَّتِ الحيـلُ ٥

إن كان جِسمى هواكَ يُنحِله فإن قلبى عليــك يتّكِلُ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء لأبى حشيشةَ رمل . وكان يسميه الرُّهبانىّ ، عمله على لحن من ألحان النصارى سمعه من رُهبانٍ فى الليل يردِّدُونه ، فغنّاه عليه .

فقالته إحداهنّ ، فذهب عقلى ، وسمعت شيئًا لم أسمع مثلَه قطُّ ، فقال : يا خليلى ، أهذا لك ؟ فقلت : نعم — أصلح الله الأمير — وأخذتنى رِعْدة ، ثم قال لهنّ : إيهِ ، قُلن : ١٠

صــوت

رَبِّ مالى وللهــوى ما لهــذا الهـوَى دوَا

حازطَرْ فِى الذى هوى الـ حُسْنُ قَلبِى وَما حـوى

الشعرُ لخالدٍ ، والغناء لأبى حشيشةَ رَمَل .

فَغَنَّتْهُ فسمعتُ ما هو أعجبُ من الأول ، فقال : يا خليلى ، هذا لك ؟ قلت : ١٥ نعمْ يا سيدى ، قال : هكذا أخذناها من محمد بن الحارث ، ثم شربَ رِطلا آخر ، فقلت : يا نفس ،[1] دعاكِ الرجُل يَسْمعكِ ، أويُسمعكِ ، وقوّيت عزمى ، وتغنّيته بشعر خالد الكاتب ، وهو هذا :

صــوت

لئنْ لجَّ قلبُــك فى ذكره ولجَّ حبيبُــكَ فى هَجرِهْ ٢٠

لقد أورث العينَ طولَ البُكا وعزَّ الفؤادُ على صَــبره

(١) هج « فقلت لنفسى » .

فإن أذهبَ القلبَ وجدٌ بهِ   فجسمُكَ لا شـــكٌّ فى إثرِه
وأىُّ مُحبٍّ تجافى الهـــوَى   بطُولِ التفـــكُّرِ لم يُبْرِه

فجعل يُردّد البيتَ الأول والبيتَ الأخير ، وقال لى : لا تخرجنَّ يا خليلى من هذا إلى غيره ، فلم أزل أردده عليه ، حتى شَرِب ثلاثا ، واسترحتُ ساعةً ، وشربتُ وطابت نفسى ، ثم استعادنى فغنيته ، فأعجِبَ به خلافَ الأول ، فنظر إلىّ وضَحِك ، ولم يقُل شيئاً ، وشرب رِطلاً رابعاً وجاءت المغرب ، فقال لى : ياخليلى ، ماأشك فى أنك قدأوحشت ابنى[1] منكَ ، فامضِ فى حفظ الله تعالى . فخرجت أطير فرحاً بانصرافى سالما ، فلما وافيتُ أبا أحمد ، وَبصَر بى من بعيد قال : حِنطة ، أو شعير ؟ فقلت ، بل سِمْسِم وشَهْدٌ ، انجُ على رغم أنفِ مَن رغم ، فقال : ويحكَ ، أتُرانى لا أعرفُ فضلَك ! ولكن أحببتُ أن أستعينَ برأيه على رأيى فيك ، وقصصتُ عليه القصة ، فسرّه ذلك ، ولم يرضَ حتّى دسّ إليه محمدَ بن راشد الخناق ، فسأله عنى ، فقال : ما ظننت أن يكون فى صناعته مثله .

إسحاق يزكيه

قال أبو حشيشة : وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ غنائى فاستحسنه ، فسئل عنى ، فقال : غناء الطُّنبور كله ضَعيف ، وما سمعتُ فيه قطُّ أقوى ولا أصحَّ من هذا .

موت أبى حشيشة

حدثنى جحظةُ ، قال : كان سببُ موت أبى حشيشة بسُرَّ من رأى ، أن قلمًا غلام الفضلِ بن كاووس صار إليه فى يوم بارد ، فدعاه إلى الصّبوح ، فقال له : أنا لا آكل إلا طعاما حارًا ، وليس عندكَ إلا فُضَيلة من مجليّة ، قال : تساعدنى ، وتأكل معى ، فأكلَ منها ، فجمّدتْ دمَ قلبه ، فماتَ ، فحملَه إبراهيمُ بنُ المدبّر إلى بناتِه وما كسبه بسُر من رأى معه ، فاقتسمْنَه بينهُنَّ .

(١) لعله يقصد بابنه الخليفة ، فإنه بمثابة ابنه

صــــوت

سَقياً لقاطولَ لا أرى بلَداً أوْطَنَهُ الموطِنون يُشْبِهــــا
أمنا وخفضا ولا كَبهْجَتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهُها

البيت الأول من البيتين لعِنان جارية الناطفىّ ، والثانى يقال : إنه لعمْرو الوراق[1] ، ويقال انّه لأبى نواس ، ويقال بل هو لها .

والغناء لعَريب خفيف رَمَل . وكان الشعر : « سَقْيا لبغداد » فميّرته عريب وجعلت مكانه « سقيا لقاطول » .

(١) فى هج : « لعمرو الوادى » .

اخبار عنان[1]

كانت عِنان مولّدةً من مولّدات اليمامة ، وبها نشأتْ وتأدبتْ ، واشتراها الناطفىّ ، وربّاها ، وكانت صفراء جميلةَ الوجه ، شكِلَةً[2] مليحة الأدب والشعر سريعة البديهة . وكان فحول الشعراء يساجلونها ، ويقارضونها ، فتنتصف منهم .

٥ أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانىّ صهرُ المبرِّد النحوىّ وعلىُّ بنُ صالح بن الهيثم قال: حَدّثنا أبوهِفّان عن الجمّاز قال : دخل أبو نواس يوما على عِنان جاريةِ الناطفىّ ، فتحدّثا ساعة ، ثم قال لها : قد قلت شعراً ، فقالتْ : هاتِ فقال :

مساجلة فاحشة بينها وبين أبى نواس

إن لى أيْراً خبيثـــا ... لونُه يَحكى الكُميتـــا
لو رأى فى الجوِّ صَدْعاً ... لنزَا حتّى يمـــوتَا
١٠ أو رآه فوق سقفٍ[3] ... لتحـــوّل عنكَبُوتـا
أو رآه جوفَ بحـــرٍ ... خِلتَه فى البحـــرِ حُوتا

قال : فما لبثَتْ أن قالت :

زوّجوا هذا بألفٍ ... وأظُنّ الألف قُوتا
إننى أخشى عليـــهِ ... إن تَمادى أن يمُوتا
١٥ بادروا ما حلّ بالمسـ ... ـكين خوفاً أن يَفُوتا
قبل أن يَنْتـكس الدّ ... اء فلا يَأتِى ويُوتى

(١) هذه الترجمة مما ورد فى بعض المخطوطات المعتمده ، ولم ترد فى طبعة بولاق .
(٢) من شكلت المرأة ، فهى شكلة : صارت ذا غنج ودلال
(٣) فى هج : « فوق سطح » .

قال : ودخل إليها يوما ، فقال :

ماذا ترينَ لِصَبٍّ يريدُ(١) منكَ قُطَيْرَهْ

فأجابته :

إيَّاىَ تعنى بهـذا عليكَ فاجْلِدْ عُمَيْرَهْ

فقال لها :

أُريدُ هذا وأَخْشَى على يدى منكِ غَيْرَهْ

قال : نخجِلتْ وقالت : تَعِستَ ، وتعِس مَنْ يَغارُ عليك .

أخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ : قال : حدثنا عمر بن شبَّة : قال : حدثنى أبو أحمد بن معاوية : قال :

تطارح أبا حنش

سمعت أبا حَنَش يقول : قال لى الناطفىّ : لو جئتَ إلى عِنان فطارحتَها(٢) ، فعزمتُ على الغدوّ ، فبتُّ ليلتين أحوكُ بيتين ، ثم غدوتُ عليها فقلتُ :

أَحَبَّ المِلاحَ البيضَ قلبى ورُبَّما أَحَبَّ المِلاحَ الصُّفْر من وَلَد الحَبَشْ
بكيتُ على صفراء منهنّ مرّةً بكاءً أصاب العينَ مِنِّى بالعَمَشْ(٣)

فقالتْ :

بكيتُ عليها أنَّ قلبى يحبُّها وأن فُؤادى كالجناحين ذُو رَعَشْ
تَعَنَّيْتَنا بالشِّعْرِ لما أَتَيْتَنا فدونَكَ خذْه محكما يا أبا حنَشْ

هى أشعر الجن والإنس

أخبرنى أحمدُ : قال : حدثنى عمر بن شَبّة : قال : حدثنى أحمد بنُ مُعاوية : قال : سمعتُ مروان بن أبى حفصة يقول: لَقِيَنِى الناطِفىّ ؛ فدعانى إلى عِنان ، فانطلقتُ معه ، فدخل إليها قبلى ، فقال لها : قد جئتُكِ بأشعر الناس، مروان بن أبى حَفْصة ، فوجدها عليلةً،

(١) ف : « يكفيه »
(٢) ف هج : « قال لى الناطفى هلم إلى عنان فطارحها »
(٣) فى هج : « فى الدهر مرة » بدل « منهن مرة »

فقالتْ له : إنى عن مروانَ لفى شُغل ، فأهوى إليها بسوْط[1] فضربها به ، وقال لىّ : ادخُل ، فدخلتُ وهى تبكى ، فرأيت الدموع تَنْحدِر من عينيها فقلتُ :

بكتْ عنانٌ فجرى دمعُهـــا كالدُّرِّ إذ يسبقُ من خَيطِه[2]

فقالتْ وهى تَبكى :

٥ فليت من يَضربُها ظالمـاً تَيبَس يُمناهُ على سَـوطِه[3]

فقلت : أعتق مروانُ ما يملك إن كان فى الجنّ والإنس أشعر منها .

تجيز مالا يجاز

أخبرنى الجوهرىّ ، قال : حدثنا أبو زيد عن أحمد بن معاوية : قال : قال لى رجل: تصفَّحتُ كُتبًا ، فوجدت فيها بيتاً جهَدت جهْدِى أن أجد من يُجيزه ، فلم أجد ، فقال لى صديق : عليك بعِنَان جارية الناطفى ، فجئتُها فأنشدتُها :

صــوت

١٠ وما زالَ يشكُو الحبّ حتى رأيتُه تنفّسَ فى أحشـــائه وتكلّما

فما لبثت أن قالتْ :

ويَبكى فأبكى رحمةً لبُكائه إذا ما بكى دمْعا بكيتُ له دَما

— فى هذين البيتين لحن من الرَّمَل ، أظُنُّه لجحظَة أو لبعض طبقته —

١٥ قرأتُ فى بعض الكتب :

تعابى شاعرا

دخل بعضُ الشُّعراء على عِنان جارية الناطفى ، فقال لها مولاها عايِيه[4] ، فقالتْ :

سَقيًا لبغداد لا أرى بلداً يسكنه الساكنون يُشبهها

فقال :

كأنها فضـــةٌ مُموَّهةٌ أخلَصَ تمويهَهـا مُموِّهُهَا

٢٠ (١) هج : « بسوطه » بدل « بسوط »

(٢) هج وهد « يسّن » بدل « يسبق »

(٣) هج : « تجف يمناه » بدل « تيبس يمناه »

(٤) المعاياة : أن يأتى بكلام لها لايهتدى لمثله

فقالتْ :

أمنٌ وخفضٌ[١] ولا كبهجتِها أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفَهُهَا

فانقطع[٢]

أخبرنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، قال : حدثنى ابن أبى سَعيد قال : حدّثنى مسعودُ بن عيسى ، قال : أخبرنى موسى بن عبد الله التّميمىّ ، قال :

دَخَل أبو نُوَاس على الناطفىّ ، وعنانُ جالسةٌ تبكى ، وخَدُّها على رَزَّة من مِصر الباب ، وقد كان الناطفىّ ضربها ، فأومأ إلى أبى نواس أن يحرّكها بشىء ، فقال أبو نُوَاس :

عنــان لو جُدْتِ لى فإنىَ من عمرىَ فى آمَنَ الرســـول بما

فردّت عليه عِنانُ :

فإن تمــادى ولا تمــاديْتَ فى قطعك حَبلى أكُنْ كمن خَتَما[٣]

فردَّ عليها أبو نُواس فقال :

عاتتُ من لو أتى على أنفُ سِ الماضِينَ والغابرينَ ما نَدِما

فردَّتْ عليه :

لو نظرتْ عينُهـــا إلى حَجَرٍ ولَّد فيـــه فتُورها سَــقَما

أخبرنى ابنُ عمار[٤] ، قال : حدثنى محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه : قال : حدّثنى ابن أبى مروان الكاتب : قال :

لا تريد سوى خاتمها

(١) فى ف : « وخصب » بدل « وخفض »

(٢) فى ف : « فانقطع الرجل »

(٣) يشير أبو نواس إلى آخر سورة البقرة « آمن الرسول بما أنزل » كأنه يقول : إننى من ما زلت فى أول سورة ، فأجابته : إن قطعت حبل كنت أنا كمن ختم القرآن .

(٤) ف « ابن عمران » تحريف .

أخذ أبو نُواس من عِنان جارية الناطفى خاتماً فَصُّه أحمر ، فأخذه أحمد بن خالد حيلويه[1] من أبى نُواس فطلبته منه عِنان ، فبعث إليها مكانه خاتماً فَصُّه أخضر ، فاتَّهمته فى ذلك ، فكتب أبو نواس إلى أحمد بن خالد ، فقال :

فدتْكَ نفسى يا أبا جعفرٍ جاريةٌ كالقمر الأزهرِ
تعلقتْنى وتعلَّقتُها طِفلين فى المهد إلى المكبرِ
كنتُ وكانت نتهادَى الهوى بخاتمينا غيرَ مستنكرِ
حنَّت إلى الخاتم منى وقد سلَبْتنى إياه مذ أشهُرِ
فأرسلتْ فيه فغالطْتُها بخاتَمٍ فى قدّه أخضرِ
قالت : لقد كان لنا خاتَمٌ أحمرُ أهداه إلينا سرِى
لكنه عُلِّق غَيرى فقدْ أهدى له الخاتَم لا أمترِى
كفرتُ بالله وآياتِه إن أنا لم أهجرْه فليصبرِ
أو فَأتِ بالمخرج من تُهَمَتى إياه فى خاتَمِنا الأحمرِ[2]
فاردُده تَزْدد وصلَها إنَّها قُرّةُ عَينى يا أبا جَعْفَرِ
فإننى متَّهَمٌ عندها وأنت قد تعلَم أنى برِى

قال : فردّ إليه الخاتم ، وبعث إليه معه بألفى درهم .

الرشيد أشعر منها

أخبرنى ابن عمار وعلىّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد ، عن المازنىّ عن الأصمعىّ — وقال ابن عمار فى خبره عن بعض أصحابه — أظنُّه المازنىّ — عن الأصمعىّ ، قال :

(١) ف : « جيلوه »

(٢) فى هد « خاتمه » بدل « خاتمنا »

ما رأيتُ أثرَ النبيذ فى وجه الرشيد قطّ إلا مرّةً واحدة، فإنى دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشِّطْرَنجى ، فرأيت التّخثّر[1] فى وجهه ، فقال لنا : استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات ، فمن أصاب ما فى نفسى فله عشرة آلاف دِرهَم، قال : فأشفقتُ[2] ، ومنعتنى هيبته ، قال : فقال أبو حفص :

كلَّما دارتِ الزجاجةُ زادتْ ... هُ اشتياقاً وحُرقةً فبكاكِ

فقال : أحسنتَ فلك عشرة آلاف دِرهم

قال : فزالتِ الهيبة عنى ، فقلتُ :

لم ينلْكِ الرجاء أن تحضُرينى ... وتجافتْ أمنيَّتى عن سِواكِ[3]

فقال : لله دَرُّكَ ! لك عشرون ألفَ دِرهم ، قال : فأطرقَ مليًّا ، ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أنا والله أشعرُ منكما ، ثم قال :

فتمنَّيتُ أن يَغَشِّيَنى اللهُ نُعاسا لعَلَّ عَيْنِى تَراكِ

أخبرنى ابنُ عمار والأخفشُ قالا : حدثنا محمدُ بنُ يزيد عن المازنى : قال :

الاصمعى يصرف الرشيد عنها

قال الأصمعىّ : بعثتْ إلىّ أمُّ جعفر أن أمير المؤمنين قد لَهِج بذكر هذه الجارية عِنان ، فإن صرفتَه عنها فلك حكمك . قال : فكنتُ أُريغُ[4] لأن أجد للقول فيها موضعا، فلا أجدُه ، ولا أُقدمُ عليه هيبةً له ، إذ دخلتُ يوما فرأيتُ فى وجهه أثر الغضب ، فانخزلْتُ ، فقال : مالك يا أصمعىُّ؟ قلتُ : رأيت فى وجه أمير المؤمنين أثرَ غضبٍ ، فلعنَ اللهُ مَنْ أغضَبه! فقال: هذا الناطِفىّ والله ، لولا أنى لم أجْرِ فى حكم قطُّ متعَمِّداً لجعلتُ على كل جبلٍ منه قطعةً ، ومالى فى جاريته أرَبٌ غير الشعر ، فذكرت رسالة أمِّ جعفر ، فقلت لَهُ : أَجلْ والله مافيها غير

(١) التخثّر : غثيان النفس

(٢) هج « فانثنينا » بدل « فأشفقت »

(٣) فى هد « لم ينلنى » بدل « لم ينلك » . (٤) أريغ : أطلب

الشعر ، أفيسرّ أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدقَ ؟ فضحِكَ حتى استلقى ، واتّصل قولى بأم جعفر فأجزلَتْ لى الجائزةَ .

أخبرنى عمى والحسنُ بن علىّ ، قالا : حدثنا عمرُ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال : حدثنى محمد بن هارون ، عن يعقوبَ بن إبراهيم :

٥ أن الرشيد طلب من الناطفىّ جاريتَه ، فأبى أن يبيعَها بأقلّ من مائة ألف دينار ، فقال : أعطيك مائةَ ألفِ دينار على أن تأخذ بالدينار سبعةَ دراهم ، فامتنع عليه ، وأمر أن تُحمَل إليه ، فذكروا أنها دخلتْ مجلسه ، فجلستْ فى هيئتها تنتظره فدخل عليها ، فقال لها : ويلك ! إن هذا قد اعتاص علىّ فى امركِ ، قالت : وما يمنعك ان توفيَه وتُرضيَه ؟ فقال : لَيْس يقنعُ بما أُعطيه ، وأمرها بالانصراف . فبلغنى أن الناطفىّ تصدّقَ ١٠ بثلاثين ألف درهم حين رجعتْ إليه ، فلم تزلْ فى قلب الرشيد حتى مات مولاها ، فلما مات بعث مسرورا الخادم ، فأخرجها إلى باب الكَرخ ، فأقامها على سرير وعليها رداء رشيدىّ[1] قد جلّلَها ، فنودىَ عليها : من يزيد ؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها ، وقال : هذه كَبِدٌ رطْبة ، وعلى الرجل دينٌ ، فأشاروا ببيعها ، قال : فبلغنى أنها كانت تقولُ — وهى فى المصطَبة — : أهان الله من أهاننى ، وأذَلّ من أذلّنى ، فلكزها مسرورٌ بيده ، ١٥ وبلغ بها مسرورٌ مائتىْ ألف درهم ، فجاء رجل، فقال: علىّ زيادةُ خمسةٍ وعشرين ألف درهم ، فلكزه مسرور ، وقال : أتزيد على أمير المؤمنين !

الرشيد يلح فى طلبها

ثم بلغ بها مائتين وخمسينَ ألفا ، وأخذها له قال : ولم يكن فيها شىء يعاب ، وطلبوا لها عيبًا لئلا تصيبها العينُ ، فأوقعوا بخنصَر رجلها[2] شيئًا . وأولدها ابنين — قال : أظنهما ماتا صغيرين[3] — ثم خرج بها إلى خُراسان ، فمات هناك وماتت عِنان بعده .

---

٢٠ (١) فى هج : « رداء سندى » بدل « رداء رشيدى »

(٢) فى هج : « بخنصر فى ظفر رجلها »

(٣) فى هج : « ابنتين قال : أظنهما ماتتا صغارا »

أبو نواس لشبب بها

قال : وأنشدنا لأبى نُواس فى قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد ويذكُر عِنان فى تشبيبها :

عِنان يا من تُشبه العِينَا أَنتِ على الحُبّ تلومينا
حُسنكِ حُسْنٌ لا أرى مثلَه قد ترك النـــاس مجانينَا

أَخبرنى عمّى : قال : حدثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزىّ : قال : حدثنى أحمد بن القاسم العِجلىّ : قال : حدثنى أبو القاسم النخعىّ قال : ٥

بينهما وبين العباس بن الأحنف

كان العباس بن الأحنف يهوى عنان جارية الناطق ، فجاءنى يوما ، فقال : امض بِنا إلى عِنان جارية الناطق ، فصرنا إليها ، فرأيتها كالمهاجرةِ له ، فجلسنا قليلا ، ثم ابتدأ العباس فقال :

قال عباسٌ وقَد أجْـ ـهِد من وجدٍ شديدِ
ليس لى صبرٌ على الهَجْـ ـر ولا لَذْع الصُّدُودِ ١٠
لا ولا يَصْــبر للهجـ ـرِ فؤادٌ من حَـديدِ

فقالت عنان :

من تراهُ كان أغنَى منكَ عن هذا الصدودِ
بعد وصلٍ لكَ منّى فيــه إرغامُ الحسودِ
فاتّخذ للهَجْرِ إن شئـ ـتَ فؤاداً من حديدِ ١٥
ما رأينــاكَ على ما كنت تجنِى بجَليــدِ

فقال العباس :

لو تجودينَ لصَبٍّ راح ذَا وجدٍ شديدِ
وأخى جهلٍ بما قدْ كان يَجْنى بالصدودِ

ليس مَن أحدثَ هَجْراً لصديقٍ بسَـــديدِ
ليسَ منه الموتُ إن لمْ تَصليــه ببَعيــدِ

قال : فقلتُ للعباس : ويحكَ ! ما هذا الأمرُ ؟ قال : أنا جنيت على نفسِي بتَنَايُهى عليها ، فلم أبرَحْ حتى ترضَّيتُها له .

٥ أخبرنى الحسنُ بن علىّ : قال : حدثنا الحارثُ بن يحيى بن محمد بن أبى ميَّة : قال : حدثنى يحيى بن محمد :

أبو نواس يبغض الرشيد فيها

أن الرشيد كان يساوم بعِنان جارية النَّطَّاف ، فبلغ ذلك أمّ جعفر ، فشقّ عليها ، فدسّت إلى أبى نواس أن يحتالَ فى أمرِها فقال يهجوها :

إن عِنانَ للنَّطَّافِ جاريةٌ أصبح حِرْها للنَّيْك مَيدانا[1]
١٠ ما يشتريها إلا ابنُ زانية أو قَلْطَبَانٌ يكون مَن كانا[2]

فبلغ ذلكَ الرشيدَ ، فكانَ يقولُ : لعن اللهُ أبا نواس ، وقبّحه ، فلقد أفسدَ علىّ لذّتى فى عِنان بما قال فيها ، ومنعنى من شِرائها .

---

(١) البيت من المنسرح ، وفى وزنه خلل ، ولإقامة الوزن يجب حذف لام « النطاف » فتكون : « إن عنان النطاف جارية » كما يجب تسكين الراء من حرها فى الشطر الثانى

(٢) القرطبان والقلطبان : الديوث أو القواد الذي لا غيرة له

صـــوت

مالى وللخمرِ وقد أرعشَتْ مِنّى يَمينى هاتِ باليُسرى[١]
حتى تَرانى مائلا مُسـتَندا لا أستطيعُ الـكأسَ بالأخرى[٢]

الشعر للحسن بنِ وَهْب ، والغناء لعبـدِ الله بن العباس الرَّبيعىّ ، خفيف ثَقيل بالوُسطى[٣] ، وفيه أيضا له خفيف رَمَل بالبنصر .

---

(١) هج ، وهد : « بالأخرى »
(٢) هج وهد : « باليسرى »
(٣) هج : « الربيعى ، رمل بالوسطى »

أخبار الحسن بن وهب[1]

اسمه ونشأته

هو الحسنُ بنُ وَهْب بن سعيد ، كاتب شاعر[2] مترسِّلٌ فصيح أديب ، وأخوه سُليمان بنُ وهب فَحْل[3] من الكتَّاب ويكنى أبا علىّ ، وهو عريق فى الكتابة ، ولأولاده نَجابةٌ مشهورة تستغنى عن وصف ذلك ، وكانوا يقولون إنهم من بَنِى الحارث ابن كعب ، وأصلُهم نَصارى ، وفى بنى الحارث نَصارى كثير .

قول البحترى فيه

وفى الحسن بن وهب يقول البُحْتُرىّ :

يا أخَا الحارثِ بنِ كعب بن عمرو　　أشُهوراً تَصومُ أم أيّاما ؟[4]

وكان البُحتُرىّ مدَّاحا لهم ، وله فى الحسن ، وقد اجتاز بمنزله بعد وفاته :

أناةً أيُّها الفَلَكُ المُدارُ　　أنهبٌ ما تطرّق أم جُبارُ

نزلنا منزلَ الحسنِ بن وهبٍ　　وقد دَرَستْ مغانيه القِفار[5]

يقول فيها يصف صَبوحًا كانوا قد اصطبَحوه :

أقمنا ، أكْلُنا أكلُ استلابٍ　　هُناكَ وشرْبنا شُربٌ بِدارُ

تنازعْنا المدامةَ وهى صِرْفٌ　　وأعجلْنا الطبائخَ وهى نارُ

ولم يكُ ذاكَ سُخْفا غيرَ أنّى　　رأيت الشَّرْب سُخْفُهمُ الوَقارُ

أخبرنى الصولىّ ، وذكر ذلك عن جماعةٍ من الكتاب :

أن الحسنَ بنَ وهب كان أشدّ تمسكا بالنسب إلى بنى الحارث بن كعب من أخيه

---

(١) هذه الترجمة والصوت الذى قبلها خلت منها مطبوعات الأغانى وهى فى المخطوطات المعتمدة .

(٢) هج : « شاعر كاتب » .

(٣) هج : بمحل » .

(٤) هج : « أم أعواما » بدل « أم أياما » .

(٥) هج : « معالمه » بدل « مغانيه » .

سُليمان ، وكان سليمان يُنكر ذلك ، ويعاتِبُ عليه أخاه الحَسن وابنَه أحمد بنَ سليمان .
وأصلهم من قرية من سواد واسط فى جسر[1] سابور يقال لها « سَارَقِيقا » .

أخبرنى عمى : قال : حدثنى عمر بن نصر الكاتب ، وكان من مشايخ الكتّاب بِسُرَّ من رأى ، قال :

يتباهون بحفظ أشعاره

كنا نتهادَى ونحن فى الديوان أشعارَ الحسن بن وهب ، ونتباهى بحِفْظها ، قال : ٥
وأنشدنى له ، وكتب بها إلى أخيه سليمان بن وهب من مدينة السلام وهو محبوس فى أيام الواثق :

خطبٌ أبا أيوبَ جلَّ محلُّه فاذا جزعتَ من الخطوب فمن لَهَا ؟
إن الذى عَقَدَ الذى انعقدتْ به عُقَدُ المكاره فيكَ يُحْسِن حلَّها
فاصبرْ لعلَّ الصبرَ يفتق ما ترى وعسى بها أن يَنْجَلِى ولعلَّها ١٠

قال : وكتب إليه أيضاً وهو فى الحبس بسُرَّ من رأى :

خليلَىَّ من عبدِ المَدان تروَّحا ونُصَّا صدورَ العيس حَسْرى وطُلَّحا[2]
فإنَّ سليمان بن وهب ببلدةٍ أصابَ صميمَ القلب منّى فأقرَحا
أسائلُ عنه الحارسينَ لحبْسه إذا ما أتونى : كيف أمسَى وأصبحا !
فلا يُهْنِىءِ الأعداءَ أسْرُ ابن حُرَّةٍ يَرَاه العِدا أندى يميناً وأسمحا ١٥
وأنهضَ للأمر الجليلِ بعَزْمَةٍ وأقرعَ للباب الأصمِّ وأفتحا

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ : قال : حدثنى محمد بن موسى بن حماد : قال :

---

(١) مج : « عس » .

(٢) النص : استخراج جهد الناقة فى السير ، وحسر وطلح البعير : أعيا وتعب .

وجّه الحسن بن وهب إلى أبى تمام وهو بالموصل خِلَعًا فيها خَزٌّ وَوَشْىٌ ، فامتدحه بقصيدة أولها :

أبو عَلىّ وَسْمِىٌّ منتجَعَهْ فاخْلُلْ بأعلى واديه أو جَرَعِهْ

ثم وصف الخِلْعة فقال :

٥ وقد أتانى الرسولُ بالملبس الفَخْـــم لصَيف امرىء ومُرتَبَعِهْ
لو أنها جُلِّلتْ أَوَيْنًا لقد أسرعتِ الـكبرياء فى ورَعِهْ
رائقُ خَزٍّ أُجيدَ سابِرُه سَـكْبٌ تدين الصِّبا لمدّرعِهْ
وسرٌّ وشْىٍ كأنّ شِعرىَ أَحْيا نًا نسيبُ العيونِ من بِدَعِهْ
تركتْنى ساهر الجفونِ عَلى أَزْلَمِ دهرٍ بحُسْنها جَذَعِهْ

١٠ — يعنى الدهرَ ، والدهر يقال له : الأزلم الجذَع ، والأزلم : الطويل ، والجذَع : الجديد : يقول : هو قديم سالِف ، ويومُه جديد ، قال لقيطٌ الإيادىّ :

يا قوم بيضتُـكم لا تفضحنّ بها إنى أخاف عليها الأزلَم الجذَعا[2] —

رواية أخرى فيما أرسله إلى أخيه فى سجنه

أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد : قال :

لما حَبس محمد بن عبد الملك الزيات سليمانَ بن وهب ، وطالبه بالأموال وقت نـكبته

١٥ قال الحسن بنُ وهب :

خليلىّ من عبد المدان تروّحا ونُصّا صدورَ العيسِ حَسْرى وطُلَّحا
فإنّ سليمان بن وهبٍ بمنزلٍ أصاب صميم القلب منّى فأقرحا
أُسائل عنه الحارسِيْن لحبسه إذا ما أتونى كيفَ أمسَى وأصبَحا

(١) الأبيات فى الديوان ٢ / ٣٤٣ – ٣٤٨

٢٠ (٢) بيضة البلد : ما يحافظ عليها ويحمى حقيقتها . وفى ف : « لاتفجعن »

فلا يُهنِىء الأعداء حبسُ ابنِ حرّة يراه العِدا أندى يمينًا وأسمحا
وقُولا لهمْ صَبراً قليلا وأصبِحوا فما أقرب الليلَ البهيمَ من الضُّحا

قال : وقيل له وسُليمانُ محبوسٌ : كيف أصبحتَ ؟ قال . أصبحتُ والله قليلَ[1] النّشاط ، كالّ القريحةِ ، صَدِئ الذهْنِ ، ميّت الخاطرِ من سوء فعل الزّمان ، وتَوارُد الأحزان ، وتغيُّر الإخوان ، قال : وآلى ألاّ يذوقَ طعامًا طيِّبًا ، ولا يشرب ماء بارداً ، ما دام أخوه محبوسًا ، فوفّى بذلك .

أخبرنى الصولىّ : قال : أخبرنى أبو الأسود : قال :

من قوله فى حاج

كان للحسن بن وهب جارٌ هاشمىّ ، يلقّب بالطير ، فحجّ سنةً من السنين ، ورجع آخِر الناس ، فقال فيه الحسنُ :

أينقصُ أم يزيدُ من الرقاعهْ أخو حُمْقٍ له الدُّنيا مُشاعهْ
يحجّ على الجمالِ ولو تجلّى لمكة جاءها فى بعْضِ ساعهْ

الدمع حزن محلول

أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنا الطالقانى: قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن وهب : قال : رآنى عمى الحسن ، وأنا أبكى لفراقِ بعض أُلاّفى فقال :

ابكِ فما أنفَع ما فى البكا لأنّه للوجْـــد تَسهيلُ
وهو إذا أنتَ تأمّلتَه حزن على الخدّينِ مَحْلولُ[2]

لا تنه عن خلق

أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنا على بن الصبّاح[3] : قال : بلغ الحسنَ بن رجاء أنّ الحسن بنَ وهب عابه بحُبّ الغِلْمان ، وكان الحسن بن وهب أشدّ حبًّا لهم منه ، فقال : مَثَلى ومثَلُه كما قال حسان بن ثابت :

وإنى لأغنى الناسَ عن فضلِ[4] صاحبٍ يرى الناس ضُلاّلا وليس بمُهْتَدِ

---

(١) هج : « عليل » .
(٢) هج : « حزن جرى فى الخد محلول » .
(٣) مد : « على بن صالح » .
(٤) ف « وصل صاحب » .

أخبرنا محمدٌ : قال : حدثنا الخَزْنبل : قال :

المسئول أحوج من السائل

كتب رجل إلى الحسن بن وهب يستميحه ، فوقّع فى رُقعته :

الجودُ طَبعى ولكن ليس لِى مالُ فكيف يحتالُ مَنْ بالرّهْنِ يحتالُ

أخبرنى الحسنُ بن علىٍّ : قال : حدثنى محمدُ بن موسى بن حمّاد : قال :

٥ كنت أكتبُ فى حَداثَتى بين يدى الحسن بن وهب — وكان شديد الشَّغَف

تكره النار

ببنات جارية محمد بن حماد كاتب راشدٍ ، فكنّا يوماً عنده ، وهى تُغنّى ، وبين أيدينا كانُونُ فحم ، فتأذّت به ، فأمرت أن يباعَدَ ، فقال الحسن :

بأبى كرهتِ النارَ حتى أُبعِدتْ فعلمتُ ما معناكِ فى إبعادِها

هى ضرّةٌ لكِ بالتماع ضيائِهـــا وبحسن صُورتها لدى إيقادِها

١٠ وأرى صنيعَكِ فى القلوبِ صَنيعَها فى شَوكِها وسَيَالِها وقَتادِها[1]

شَرِكتْكِ فى كلِّ الجهاتِ بحُسْنِها وضيائِها وصَلاحِها وفَسادِها

أخبرنى الصُّولىّ : قال : حدثنى الحسيْنُ بن يحيى : قال :

تفاجئه بنات

كنا عند الحسن بن وهب ، فقال : لو ساعدنا الدهر لجاءتنا بناتُ ، فما تكلّمَ بشىء حتى دخلتْ ، فقال : إنِّى وإياكِ لكَما قال على بنُ أمية :

١٥ وفاجأتِنى والقلب نحوَكِ شاخِص وذِكرُكِ ما بين اللسانِ إلى القَلب

فيا فرحةً جاءت على إثْر تَرْحةٍ ويا غفلتَا عنها وقد نزلَتْ قُربى[2]

تخونه شجاعته أمام بنات

قرأتُ فى بعض الكتب : دخلتْ يوماً بناتُ على الحسن بن وهب ، وهو مخمور ، فسلّمتْ عليه ، وقبّلتْ يدَه ، فأراد تقبيلَ يدها ، فمنعتْه فرُعشَ ، فقال :

(١) السيال : ما طال من السمر ، والقتاد : شجر له شوك كالأبر

٢٠ (٢) يا غفلتا قلبت ياء المتكلم ألفا وفى هج : « يا غفلتى »

أقولُ وقد حاولت تقبيلَ كَفِّها ... وبى رِعدةٌ أهتزُّ منها وأسكُنُ

فديتُك إنى أشجعُ الناس كلِّهم ... لدى الحربِ إلا أنّنى عنكِ أجبُنُ

أخبرنى الصُّولىّ : قال : حدّثنى محمدُ بن موسى : قال : جاءت بناتُ تسأل الحسن بن وهب من علّةٍ نالتهْ ، فحين رآها دعا برطْلٍ ، فشَرِبه على وَجْهها ، وقال : قد عوفيتُ ، فأقيمى اليوم عندى ، فأبت وقالتْ : عند مولاى دَعوةٌ ، فأمر بإحضار مائتىْ دينار ، فأحضِرتْ فقال : هذه مائة لمولاك ، فابعثى بها إليه ومائة لكِ ؛ فقالت : أمّا هو فأبعث بمائة إليه[1] ؛ وأما أنا فوالله لا أخذتُ المائةَ الأخرى، ولأتصدقَنّ بمثلها لعافيتِكَ[2] ولكن أكتبُ إليه رقعةً تقوم بعذرى ؛ فأخذ الدواةَ ؛ وكتب إلى مولاها :

بنات داؤه ودواؤه

ضرَّةَ الشمس والقمرْ متِّعينى من النَّظر[3]

مَتِّعينى بجلْسةٍ منك يا أحسن البَشَرْ

أشتريها إن بعتِنها بسمْعِى وبالبَصرْ

أذهبَ السقمَ سُقمُ طر فِكِ ذى الغُنْج والَحور[4]

فأديمى السرورَ لا تمزُجى الصفوَ بالكَدَرْ

ليس يُبقِى علىَّ حُبُّكِ هذا ولا يذرْ

وأنا منه فأنعَمى بمُقامٍ على خَطرْ

وتَغَنَّىْ فداكِ كلُّ مُغنٍّ لكى أُسَرّ

ربع سَلمى بذى بقر عرضة الريح والَمطر[5]

(١) هج هد : « فابعث إليه بمائته »
(٢) هج : « بمثلها من مالى لعافيتك »
(٣) فى هد « صورة الشمس القمر » .
(٤) الغنج : الدل والغزل وفى ف « بالغنج » .
(٥) ذو بقر : واد بعينه

عمه من ضمن عزاله

حدثنى أبو إسحاق بن الضحاك عن أحمد بن سليمان — والحكايتان متفقتان متقاربتان — أخبرنى الصولى : قال : حدثنى الحسين بن يحيى : قال : حدثنى أحمدُ بن سليمان بن وهب قال : قال لى أبى :

قد عزمت على معاتبة عمّك فى حبه لبنات ، فقد شهر بها وافتضح ، فكُن معى ، وأعنّى عليه ، وكان هواى مع عمّى ، فمضيتُ معه فقال له أبى ، وقد أطال عتابه : يا أخى ، جُعِلْتُ فداك ! الهوى ألذّ وأمتع ، والرأى أصوبُ وأنفع ، فقال عمى ممثلا :

إذا أمرتك العاذلاتُ بهَجرِها ... أبتْ كبدٌ عما يقلنَ صَديعُ

وكيف أطيع العاذلاتِ وحبُّها ... يُؤرّقنى والعاذلاتُ هُجوعُ

فالتفت إلىّ أبى يَنظرُ ما عندى ، فتمثّلت :

وإنى ليلحانى على فرط حُبِّها ... رجالٌ أطاعتْهم قلوب صَحائحُ[1]

فنهض أبى مُغضبا وضمّنى عمّى إليه ، وقبّلنى ، وانصرفتُ إلى بناتٍ ، فحدّثتُها بما جرى وعمّى يسمع ، فأخذتِ العُودَ ، فغنّتْ :

يلومُك فى مودّتها أناسٌ ... لو انّهُمُ برأيكَ لم يلوموا[2]

فيه ثقيل أوّل .

منى تلومه

قال أحمدُ بن سليمان ، وعذلته عجوزٌ لنا ، يقال لها : مُنَى ، فقال لها : قومى ، فانظرى إليها ، واسمعى غناءها ، ثم لُومينى ، فقامت معه ، فرأتْها ، وسمعت غناءها فقالت له : لستُ أعاودُ لومَك فيها بعدَ هذا ، فأنشأ يقول :

ويوم سها عنه الزمانُ فأصبحتْ ... نواظرُه قد حار عنها بَصيرُها

(١) يلحانى : يلومنى

(٢) ى ز : « يلومك فى محبتها رجال »

خلوتُ بمن أهوَى به فتكاملتْ سُعودٌ أدارَ النحسَ عنّا مُديرُها

أما تعذريني يا منى فى صَبابتى بمن وجْهُها كالشمس يلمَع نُورُها ؟

تمحت الوسيلة بنات .

قال أحمد بن سليمان : كان لعمى كاتب يعرف بإبراهيم : نَصْرانىٌّ يأنس به ، فسأل بناتَ مَسألتَها (١) عمّى أن يجعل رزقَه ألفَ دِرهم فى الشّهر ، فلمّا شرب أقداحًا ، وطربَ وثبَتْ قائمةً وقالت : ياسيدى لىَ حاجة ، فوثب عَمّى ، فقام لقيامِها ، فقالت : تجعلُ ٥ رزقَ إبراهيم ألفَ درهم فى الشهر ، فقال : سمعاً وطاعة ، فجلستْ فأنشأ يقول :

قامت فقمتُ ولم أكن لو لم تقم لِأُجلّ خلقًا غيرَها فأقوما(٢)

شفعت لإبراهيمَ فى أرزاقه فوددتُ أنى كنتُ إبراهيما

فأجبتُها إنّى مطيعٌ أمْرَها وأراه فرضًا واجبًا محتُوما

ما كان أطيبَ يومَنا وأسَرَّه لو لم يكن بِفراقها مَختُوما ١٠

قال : ثم إن عمى صار إلى أبى ، فأخبره الخبرَ ، فأمر أن يجعلَ لإبراهيمَ من ماله ألفَ دِرهم أخرى لشفاعتها .

بنات لا تزوره فى علته

أخبرنى الصولىّ : قال : حدّثنى إسماعيل بن الخصيب : قال : اعتلّ الحسن بن وهب، فلم تعلم بناتُ بذلك ، وتأخرتْ عن عيادته ، فكتب إليها :

عليلٌ أنتِ أعْلَلْتِه فلو أنكِ علّلتِه ١٥

بوعْدٍ أن تَزوريه إذا ما مُمكنٌ نلتِه

قريبًا لنفيت الدّا ء عنه حينَ واعدتِه

وما ضرّكِ لو جاء رسولٌ منك أرسلتِه

(١) هج : « مساءلة » .

(٢) فى ز : « لأخف وقتا عندها فأقوما » . ٢٠

فيحكى لكِ ما قال كما يحكى الذى قلتِه
أما والله لو أن الـ ـذى يُحمَل حُمّلتِه
لما احتاج إلى التعلـ ـيم فيما قد تجاهلتِه

أخبرنى الصّولى : قال أحمد بن اسماعيل : قال : حدثنى أحمد بن عبيد الله بن
٥ جميل : قال :

أهدى الحسن بن وهب إلى بنات فى علة اعتلتها هدايا حسنة وأهدى معها قفص شفانين[1] ، وكتب إليها :

في الشفانين الشفاء

شفاءٌ أُنين بالشفانين املّتْ لكم نفسُ من أهدى الشفانين عامدا
كُلوها يَكلُّ الداء عنكم فإننى أزوركمُ للشوق لازرتُ عائداً

١٠ أخبرنى عمى : قال : حدثنى ميمون بن هارون : قال :

كتب الحسن بن وهب إلى بنات يوم جمعة يستدعيها ، فكتبت إليه أن عند مولاها أصدقاء له ، وقد منعها من المسير إليه ، فكتب إليها ثانيًا يقول :

يومنا يوم جُمعة بأَبِى أَنـ ـتِ وعندَ الوضيع لا كانَ قومُ
سَفَلٌ مثله يسومونَه الخَسْـ ـفَ ويَرضاه وهو للوغدِ سَوْمُ
١٥ فامنعيهمْ منكِ البشاشةَ حتى يتغشّاهمُ من البَرْد نَومُ
وليكنْ منك طول يومكِ لِلّـ ـه صلاةٌ إلى المَساء وصومُ
وارفعى عنهم الغِناء وإن نا لك عذلٌ من الوضيع ولَوْمُ
واذكرى مُغرمًا بحبِّك أمسى همُّه أن يُديلَه منكِ يوم[2]

لا كان سيدها الوضيع

(١) الشفانين : ضرب من الحمام جميل الصوت بهى المنظر .
٢٠ (٢) أدالنا الله من عدونا : غلبنا عليه .

أخبرنى عمّى قال حدثنى ميمونُ بن هارون ، قال :

كان الحسنُ بن وهب يشربُ عند محمد بن عبد الله بن طاهر ، فعرضَت سحابة ، فبرَقت ورعدَت ، وقطرَت ، فقال الحسنُ :

يناجى البرق

هطلتنا السماء هَطْلا دِراكا عارض المرزمانِ فيها السِّماكا[1]

قلت للبرق إذ تألّق فيها يا زِنادَ السماء من أورا كا ؟ ٥

أحَبيبًا نأيتَه فبكاكا فهو العارضُ الّذى استبكاكا

أم تشبهتَ بالأمير أبى العبّ اسِ فى جُوده فلستَ كذا كا ؟[2]

أخبرنى عمى ، قال : حدثنا أبو العَيناء ، قال :

طلبَ محمدُ بن عبد الملك الزياتِ الحسنَ بنَ وهب ، وكان قد اصطبح مع بنات فكتب إليه : ياسيدى ، أنا فى مجلس بَهِىٍّ ، وطعام هَنِىٍّ ، وشرابٍ شَهِىّ ، وغناء ١٠ رضِىٍّ ، أفأتحوّلُ عنه إلى كدِّ الشقىّ ، ووثبت بناتُ لتقوم ، فردّها وكتبَ :

بينه وبين ابن الزيات

ما بانَ عنكَ الذى بِذ تَ عنه لاعاشَ بَعْدَكْ

إن لم يكن عنده الصبرُ والسّلوُّ فعندَكْ

وما وجدتَه إلا عبدَ الرجاء وعبدَكْ

فاستلبهَا الرسولُ ، ومضَى بها إلى محمد ، فوقّع فيها ١٥

أبا علىٍّ أراكَ الإله فى الأمرِ رُشدَكْ

إن لم تكن عندىَ اليو مَ كنتُ بالشوق عندَكْ

فاهدم مَحلَّكَ عندِى واجهَدْ لذلك جَهدَكْ

(١) المرزمان : نجمان فى السماء مع الشعريين

(٢) فى مج : « فكنت كذاكا »

٢٠

فلستُ أزدادُ إلا رعايةً لك وُدَّك
وانعَمْ بمن قُلتَ فيها عبدَ الرجاء وعبدَك
أُزيلَ نحسُك فيهـا وأطلَعَ الله سَعدك

وردّ الرقعةَ إلى الحسن ، فلما قرأها خَجِل ، وحلفَ ألا يشرب النبيذَ شهراً ، ٥ ولا يفارق مجلسَ الوزير .

آخر عهده ببنات

أخبرنى عمى عن إبراهيم بن المدبّر ، قال :

ولدَت بناتُ من مولاها ولَداً وسمته بإبراهيم ، فأبغضها الحسنُ بن وهب ، وكتبَ إليها :

نُتِـج المُهرةَ الهجانُ هجينًا ثم سَمّى الهجينَ إبراهيما[1]
١٠ بخليلِ الرحمنِ سَمَّيتَ عَبدا أم قريعَ الفِتيانَ ذاك الكريما[2]

وبعثَ بالبنين إليها ، وكان آخر عهدِه بها .

بينه بين أبي تمام

أخبرنى الصولى قال : حدثنا محمد بن موسى قال :

كان الحسن بن وهب يعشق غلامًا روميًا لأبى تمام، وكان أبو تمام يعشقُ غلامًا خزريًا للحسن ، فرأى أبو تمام يومًا الحسنَ يعبثُ بغلامه ، فقال له : والله لئن أعنقت إلى الروم ١٥ لنركُضنّ إلى الخزر ، فقال له الحسنُ : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : ما أشبّهك الا بداود ، ولا أشبّهُ نفسى إلا بخصميْه ، فقال له : لو كان هذا منظومًا حفظناه ، فأما المنثور فهو عارضٌ لاحقيقة له ، فقال أبو تمام :

أباعليٍّ لصرفِ الدهرِ والغِيَرِ وللحوادث والأيامِ والعِبَرِ

(١) الهجين : من أبوه خير من أمه

أعندكَ الشمسُ لم يحظ المغيب بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر

أذكرتنى أمر داود وكنت فتى ... مُصرَّفَ القلب فى الأهواء والذِّكَر

إن أنت لم تترك السيرَ الحثيث إلى ... جآذر الرّوم أعنقْنا إلى الخزَر[1]

إن الغزال له منّى محلُّ هوًى ... يحلّ منى محلّ السمع والبصر

ورُبَّ أمنَع منه جانباً وحِمًى ... أمسى ولكنّه منى على خَطَرِ[2]

جرّدتُ منه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غيابتُها عن تِكّة هَدَرِ

سبحانَ من سبّحتْه كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طَمحانِ الأيْرِ والنظرِ

أنت المقيم فما تعدو رواحلُه ... وأيرُه أبداً منه على سَفَرِ

قال الصولىّ : فحدثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : قلتُ لأبى تمام : غلامُكَ أطوعُ للحسنِ بن وهب من غلام الحسن لكَ ، قال : أجلْ والله ؛ لأنّ غلامى يجد عندَه مالا يجدُه غلامه عندى ، وأنا أعطى غُلَامه قِيلًا وقالًا ، وهو يعطى غُلامى ثياباً ومالًا .

غلامه وغلام أبى تمام

أخبرنى الصُّولىّ: قال : حدّثنى أبو الحسن الأنصارىّ ، قال : حدثنى أبى . وحدثنى الفَضْلُ الكاتبُ المعروف بفنجاخ :

ابن الزيات يتجسس عليه

أنّ الحسنَ بن وهب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهو وزيرُ الواثق ، وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسنِ بن وهب وبين أبى تمام فى غلاميهما ، فتقدّم إلى بعض ولده — وكانوا يجلسون عند الحسن بن وهب — بأن يُعلموه بخبرهما ، وما يكون بينهما . قال : وعزم غلامُ أبى تمام على الحجامة ، فكتب إلى

(١) فى ز : أعندك الشمس قد راقت مطالعها .·. وأنت مشتغل الألحاظ بالقمر

(٢) جآذر : جمع جؤذر : ولد الظبى

(٣) هج : « ولكنه » . منّى على خطر

الحسن يُعلمه بذلك ، ويسأله التوجيه إليه بنبيذٍ مطبوخ ، فوجّه إليه بمائة دنّ ومائة دينار ، وبخلعة حسنة وبخورٍ كثير ، وكتب إليه :

ليتَ شعرى يا أملحَ الناسِ عندى   هل تداويتَ بالحجامة بَعدى
دفعَ الله عنك لى كُلَّ سَوء   باكرٍ رائحٍ وإن خنتَ عهدى
قد كتمتُ الهوى بمبلغِ جُهدى   فبدا منه غيرُ ما كنتُ أبدى
وخلعتَ العِذارَ فليعلم النا   س بأنى إياكَ أصفى بوُدّى
وليقولوا بما أحبّوا إذا كنـ   ـتَ وَصولا ولم ترُعنى بصدّ
مَن عذيرى من مُقلتيكَ ومن إشـ   ـراق وجهٍ من دون حُمرة خَدّ

قال : ووضع الرّقعةَ تحتَ مُصلّاه ، وبلغ محمد بن عبد الملك خبرُ الرّقعة ، فوجّه إلى الحسن ، فشغله بشىء من أمره ، وأمر من أخذَ الرقعة من تحت مُصلّاه ، وجاءه بها ، فقرأها ، وكتب فى ظَهرِها :

ليت شِعرى عن ليت شِعركَ هذا   أبِهزلٍ تقوله أم بجِدّ
فلئن كنتَ فى المقال مُحقًّا   يابنَ وهبٍ لقد تغيّرتَ بعدى
وتشبّهتَ بى وكنتُ أرى أنى   أنا العاشقُ المتيّم وحْدى
أتركُ القصدَ فى الأمور ولولا   غمراتُ الهَوى لأبصرت رُشدى
رأحب الأخ المشارك فى الحب   وإن لم يكن به مثلُ وجدى
كنديمى أبى علىّ وحاشا   لنديمى مثل شِقوة وَجدّى

صـــوت

إنّ مولاىَ عبد غيرى ولولا شُؤم جَدى لـكان مولاىَ عَبْدى
سيِّدى سيدى ومولاىَ من أوْ رَثَنى ذِلّةً وأضرَعَ خَدِّى

فى هذين البيتين الأخيرين لحن من الرمل، أظنه لِجحظة أو غيره من طَبقته.

قال: ثم وضع الرقعة فى مكانها، فلما قرأها الحسنُ قال: إنا لله! افتضحْنا ٥ عند الوزير، وحدَّثَ أبا تمام بما كان، ووجَّه إليه بالرقعة، فلقيَا محمدَ بن عبد الملك، وقالا له: إنما جعلنا هذين سبباً للكاتبة بالأشعار لا للريبة، فتضاحَكَ وقال: ومَنْ يظنّ بكما غير هذا! فكان قولُه أشدَّ عليهما من الخبرِ..

قرأتُ فى بعض الـكتب: كان الحسنُ بن وهب يعاشرُ أبا تمام عِشرةً متّصلة، ١٠ فنُدب الحسنُ بن وهب للنظر فى أمر بعض النواحى، فتشاغلَ عن عِشرة أبى تمام، فـكتب إليه أبو تمام:

هل عاقه أيلول

قالوا جفاكَ فلا عهدٌ ولا خبرٌ ماذا تراه دهاه؟ قلتُ: أيلولُ
شهرٌ كأنّ حِبالَ الهَجر منهُ فلا عَقْدٌ من الوصل إلّا وهْو محلولُ

فأجابه الحسن: ١٥

ما عاقَنى عنكَ أيلولٌ بلذّته وطِيبِه ولنعمَ الشهرُ أيلولُ
لـكن توقّعَ وَشْك البينِ عن بَلدٍ تحتلُّه وِوِكاء العينِ محـــلولُ

اثنان فى قرن

وقرأت فيه: كان بين الحسنِ بن وهب وبين الهيثم الغَنَوىّ وأحمد بن أبى داود تباعدٌ، فقال يهجوهما:

سألت أبي وكان أبي خبيراً بسُكّان الجزيرة والسّواد
فقلت لهم : أهيثَمُ منْ غَنِيٍّ ؟ فقال كأحمدَ بن أبي دُواد
فإن يك هيثَمٌ من جَذْم قَيس فأحمدُ غير شَكٍّ من إياد

اعتذار وقبول

أخبرني عمي : قال : حدّثني عُمر بن نصر الكاتب ، قال :

٥ كتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن معروف الواسطي يسأله أن يصيرَ إليه. فكتب إليه محمد :

وقيتُكَ كلَّ مكروهٍ بنفسي وبالأدنينَ من أهلي وجِنسي
أتأذن في التأخّرِ عنك يومي على أن ليس غيرُكَ لي بأُنسِ

فأجابه الحسنُ بن وهب ، فقال :

١٠ أقِم لازلت تُصبحُ في سرورٍ وفي نِعَمٍ مواصلة وتُمسى
فما لي راحةٌ في حبس مَن لا أراهُ يكونُ محبوساً بحَبسى

وكان الحسنُ يومئذ معتقلًا في مُطالبة يُطالب بها .

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسناد .

صاحب غير مؤتمن

كان الحسنُ بنُ وهب يعشق بناتَ ، جاريةَ محمد بن حماد الكاتب ، وكان له معها ١٥ أخبارٌ كثيرة ، وكان لا يصبرُ عنها ، فقَدِم الحسنُ ابن إبراهيم بن رَباح من البصرة ، واتصل به خبرُها ، ووصفها له الحسنُ بن وهب ، وصار به إليها ، فأتمّ ليلتَه معها ، ومرّت بينهما أعاجيب ، ثم خالفه الحسنُ بنُ إبراهيم بن رَباح ، وخانَه في أمرها ، فكتب إليه الحسنُ بنُ وهب :

لا جميلٌ ولا حسَن خُنتَ عهدي ولم أخُنْ
٢٠ كلتَ إذ قلتَ هـذا أعاجيب الزّمنْ(١)

فإلى اللهِ أشتكى ما بقلبى من الحَزَنْ
رُبَّ شكوى من الصديقِ إلى غير ذى شَجَنْ
بأبى أنتَ يا حسنْ يا أخا الطوْل والمِنَنْ
أىُّ رأىٍ أراكَ خَتْلىَ فى الشادِنِ الأغَنْ
يتخطّى إليه دُو نىَ فى حالكِ الدُّجُنْ
فترى منه سُنَّةً تتعالى عن السُّنَنْ
مَع كشفى لكَ الحديثَ الذى عنكَ لم يُصَنْ
واعتمادِى زعمتُ منكَ على أحصَنِ الجُنَنْ
وعلى خيرِ صاحبٍ وعلى خيرِ ماسكَنْ
خَجِلى منْ إساءةٍ فَضحَتْ حُسنَ كلِّ ظَنّ
ثم مِمّن جرَتْ إلى مَن وفيمَن وعند مَنْ ؟
إن تكنْ تلك هفوة فهى كالشىء لم يكُنْ
أو تكن بعتَ خُلّتى بموافٍ من الثمَنْ
دُرّة البحرِ من عدَنْ ذُخْر سيفِ بن ذِى يَزَنْ
لم يكن قطُّ مثلُها فى معدٍّ ولا عَدَنْ

فتغافل عن جوابه ، وأقام على مُواصلتها وسماعها وحَظر عليها ، فلم يكن الحسنُ بنُ وهب يلقاها ، فثَقُل ذلك عليه ، وكتب إليها بهذه الأبيات :

أنكرتِ معرفتى جُعلتُ لك الفدا إنكارَ سيّدةٍ تُلاعِبُ سَيِّدا
أناذو[1] منعْتِ جفونَه أن ترقُدا وتركتِه ليلَ التمام مُسهَّدا

(١) ذو هنا اسم موصول ، أى أنا الذى منعت

وبريتِ لحمَ عِظامه فتجرَّدا وأزَرْتِ مضجَعه النساء العُوَّدا
أنا ذا فإن لم تعرفينى بعدَ ذا فأنا ابنُ وهبٍ ذو السماحة والنَّدى
أشكو إلى الله الفؤاد المُقْصَدَا وجوًى ثوى تحتَ الحشا مُتلدِّدا
وغريرة ما كنتُ من إشفاقها يوماً وإن بَعُدَ التلاقى مُسْعِدَا
يا ظبيةً فى روضــةٍ مَوْليَّةٍ جادَ الربيعُ تُرابَها فتلبَّـــدا
هل تجزينَّ الوُدَّ منِّى مثلَه أو تَصدُقين من المواعدِ موعدَا؟
إنى وإنْ جَعلَ القريضُ يجولُ بى حتَّى يغُورَ بما أقولُ ويُنجِدا
لَعلَى يقينٍ أنَّ قلبَكِ مُوجَعٌ عندى المثالُ أنا الحِمَى ولكِ الفِدا
وكما علمتِ إذا لبستِ المُجْسَدا وثَنَيْتَ خَلفَ الأذْنِ حاشيةَ الرِّدا[1]
وحَبَوتِ جيدكِ من حُلِيِّكِ عَسْجدًا ونظمتِ ياقوتًا به وزَبرْجَدا
وشكوتِ وجدكِ فى الغِناء شِكايةً يُنسِى حُنينًا والغَريضَ ومَعْبَدا
سِيَما إذا غَنَّيتنى بتعمُّــدٍ بأبى وأُمِّى ذاكَ منكِ تَعمُّدا
أثْوى فأقصرَ ليلةً ليزوَّدا ومضى وأخلفَ من قُتَيْلةَ موْعِدا

فوقعت الأبياتُ[2] فى يد ابن رباح فقرأها ، وعلم أنَّه قد بلغ منه . فكتب إليه :

صاحبه يرق لحاله

فِدًى لكَ آبائى وحقٌّ بأن تُفدَى فِدًى لك قَصداً من ملامك لى قَصْدا
ولا تَلْحَنِى فى عَثْرة إن عثرتُها فلا والذى أمسيتُ أدعى له عبدًا
وعهدُك يا نفسى يَقيك من الرَّدى فأعظِمْ به عندى وأكرِمْ به عَهْدا

(١) المجسد : المصبوغ بالجساد : أى الزعفران

(٢) فى هج « فوقع الشعر »

يمينَ امرئٍ بَرٍّ صَدوقٍ مُبرٍّإٍ من الإثمِ ما حاولتُ هَزْلًا ولا جِدًّا
سِوى ما به أزدادُ عندكَ زُلفةً ويُكسبنى منك المودّة والحَمدا
أرى الغىّ إن أومأت للغىّ طاعةً لأمركَ فضلا عن سِوى الغىّ لى رُشدا
وأسعَى لما تسعى وأتبعُ ما ترى وفى كلِّ ما يُرضيك أستغرقُ الجُهدا
إذا أنا لم أمنَحك صفوَ مودّتى فمن ذا الذى أصفِى له غيرَكَ الوُدّا؟ ٥
ومن ذا الذى أرعَى وأشكرُ والذى يُؤمِّل خيراً بعدُ منّى أو رِفْدا
وأنت ثِمالى والمعوّل والذى أشدّ به أزرى فيعصِمُنى شَدًّا
وآثرُ خلقِ الله عندى ومن له أيادٍ ووُدٌّ لستُ أحصيهما عدًّا
فلا تحسبنّى مائلا عن خَليقتى لك الدهرَ حتى أسكنَ القبرَ واللَّحْدا
معاذ إلهى ان أرى لك خاذِلا ولكنّ عذرى واضح أنّ بى وَجْدا[1] ١٠
بأحسنِ من أبصرتُ شخصاً وصُورةً وأملحِ خلقِ الله كلِّهمُ قَدّا
بمالكةٍ أمرى وإن كنتُ مالكا لها ففؤادى ليس من حُبِّها يَهْدا
إذا سألتنى أن أقيم عَشيَّةً لأونِسها لا أستطيعُ لها رَدّا
تُراشِفُنِى صفوَ المودّة تارةً وأجنى إذا ماشئتُ من خدّها وَردا
قنعتُ بها لمّا وثِقتُ بحبّها فلا زينبا أبغى سواها ولا هِندا ١٥
ولو بُذِلَتْ لى جنّةُ الخلد منزِلاً وقلتَ: اجتنبْها لاجتنبتُ لها الخُلْدا

المساجلة بينهما تمتد

فلما قرأها الحسن بن وهب علم أنه قد ندمَ فكتب إليه:

حسنٌ يشكو إلى حسنٍ فقْدَ طَعم النوم والوَسَنِ

---

(١) فى ز: «أنى ميت وجدا»

وهوًى أمستْ مَطالِبُهُ   قُرِنَتْ باليأسِ فى قَرَنِ
وحبيبٌ فى محلَّتـه   معهُ فى الدار لمْ يَبِنِ
فإذا ما رَام زَورتَهُ   فهو كالغادِين فى الظُّعُنِ
عجبًا للشمس لم ترَها   مُقلَتى حَولًا ولم ترنِى
أتراها بعدَنا صَرَمتْ   حبْلنا هذا من اليَمَنِ ٥
فقديمًا كان مطلِعُها   بيدى سَيف بن ذى يزَنِ

فكتب إليه ابن رَباح :

حسنٌ يَفدِى بمُهجتِه   حسنًا من حادثِ الزَّمنِ
ويقِيـه ما تضمَّنَـه   من دَخيلِ الهمِّ والحزَنِ
هاكَ عينِى فابكِ واقيةً   عينكَ العَبْرَى على الشَّجَنِ ١٠
وفؤادِى فامْلَهُ حَزَنًا   من صُروفِ الهمِّ والفِتَنِ
إن تكن شمسُ الضُّحا حُجِبت   عن سليلِ المجد من يَمنِ
فهْى حَيرَى عن مَطالعها   فى سوى قومِ ابنِ ذِى يزَنِ

رواية أخرى عن منافسه فى بنات

ثم اعتذر إليه ، ورجع إلى معاشرته ، وكان لا يحضُر دار محمد بن حماد ، ولا يسمع غناء بناتَ جاريته إلا مع الحسنِ بن وهب لا يستأثرُ بها عليه . ١٥

وقال محمد بن داود الجراح : حدثنى بعض أصحابنا : أنّ الحسنَ بنَ وهب ، أتى أبا إسحاق إبراهيم بن العباس مستعديًا على أبى محمد الحسن بن مخلد فى أمر بنات جارية محمد بن حماد ، وكان الحسنُ بن وهب يتعشقُها ، فأفسدها عليه الحسنُ بن مخلد ، ولم يذكرْ محمد بن داود من خبرها غير هذا ، وإنما ذكرت هذه القصة على قلة الفائدة فيها ليتَّضح خبرهُ مع بنات إذ كان ما مضى ذكره من خبرها لم يقع إلىّ بروايته . ٢٠

يستسقيه أبو تمام فيسقيه

أخبرنى محمدُ بنُ يحيى الصولىّ ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن أحمد ، قال : وجدت بخط محمد بن يزيد : كتب أبو تمام إلى الحسن بن وهبٍ يستسقيه نبيذاً :

جعلتُ فداكَ عبد الله عندى بعقْبِ الهَجر منه والبعاد
لهُ لُمَةٌ[1] من الكتّاب بيضٌ قَضَوا حقَّ الزيارة والوِداد
وأحسبُ يومَهم إن لم تجدهم مُصادِفُ دَعوةٍ منهم جَمادِ[2]
فكم يومٍ من الصهباء سارٍ وآخرَ منكَ بالمعروف غادِ
فهذا يستهِلُّ على غَليلى وهذا يَستَهلُّ على تِلادى
فيسقِى ذا مَذانبَ كُلِّ عِرْقٍ ويَنزع ذا قرارةَ كُلِّ واد
دعوتُهُمُ عليكَ وكنتَ مِمَّنْ نُعيِّنُه على العُقَدِ الجِيادِ

قال : فوجّه إليه بمائة دينار ومائة دنٍّ نبيذاً .

هو وأبو تمام يزوران أبا نهشل

قال محمد بن داود بن الجراح :
زار الحسنُ بن وهب وأبو تمام أبا نهشل بن حُميد ، فبدأ أبو تمام ، فقال :

* أغصَّك اللهُ أبا نَهشلِ *

ثم قال للحسن أجِزْ : فقال :

* بخدِّ ريم شادِنٍ أكحلِ *

ثم قال : أجزيا أبا نهشل ، فقال :

تَطمعُ فى الوصلِ فإن رمتَه صار معَ العيّوق فى مَنزِلِ[3]

---

(١) لعلها مخفف لمة أى أصحاب .
(٢) جماد كلمة تقال للبخيل ذما له .
(٣) العيوق : نجم أحمر فى طرف المجرة الأيمن

أخبرنى جعفر بن محمد بن قُدامة بن زياد الكاتب : قال :

من كتبه إلى أبى تمام

كتب الحسنُ بنُ وهب إلى أبى تمام ، وقد قدِم من سفَر : جُعِلت فِداءك ووفاءك وأسعدنى الله بما أوفى علىّ من مقدمك ، وبلَغَ الوَطرُ كلُّ الوطَر بانضمام اليدِ عليك، وإحاطة الملك بِك ، وأهلا وسهلا ، فقرّب الله داراً قرّبتْك ، وأحيا رِكاباً أدّتك ، وسقى بلاداً يلتقى ليلُها ونهارُها عَليك ، وجعلكَ اللهُ فى أحصن معاقِله ، وأيقظِ محارسِه وأبعدِها على الحوادث مراماً برحمته .

أخبرنى الحسنُ بن على : قال : حدثنا محمد بن موسى : قال :

يدافع عن أبى تمام

قال رجل للحسن بن وهب : إن أبا تمام سَرَق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أبى سُلمى ، وهو رجل من أهلِ الجزيرة قصيدَته التى يقول فيها :

كأنّ بنى القعقاع يومَ وفاته ... نُجومُ سماء خرَّ من بينها البدْرُ
تُوفِّيت الآمالُ بعدَ محمدٍ ... وأصبحَ فى شُغْلٍ عن السَّفَر السَّفْرُ

فقال الحسن: هذا دِعبل حكاه ، وأشاعَه فى الناس ، وقد كذبَ ، وشعرُ مكنِف عندى ، ثم أخرجه ، وأخرج هذه القصيدة بعينِها ، فقرأها الرجل فلمْ يَجد فيها شيئاً مما قاله أبو تمام فى قصيدته : ثم دخل دعبل[1] على الحسن بن وهب ، فقال له : يا أبا علىّ ، بلغنى أنك قلتَ فى أبى تمام كيتَ وكيتَ ، فهبه سَرق هذه القصيدة كُلَّها ، وقبلنا قولَكَ فيه ، أسرق شعرَه كلَّه ؟ أتحسنُ أنت أن تقول كما قال :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بَعدى ... ومَحّتْ كما مُحّتْ وشائعُ من بُرْدِ[2]
وأنْجدتمُ من بَعد إتهام دَارِكمْ ... فيادمعُ أنجدْنى على ساكِنى نجْدِ ؟

فانخزل دِعبل واستحيا ، فقال له الحسنُ : الندم توبة ، وهذا الرجل قد توفّى ،

(١) فى هج : « ثم دخل على تفيئة ذلك دعبل » وتفيئه الشىء : زمانه

(٢) مح الثوب : بلى والفعل يمح ، والوشيعة : المكوك ؛

ولعلك كنتَ تُعاديه فى الدنيا حسداً على حظِّه منها ، وقد مات الآن ، فحسبُك من ذكره ، فقال له : أصدقك يا أبا علىٍّ ، ما كان بينى وبينه شىء قط إلا أنى سألته أن ينزل لى عن شىء استحسنتُه من شعره ، فبخِلَ علىّ به ، وأما الآن فأمسكُ عن ذكره ، فجعل الحسنُ يضحَك من قوله واعترافه بما اعترف به .

اليزيدى يعير محمد بن حماد

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء : قال : حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعى : قال :

٥

كتب إبراهيم بنُ محمد بن أبى محمد اليزيدى إلى محمد بن حماد الكاتب يهجوه ، ويعيره بعشق الحسن بن إبراهيم بن رباح والحسن بن وهب جاريته وتغايُرهما عليها :

لى خليطان مُحكَمان يُجيدا ... ن ليَا يعمَلانِه حاذقانِ

واحد يعملُ القِسىَّ فيأتيـــكَ بها فى استقامةِ الميزانِ

وفتًى يعمَل السكاكينَ فى القرْ ... نِ مقرٌّ بحذقه الثَّقَلانِ

١٠

وهما يطلبان قَرْناً على رأســكَ فانظر فى بعضِ مايسألانِ

قلت: هلْ يؤلِم الفتى قطعُ مافيـــه تريدان أيها الفتيانِ ؟

فأجابا بلُطفِ قولٍ وفهْمٍ ... قم فإنّا إذاً لنَوْكى مَدانِ(١)

فاقطع الآن ما برأسكَ منها ... إن فيما ترى لمحضُ بيانِ

ذاك خيرٌ من أن يُسمَّى اسمَ سوءٍ ... فيقالُ انظُروا إلى القرْنانِ(٢)

١٥

---

(١) نوكى : جمع انوك ، وبنو المدان : هجاهم حسان بالحمق ثم مدحهم بالفصاحة والطول .

(٢) القرنان : الديوث المشارك فى قرينته .

صـــوت

قد كان عتبُك مرَّةً مكتوما   فاليوم أصبحَ ظاهراً معلوما

نال الأعادى سُؤْلَهم لاهُنِّئوا   لمّا رأونا ظاعناً ومُقيما

والله لو أبصرتَنى لأَدَيْتَ لى   والدمع يَجرى كالجُمان سُجُوما[1]

هبنِى أسأتُ فعادةٌ لك أن تُرى   مُتجاوِزاً مُتطاوِلا مَظْلوما[2]

٥

الشعر لأحمد بن يوسف الكاتب ، والغناء لعُبيد بن الحسن الناطقى اللّطَفى ، ثانى ثقيل بالوسَط ، وفيه خفيف رمل يقال : إنه لزَذَاذ ، وفيه ثقيل أول مجهول .

(١) لأديت لى : أى أشفقت ورفقت لى . وفى ب : « لوجدتنى »

(٢) فى هج « متطاولا متجاوزاً » .

أخبار أحمد بن يوسف

اسمه ونسبه

هو أحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب ، وأصله من الكوفة ، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء ، وله رسائل معروفة ، وكانَ يتولى ديوان الرسائل للمأمون ، ويُكنى أبا جعفر ، وكان موسى بن عبدُ الملك غلامَه وخِرِّيجَه ، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أن أحمد بن سَعيد حدّثه عن موسى بنِ عبد الملك : قال : وهب لى أحمد بن يوسف ألفى[١] ألف درهم تفاريق عن ظهر يَدٍ .

أخوه القاسم راثى البهائم

وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر ، وكان ينتمى إلى بنى عِجْل ، ولم يكن أخوه أحمد يدّعى ذلك .

وكان القاسم قد جعل وَكْده[٢] فى مدح البهائم ومراثيها فاستغرق أكثر شعره فى ذلك ، منها قوله يرثى شاة :

عينُ بكِّى لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجِلاء[٣]

وقوله فى الشاهَمُرك[٤] :

أقفرت منك أبا سَعْـــدٍ عِراصٌ ودِيارُ

وقوله فى السِّنَّوْر :

ألا قل لمُجَّةَ أو ماردة تبكِّى على الهِرَّة الصائدة[٥]

---

(١) فى ف : ألف درهم .
(٢) الوكد : بالفتح معناه المراد والهم والقصد .
(٣) الأدماء : البيضاء ، ويوم الجلاء : يوم الزفاف وعرض العروس .
(٤) الشاهمرك : الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام وهو معرب الشاه مرغك : ملك الكتكوت
(٥) فى ف : « مخة » .

وقوله فى القُمْرِىّ[١] :

هل لامرئٍ من أمانٍ من طارق الحدَثانِ ؟

يتبنى جارية للمأمون

أخبرنى محمدُ بن خَلف وكيع : قال : حدثنا عبد الله بنُ أبى سعد : قال : حدثنى رجل من ولد عبد الملك بن صالح أن الهشامى قال :

٥ كان أحمدُ بن يوسف قد تبنّى جارية للمأمون اسمُها مُؤْنِسة ، فأراد المأمونُ أن يسافر ويحمِلَها ، فكتب إليه أحمد بن يوسف بهذا الشعر على لسانها ، وأمر بعض المغنِّين ، فغناه به ، فلما سمِعَه وقرأ الكتاب أمر بإخراجها إليه ، وهو :

* قد كان عَتْبُك مرة مكتوما *

وقال محمد بن داود : حدثنى أحمد بن أبى خيثمه الأطرُوش[٢] قال :

١٠ عتب أحمدُ بن يُوسف على جارية له ، فقال :

واعظ غير متعظ

وعاملٍ بالفُجور يأمرُ بالـــبِرّ كهادٍ يخُوض فى الظُّلَمِ
أو كطبيبٍ قد شفَّه سَقَمٌ وهْو يُداوِى من ذلكَ السَّقَمِ
يا واعظَ الناسِ غير متَّعظ نفسَك طهِّر أوْلا فلا تلُمِ

يقول شعراء على لسان مؤنسة

ووجدتُ فى بعض الكتب بلا إسناد : عَتَب المأمون على مؤنسةَ ، نخرج إلى الشَّمَّاسِيّة[٣] متنزِّهاً ، وخلَّفها عند أحمد بن يوسف الكاتب فرجَتْ أن يذكرها إذا

١٥ صار فى مُتنزَّهه[٤] ، فيرسلَ فى حملها ، فلم يفعلْ ، وتمادى فى عتبه ، فسألَتْ أحمد بن يوسف أن يقول على لسانها شعراً ترفعه[٥] فقال :

(١) القمرى : ضرب من الحمام
(٢) هد : « أحمد بن خيثمة قال : أخبرنا أبوجعفر الأطروش »
٢٠ (٣) الشماسية : نسبة إلى بعض شماسى النصارى وهى مجاورة لدار الروم التى فى أعلى بغداد .
(٤) كذا فى ف ، ا وفى س ، ب «متنزهه» .
(٥) فى هج « ترققه به »

ياسيدا فقدُه أغرى بىَ الحَزَنا لا ذقتُ بعدكَ لا نوماً ولا وَسَنا
لا زلتُ بعدكَ مَطويًّا على حُرَقٍ . أشنا المُقامَ وأشنا الأهلَ والوطَنا[1]
ولا التذذتُ بكأس فى مُنادمةٍ مذ قيل لى : إن عبد الله قد ظَعَنا
ولا أرى حَسناً تبدو محاسنُه إلّا تذكرتُ شوقاً وجهكَ الحَسَنا

وبعث به إلى إسحاق الموصلىّ ، فغناه به ، وقيل : بل بعثْ به إلى سُندُس ، فغنّتْه به ، فاستحسن ذلك ، وقال : لمن هذا الشعر ؟ . فقال أحمد بن يوسف : لمؤنِسة ياسيدى تترضّاك ، وتشكو البعد منك ، فركب من ساعته ، حتى ترضّاها ، ورضِىَ عنها .

ووجدت فى هذا الكتاب قال :

كنا مع أحمد بن يوسف الكاتبِ فى مجلس ؛ وعندنا قَيْنة ، فتحلاّها[2] أحمدُ بنُ يوسف ، فكتب إلى صاحب المنزل :

أنا رهنٌ للمنــايا بين إبرامٍ ونَقْضِ
من هَوى ظبى غريرٍ مونَق المنظرِ غَضٍّ
ليتها جادتْ بتقبيــلِ لخدَّيها وعَضٍّ
إن عجزتُم عن شِراها لى بفَرْضٍ أو بقَرْضٍ
فتمنّوا لى جميعاً أنها قَبرٌ لبعضِى

له يطل والفضل يطل

أخبرنى عمى : قال : حدثنا الحسنُ بن عُليل : قال :

ذكر مسعود بن أبى بِشر أنّ أحمدَ بنَ يوسف دخلَ يوماً على الفضلْ بن سَهل

---

(١) أشنا : أبغض وأصلها بالهمز وسهلت

(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « فتحللها » . وتحلاها ، بمعنى استحلاها .

أو أخيه فى يوم دَجْن ، فأطال مُخاطبته ، وكان أحمدُ بن يوسف آنسًا به ، ففتح دواتَه وكتبَ إليه :

صــــوت

أرى غَيْمًا تؤلِّفُه جَنُوبٌ   وأحسِبُه سيأتينا بَهطْلِ
فوجْهُ الرأىِ أن تدعو برَطلٍ   فتشربَه وتدعُو لى برَطلِ

ودفعها إليه فقرأها ، وضحك ، وقال : إن كان هذا عينَ الرأى قبلناه ، ولم نردّه ، ثم دعا بالطعام والشراب ، فأتموا يومَهم .

الغناء فى هذين البيتين للقاسم بن زُرزُور ثانى ثقيل بالوسطى .

ومما يغنّى فيه من شعره :

صــــوت

يعشق محمد بن سعيد

صدَّ عنى محمدُ بنُ سعيدٍ   أحسنَ العالمينَ ثانِيَ جِيدِ
ليس من جفوةٍ يصدُّ ولكنْ   يتجنّى لُحسْنه فى الصُّدودِ

الغناء فيه لزُرزور خفيف رَمَل ، ذكر ذلك إبراهيم بن القاسم بن زُرزُور عن أبيه ، ومحمد بن سعيد هذا كان من أولاد الكتّاب بسُرّ من رأى ، وكان أحمدُ يتعشّقه .

ومن شعره الذى يُغَنَّى فيه :

صــــوت

كم ليلةٍ فيكَ لاصباحَ لها   أحييتُها قابضًا على كَبِدى
قد غَصَّت العينُ بالدموع وقدْ   وضعتُ خدِّى على بَنانِ يَدى
كأنّ قلبى إذا ذكرتُكُم   فريسةٌ بين ساعِدَىْ أسد

الغناء لشارية من رواية طبّاع ، وفيه خفيف رَمَل ، ذكر حَبَش أنه لأحمد النصيبى ، وهو خطأ يشبه أن يكون لأحمد بن صدَقَة أو بعضِ طَبقَته .

صـــوت

الراحُ والنّدْمانُ أحسنُ منظراً فى كل ملتفٍّ الحدائق رائقِ
فإذا جمعتَ صفاءه وصفاءها فارْجُمْ بكل مُلمة من حالِقِ

الشعر للعَطَوى ، والغناء لبَنان ثقيل أول بالوُسطى ، وفيه لذكاء وجه الرزة[1] خفيف ثقيل .

٥

(١) ذكاء : غلام أحمد بن يوسف كان مغنيه .

أخبار العطوى

اسمه ونسبه

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبى عطية مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ويكنى أبا عبد الرحمن بَصرىٌّ المولد والمنشأ .

وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبى دُاود ، وتقرّب إليه بمذهَبه وتقدّمِه فيه بقوة جِدالِه عليه ، فلما تُوفِّىَ أحمد نقصت حاله . وله فيه مدائح يسيرة ، ومراثٍ كثيرة .

واتصاله بأبى داود

منها ما أنشدنيه الأخفش عن كوثرةَ أخى العَطَوىّ :

حَنَّطْتَه يا نصرُ بالكافورِ وزففتَه للمنزِلِ المهجورِ
هلاّ ببعض خِصاله حَنّطتَه فيضوعُ أفقُ منازلٍ وقُبورِ؟
تاللهِ لو من نشرِ أخلاقٍ له يُعزَى إلى التقديسِ والتطهيرِ[1]
حنّطتَ من سَكَنَ الثّرى وعلا الرُّبا لِتَزَوَّدُوه عُدّةً لنُشورِ
فاذهبْ كما ذهبَ الوفاءُ فإنه ذهبتْ به ريحا صَبًا ودَبُورِ
واذهبْ كما ذهب الشبابُ فإنه قد كان خيرَ مُصاحِبٍ وعَشيرِ
والله ما أبنتُه لأزيدَه شَرفًا ولكن نفثةُ المَصدورِ

وأنشدنى الأخفش للعَطوىّ أيضاً يرثى أحمدَ بنَ أبى دُواد قال :

وليس صريرُ النعشِ ماتسمعونَه ولكنه أصلابُ قومٍ تقَصَّفُ
وليسَ نسيمُ المسكِ ريّا حَنُوطِه ولكنّه ذاكَ الثناءُ المُخَلَّفُ

يعتبره الشعراء اماما

وذكر محمد بن داود فى كتاب الشعراء ، فقال : كانله فنٌّ من الشعر لم يُسبَق إليه ،

(١) فى ف ، هد : «لو بشريف»

ذهب فيه إلى مذهب أصحاب الكلام ، ففاقَ جميعَ نظرائه ، وخفَّ شعرُه على كل لسان ، ورُوِى ، واستعمله الكتابُ ، واحتذَوْا معانيَه ، وجعلوه إماماً .

قذارة وإدمان

قال ابن داود : وحدثنى المبرِّد : قال : كان العَطَوِىّ — وهو عندنا بالبصرة — لا ينطق بالشعر ، ثم ورد علينا شعرُه لمّا صار إلى سُرَّ مَنْ رأى ، وكنا نتهاداه ، وكان مقتّرا عليه رزقه ، دَفِرا[1] وسِخاً ، منهوماً بالنبيذ ، وله فيه فى وصف الصَّبوح وذِكر النَّدامى والمجالس أحسنُ قول ، وليس له قولٌ يَسقط ، فن ذلك قوله :

فِيَّ إلى أهدى السُّبلْ قولًا وعلماً وعَمَلْ

قاتلها اللهُ لقدْ ساَمتكُما إحدى العُضَل[2]

تقول هلا رِحلَةً تنقلُنا خيرَ نُقَل

أخشى على جائلةِ الآمالِ جوَّالَ الأجَلْ

أيهما الآجال جامع الأموال ؟

أخبرنى على بن سليمان الأخفش : قال : حدثنى محمد بن يزيد : قال :

سمع العَطَوِىُّ رجلا يحدِّث أن رجلا قال لعمر بن الخطاب : إن فلانًا قد جمعَ مالا ، فقال عمر بن الخطاب : فهل جمعَ له أيامًا ؟ فأخذ العطوى هذا المعنى فقال :

أرفِهْ بعيش فتًى يغدو على ثِقَةٍ إنّ الذى قسم الأرزاقَ يرزُقُهُ

فالعِرْضُ منه مَصونٌ لايُدنِّسه والوجه منه جَديد ليس يُخلِقُه

جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له ياجامعَ المال أيامًا تُفرِّقه ؟[3]

المال عندكَ مخزونٌ لوارثه ما المالُ مالُكَ إلا حين تُنفقه

يتمنى كأسا وندمانا

ومن قوله فى النُّدمان والنَّبيذ مما يغنّى فيه ما أنشدنيه الأخفش وغيرُه من شيوخنا :

---

(١) دفراً : نتنا .

(٢) العضل : جمع عضلة وهى الداهية .

(٣) فى هج «فقل لى» بدل «ففكر»

صـــوت

فكم قالوا تمنَّ فقلتُ كاسٌ يطوفُ بها قضيبٌ فى كثيبِ[1]

وَنُدْمانٌ تُساقطنى حديثًا كلحظ الحِبِّ أو غضِّ الرقيبِ

الغناء فى هذين البيتين لذكاء وجه الزِّرَّة خفيف رَمَل .

٥ أخبرنى عمى : قال : حدثنى كوثرة أخو العَطَوى قال :

يستقى علويا نبيذاً

كان أخى أبو عبد الرحمن يشرب مع أصدقاء له من الكُتّاب ، ومعهم قَيْنَة يقال لها : مِصْباح ، من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم غناء ، فما زالوا فى قَصْف وعَزْفٍ إلى أن انقطع نبيذهم ؛ فبقوا حَيارى ، وكانوا قريبًا من منزلِ أبى العباس أحمد بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد العلوىّ ، وكان صديقًا لأبى عبد الرحمن فكتب إليه :

١٠ يا بن مَن طاب فى المواليد مذ آ دم جَرًّا إلى الُحسين أبيه[2]

أنا بالقرب منكَ عندَ كريم قد ألحّتْ عليه شُهبُ سِنيه[3]

عندَه قينةٌ إذا ماتغنتْ عاد مِنّا[4] الفقيهُ غيرَ فقيه

تزدَهينى وأينَ مثلىَ فى الفهـــم تُغنِّيه ثم لا تَزْدهيه ؟

مجلسٌ كالرياض حُسنًا ولكنْ ليس قطبُ السرورِ واللهو فيه[5]

[فأقه بما به يمترى دن عجــوز خمـارة ممـــتريه[6]]

(١) فى ف : كأسا ، والخطب سهل بحسب التقدير فإن قدرت فعلا نصبت ، وان قدرت اسما « كمناى كأس» رفعت ، وكذلك الحال فى ندمان الآتية .

(٢) فى هج «طرا » بدل «جرا»

(٣) سنة شهباء : جدبة

(٤) فى ف « منها» .

(٥) فى هج «وطب» بدل « قطب »

(٦) تكملة من هد ، هج

وبأشياخك الكرامِ إلى السُّوْ ددَ موسى بن جعفرٍ وأبيه
إن تجشَّمْتَني وإن كان إلّا مثلَ ما يأنس الفَتى بأخيه[1]

قال : فلما وصلت الرقعةُ إلى أبى العباس أرسل إليهم براويةِ شراب ، فلم يزالوا يشربون مجتمعين ، حتى نَفِدتْ فى أخفضِ عيش .

يأكل الحاضر ويسمع عقد

حدثنى أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب الكاتب : قال : ٥

جاءنى يوماً أبو عبد الرحمن العَطَوى بعد وفاة عمى أحمد بن الخصيب بسنتين ، وكان صديقَه وصنيعتَه ، فجلس عندى يحادثُنى حديثَه ، ويبكى ساعة طويلة ، ثم تغيمت السماء وهطلت ، فسألته أن يقيم عندى ، فحلف ألا يفعَلَ إلا بعد أن أُحْضِرَه من وقتى ماراج من الطعام ، ولا أتكلَّفُ له شيئاً ، ففعلت وجئتُه بما حضر ، فقال لى : ما فعلتْ عُقَدُ ؟ قلتُ : باقية ، وهى فى يومنا هذا مقيمةٌ عندى ، والساعةَ تسمع غناءها ، فقال لى : عجِّل إذن فإنّ النهار قصيرٌ ، ثم أنشأ يقول : ١٠

أدرِ الكأسَ قد تعالى النّهارُ ما يُميتُ الهمومَ إلا العُقارُ
صاحِ هذا الشتاء فاْغدُ عليها إنّ أيامه لِذاذٌ قِصار
أىّ شىء ألذ من يوم دَجْنٍ فيه كأس على النّدامى تُدَارُ
وقيانٌ كأنهنَّ ظِباءٌ فإذا قُلْنَ قالتِ الأوتارُ ١٥

حدثنى عمى : قال : حدثنى كوثرة : قال :

كان لأبى عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء ، وكان يتعشّق جارية من جوارى القيان يقال لها : عَنْعَث ، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير ، واجتماعٍ يسير ، فأرسل إليها

(١) فى ف « وإن كنت» بدل « وإن كان » وفى بعض النسخ : « تجشمتنى » بدل « تحشمتنى » .

يومًا ، فأحضرها[١] وأصلح جميع ما يحتاج إليه ، واتفق أن كان ذلك فى[١] يوم رذاذ به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم ، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر ، ويسأله المصيرَ إليه ووصف له القصة بشعر ؛ فقال :

يوم مطيرٌ وعيش نضيرُ وكأسٌ تدورُ وقِدرٌ تفورُ

٥ وعثْعثُ تأتى إذا جئتَنا فتسمع منها غِناء يَصُورُ[٢] — أحسن يوم وأطيبه

وعندى وعندك ما تشتَهيـــه شعرٌ يمرُّ وعِلمٌ يدورُ

وإذ كان هذا كما قد وصفتُ فإن التفرّق خطبٌ كبيرُ

فقم نصطبحْ قبل فوتِ الزَّمانِ فإنّ زمانَ التلهِّى قصيرُ

قال : فسار إليه صاحبُه فمرّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه .

١٠ وهذا الشعر أخذه العَطوىّ من كلام إسحاق ، أخبرنى به وَسْوَاسَة بن الموصلى عن حماد عن أبيه : قال : كان يألفُنى بعضُ الأعراب وكان طيبًا ، فجاءنى يومًا ، فقلت له : لم أركَ أمسِ ، فقال : دعانى صديق لى ، فقلتُ : صف لى ما كنتُم فيه ، فقال لى : كنا فى مجلسٍ نِظَامُه سرور بين قُدور تفور ، وكأسٍ تدور ، وغِناء يصور ، وحديثٍ لا يجور[٣] وندامَى كأنهم البُدور . — نثرا استحال شعرا

١٥ قال إسحاق : وقلت لأعرابى : كان يألفنى : أين كنت بالأمس ؟ قال : كنت عند بعض ملوك سُرّ من رأى ، فأدخلنى إلى قُبة كإيوان كسرى ، وأطعمنى فى قِصَاع تَتْرى ، وغنتْنى جاريةٌ سَكْرى ، تلعب بالمضرابِ كأنه مِدْرى ، فياليتَنى لقيتُها مرة أُخرى .

(١-١) تكملة من هج ، وهد

(٢) يصور : يميل .

٢٠ (٣) لا يجور : لا يظلم وفى م ، ا «لا يخور» : أى لا يضعف .

قال إسحاق : وقلت لبعض الأعراب : طلبتُك أمس فلم أجدْكَ فأين كنتَ ؟ قال : كنتُ عند صديقٍ لى ، فأطعمنى بناتِ التّنانير ، وأطعمنى أمّهاتِ الأبازير[1] وحلواء الطّناجير[2] ، وسقانى زُعاف القوارير ، وأسمعنى غناء الشادنِ[3] الغَرير ، على الميدانِ والطّنابير ، قد مُلِكتْ بأوقار الدراهمِ والدّنانير .

دعوة سبقتها تلبيتها

قرأت فى بعض الكتب بغير إسنادٍ : أنّ المطوى كان يومًا جالسًا فى منزله ، وطرقه صديقٌ له ممن كان يغنّى[4] بِسَرّ من رأى ، فقال له : قد أهديتُ إليك جوارىَّ اليوم ونبيذاً يكفيك ، وحسبُك بالكفاية . وأقام عنده ، فدخل عليه غلام أمردُ أحسنُ من القمر ، فاحتبَسوه وكتب المَطوىّ إلى صديقٍ له من أهل الأدب :

يومنا طيّب به حسنُ القَصْـــف وحثُّ الأرطال والكاساتِ
ماترى البرقَ كيف يلمعُ فيه ورشاشًا يبُلُّ فى الساعات
ولدينا ظبىٌ غريرٌ ظَريفٌ قد غَنينا به عَنِ القَيْنَاتِ[5]
إن تخلّفتَ بعد ماتصلُ الرّقعـــةُ عنّا فأنتَ فى الأمواتِ

فأجابه الرجلُ فقال :

أنا فى إثر رُقعتى فاعلمَنْ ذَا كَ على أنّنى من البُيّات
فافهم الشّرطَ بيننا لا تقل لى قد تثاقلْت فانصرفْ بحياتى
لا لسَوء لكن لأمتعَ نفسى بحديثِ الظبىِ الغريرِ المُواتى[6]

(١) الأبازير : جمع أبزار وهو التابل
(٢) الطناجير : جمع طنجير بالكسر فارسى معرب إناء الطبخ وعربيه : القدور
(٣) الشادن : الغلام من شدن الظبى إذا ترعرع ، وفى هج : «غناء الزرازير»
(٤) هج ، هد «يقين» أى : يبيع القيان
(٥) فى ف : «عن الفتيات »
(٦) كذا فى ف وفى س ، ب : لا لسر بدل « لا لسوء»

صـــوت

أيا بيتَ ليلَى إنّ ليلى مريضةٌ   بِوادَانَ لاخالٌ لديْها ولا ابنُ عمٍّ[1]

ويابيتَ ليلى لو شَهِدتك أعولَتْ   عليكَ رجالٌ من فَصيح ومن عَجَمْ

ويا بيت ليلَى لايَبِسْتَ ولا تزَل   بلادُك سُقياها من الوا كِفِ الدِّيَم

الشعر لمرة بن عبد الله النَّهدى ، والغناء لأحمد النُّصَيبى ثقيل أول بالوسطى ، يقال إنه لحُنَين .

(١) فى ف ، وفى س و ب : «عمم» .

(٢) فى ف : «نسيت» .

أخبار مرة ونسبه

اسمه ونسبه

هو مُرة بن عبد الله بن هُليل بن يسار : أحد بنى هِلال بن عَصَم بن نصر بن مازن ابن خُزيمة بن نَهد ، وليلى هذه من رهطه ، يقال لها : ليلى بنت زهير بن يَزيد بن خالد[1] ابن عمرو بن سَلَمة .

يهجو من يخطبها

نسخت خبرَها من كتاب ابن أبى السَّرِىّ قال : حدثنى ابن الكلبى عن أبيه : قال : ٥

كانت امرأة من بنى نَهد ، يقال لها : ليلَى بنت زهير بن يَزيد ، وكان لها ابن عم يقال له مرّة بن عبدالله بن هليل يهواها ، واشتد شَغَفُه بها فخطَبها ، وأبوْا أن يزوجوه ، وكان لا يخطبها غيرُه إلّا هجاه ، فخطبها رجل من بنى نَهْشَل ، يقال له : إران ، فقال مرّة يهجوه :

وما كنتُ أخشَى أن تصيرَ بمَرَّةٍ ... من الدّهر ليلى زوجةً لإران ١٠

لمن ليس ذا لُبٍّ ولا ذا حفيظةٍ ... لِعِرس ولا ذا منطِق وبَيانِ

لقد بُليتْ ليلى بشرٍّ بَليَّةٍ ... وقد أُنزلتْ ليلى بدار هَوانِ

تنعى إليه فيرثيها

قال : فتزوجَها المِنجابُ[2] بن عبد الله بن مسروق بن سَلَمة بن سعد ، من بنى زُوَىّ ابن مالك بن نَهد ، فخرج إلى البعْثِ براذَان ، وهى إذ ذاك مَسْلَحةٌ لأهل الكوفة ، فخرج بها معه ، فماتت براذَان ودُفِنتْ هناك . فقدم رجُلان من بَجيلة من مكتبهما براذَان من ١٥ بنى نَهد ، وكانتْ بجيلة جيرانَ بنى نهد بالكوفة ، فمرّا على مجلسهم ، فسألوهما عن براذَان من بنى نَهدٍ ، فأخبراهم بسلامتهم ، ونعيا إليهم ليلى ومُرّة فى القوم ، فأنشأ يقول :

أيا ناعِيَىْ ليلَى أما كان واحدٌ ... من الناس ينعاها إلىّ سوا كما

(١) فى هج : بن «خلف» بدل «خالد»

(٢) فى هج : «المنجال»

٢٠

ويا ناعيىْ ليلى ألم نك جيرَة   عليكم لها حقٌّ فألاَّ نَهاكما(١)
ويا ناعيىْ ليلى لقد هجتُما لنا   تجاوبَ نَوْحٍ فى الديار كلا كما
ويا ناعيى ليلى لجلَّتْ مُصيبةٌ   بنا فقدُ ليلى لا أُمِرَّت قوا كما(٢)
ولا عشتما الا حليفىْ بَليَّةٍ   ولا مِتٌّ حتى يُشترى كفنا كما
٥ فأشمتَ والأيام فيها بوائقٌ   بموتيكما إنى أُحِبُّ رَدَاكما

وقال فيها أيضاً :

كأنك لم تُفجَع بشَىْءٍ تعدُّه   ولم تصطبرْ للنائباتِ من الدهرِ(٣)
ولم تر بؤساً بعد طول غضارةٍ   ولم ترمِكَ الأيامُ من حيثُ لا تدرى
سقى جانبىْ راذان والساحةَ التى   بها دَفَنوا ليلى مُلِثٌّ من القَطرِ(٤)
١٠ ولا زال خِصْبٌ حيث حلَّتْ عظامها   براذانَ يُسقَى الغيث من هَطِلٍ غَمْرِ
وإن لم تكلمنا عظام وهامةٌ   هناك وأصداء يَقِينَ مع الصخرِ(٥)

وقال فيها :

أيا قبر ليلى لا يَبِسْتَ ولا تزَلْ   بلادُكَ تَسقيها من الواكفِ الدِّيَمْ
ويا قبر لَيلى غُيِّبَتْ عنك أمها   وخالَتُها والناصحون ذَوو الذِّمم
١٥ وياقبر ليلى كم جمالٍ تُكِنُّه   وكم ضُمَّ فيكَ من عَفافٍ ومن كرم(٦)

---

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : نداى ذوى حق فألانهما كما »
(٢) فى هج « تجلت » بدل « جلت » ، وأمرت : اشتدت .
(٣) فى ف : « تغره » بدل « تعده »
(٤) ملث : دائم شديد الهطل .
٢٠ (٥) فى هج : « من الصخر »
(٦) فى هد ، هج « وكم حزت فيها » .

وســاق باقى الأبياتِ التى فيها الغناء .

هل كان تزوجها

وحكى الهيثم بن عِدى عن شيخ من بنى نَهد :

أنّ مرة كان تزوجَها ، وكان مكتبه براذان ، وأخرجها معه ، ثم ضُرِب عليه البعث إلى خراسان ، فخلّفها عند شيخ من أهل منزله هناك ، وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ، ومضى لبَعثه ، ثم قدم بعد حول ، فلقِيَ فتى من أهل راذان قبلَ وصوله إلى دارها ، ٥ فسأله عنها ، فقال : أترى القبرَ الذى بفِناء الدار ؟ قال : نعم ، قال : هو والله قبرها ، فجاء ، فأكبّ عليه يبكى ، ويندُبُها ، وترك مكتبَه ، ولزم قبرَها يغدو ويروح إليه ، حتى لحِق بها .

صـــوت

بأبى أنتَ يابن مَن لا أُسمِّى لبعضِ ما

ياشَبِيهَ الهلالِ مثـــلُك فى الأُفق أنجُما

راقبِ اللهَ فى أسـ يرك إن كنت مُسلِما

الشعر لعلىّ بن أمية والغناء لعمر المَيْدانى رَمَل مطلق .

أخبار على بن أمية

اسمه ونسبه

على بن أمية بن أبى أمية ، وكان أبوه يكتبُ للمهدىّ على ديوان بيت المال وديوانَىْ الرسائل والخاتم ، وكان منقطعاً إلى إبراهيم بن المهدى ، وإلى الفضل بن الربيع ، وقد تقدم خَبرُ أخيه محمد فى مواضع من هذا الكتاب .

لحسن يثير صبابة

فحدّثنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار : قال : حدثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات : قال : حدثنى محمد بنُ على بن أمية : قال : لما قدم علىٌّ بنُ أمية ، وقال :

صـــوت

يا ريحُ ما تصــنعينَ بالدِّمَنِ ؟ كم لك من محوِ منظرٍ حَسَنِ
محوتِ آثارنا وأحـدثتِ آ ثارا بربع الحبيب لم تـكنِ
إن تك يا ربعُ قد بَليتَ من الرِّيحِ فإنى بالٍ من الحـزَنِ
قد كان يا ربعُ فيك لى سَكَنٌ فصرت إذ بانَ بعدَه سَكَنِى
شبّهتُ ما أبلتِ الرياحُ مِن آ ثار حبيبى النّأى بلا بَدَنِ[1]
يا ريحُ لا تطمسِى الرموسَ ولا تمحِى رسومَ الديار والدِّمَنِ[2]
حاشاك يا ريح أن تكونَ على العاشق عوناً لحادث الزّمنِ

(١) فى ف : «النوى» وفى هج : «على بدنى»

(٢) فى ف : «الرسوم» بدل «الرموس» وهذا البيت وماقبله ساقطان من ف .

كَثَّر الناسُ فيه ، وغناه عمرو الغزال ، فقال أبوموسى الأعمى :

يا ربّ خُذنى وخذ عَليًّا وخُذْ   يا ريح ما تصـــنعين بالدِّمَنِ
عَجِّل إلى النار بالثلاثة والرا   بع عمرِو الغَـــزَّال فى قَرَنِ

ثم ندم ، وقال : هؤلاء أهلُ بيت ، وهم إخوتى ، ولا أحبّ أن أنشِب بينى وبينهم عداوةً وشرًّا ، فأتى أميّةَ فقال : إنى قد أذنبت فيما بينى وبينكم ذنباً ، وقد جئتك مُستجيرا بك من فتيانك ، فدعا بعلىٍّ بن أمية ، فقال : يا هذا ، عمُّك أبوموسى قد أتاك معتذرًا من الشعر الذى قاله ، قال : وما هو ؟ فأنشده ، فقال : قد ضَجِرنا نحن والله منه كما ضَجِرتَ أنت وأكثر ، وأنت آمِنٌ من أن يكون منا جوابٌ ، وأتى محمد بن أمية ، فقال له مثل ذلك ، ومضى أبو موسى ، فأخذ علىُّ بن أمية رقعة فكتب فيها :

١٠ كم شاعرٍ عند نفسه فَطِنِ   ليس لدينا بالشاعر الفَطِنِ
قد أَخْرَجَتْ نفسَه بغُصّتها   يا ريحُ ما تصنَعين بالدِّمنِ

ودفع الرقعةَ إلى غلام له ، وقال : ادفعها إلى غلام أبى موسى ، وقل له : يقول لكَ مولاكَ : اذكرنى بهذا إذا انصرفتَ إلى المنزل ، فلما انصرف إلى المنزل أتاه غلامُه بالرقعة ، فقال : ما هذه ؟ فقال : التى بعثت بها إلىّ ، فقال : والله ما بعثتُ إليك رقعة ، وأظن الفاسق قد فعلها ، ثم دعا ابنه ، فقرأها عليه ، فلما سمع ما فيها قال : يا غلام ، ١٥ لا تنزع عن البغلة . فرجع إلى علىّ بن أمية ، فقال : نشدتك الله أن تزيد على ما كان ، فقال له : أنت آمن .

لحن عمرو الغزال فى أبيات علىّ بن أمية رمل بالوسطى .

وقال يوسف بن إبراهيم : حدّثنى إبراهيم بن المهدىّ : قال : حدثنى محمد بن ٢٠ أيوب المكى :

بعض المغنى عمرو الغزال

أنه كان فى خدمة عُبيدِ الله بن جعفر بن المنصور ، وكان مستخِفًّا لعمرو الغزال ، محبًّا له ، وكان عمرو يستحق ذلك بكل شىء ، إلا ما يدّعيه ويتحقّقُ به من صناعة الغناء ؛ وكان ظريفاً أديباً نظيفَ الوجه واللباس ، معه كلُّ ما يحتاج إليه من آلة الفتوّة ، وكان صالح الغناء ، ما وقف بحيث يستحقّ ، ولم يدع ما يستحقه ، وأنه كان عنده نفسه نظير ابن جامع وابراهيم وطبقتهما ، لا يرى لهم عليه فضلا ولا يشكّ فى أَنّ صنعتهم مثلُ صنعتِه ، ٥ وكان عبد الله قليلَ الفهم بالصناعة ، فكان يظن أنه قد ظفِر منه بكنز من الكنوز ، فكان أحظى الناس عنده من استحسن غناء عمْرو الغَزَال وصنعته ، ولم يكن فى ندمائه[1] مَن يفهم هذا ، ثم استزار عبيدُ الله بن جعفر أخاه عيسى ، وكان أفهمَ منه ، فقلت له : استمن برأى أخيك فى عمرو الغزال ؛ إنه أفهمُ منك ، وكانت أمُّ جعفر كثيراً ما تسأل الرشيد تحويل أخيها عبيد الله وتقديمه والتنويه به ، فكان عيسى أخوه يعرّف الرشيد أنه ١٠ ضعيف عاجز لا يستحق ذلك ، فلما زاره عيسى أسمعه غناء عمرو ، فسمع منه سُخْنَةَ عين[2] ، فأظهر من السرور والطّرب أمراً عظيما ، ليزيد بذلك عُبيدَ الله بصيرةً فيه ، ويجعلَه عيسى سبباً قوياً يشهد عند الرشيد بضعف عقله ، وعلمتُ ما أراد ، وعرفت أن عمرًا الغزال أول داخل على الرشيد ، فلما كان وقت العصر من اليوم الثانى ، لم نشعر إلا برسول الرشيد قد جاء يطلب عمراً الغزال ، فوجّه إليه وأقبل يلومنى ويقول : ١٥ ما أظنك إلا قد فرقتَ بينى وبين عمرو ، وكنتَ غنيا عن الجمع بينه وبين عيسى ، واتفق أن غنى عمرو الرشيد فى هذا الشعر صنعته :

يا ريح ماتصنعين بالدِّمنِ ؟ كم لك من محوِ منظرٍ حسنِ

وكان صوتاً خفيفاً مليحًا فأطربه ، ووصله بألف[3] دينار ، وصار فى عِداد مُغَنِّى

(١) فى ف « من ندمائه ولا من أصحابه »
(٢) سخنة عين : ضد قرتها وارتياحها
(٣) فى ف : «بألفى»

٢٠

الرشيد ، إلا أنه كان يلازم عبيدَ الله إذا لم يكن له نوبة ، فأقبلتُ أتعجّب من ذلك ، واتّصلت خدمته إياه ثلاث سنين ، ثم انصرفا يوما من الشمّاسية مع عبيد الله بن جعفر ، فلقيَه الخضر بنُ جبريل ، وكان في[1] الناس في العسكر ، فعاتبه عبيدُ الله على تركه وانقطاعه عنه ، فقال : والله ما أفعل ذلك جَهلا بحقك ، ولا إخلالاً بواجبك ، ولكنا في طريقين مُتباينين لا يمكن معهما الاجتماع ، قال : وما هما ويحَكَ ؟ قال : أنت على نهاية السّرف في محبّة [2] عمرو الغزال ، وأنا على نهاية السّرف في بغضه[2] وأنت تتوهم أنه لا يطيب لك عيش إلا به ، وأنا أتوهم أني إن عاشرته ساعة متّ ، وتقطعتْ نفسي غيظًا وكمدًا ، وما يستقيم مع هذا بيننا عشرة أبدا ، فقال له عبيدُ الله : إذا كان هذا[3] هكذا فأنا أعفيك منه إذا زرتَني ، فصِرْ إليَّ آمنا ، ففعل ، ولم يجلس عبيدُ الله حتى قال لحاجبه لا تُدخِل اليومَ أحدا ، ولا تستأذن عليَّ لجلوسه ودخلنا ، فلما وُضِعَت المائدة لم يأكل ثلاث لُقَم ، حتى دخل الحاجبُ فوقف بين يديه ، وأقبل عمرو الغزال خلفَه ، فرآه من أقصى الصحن ، فقال له عبيدُ الله : ثكلتْك أمُّك ! ألم أقل لك لا تُدخل عليّ أحدًا من خلق الله ؟ فقال له الحاجب : امرأته طالقٌ ثلاثا إن كان عنده أن عمراً عندك في هذا المجرى ، ولو جاء جبريل وميكائيل وكلّ مَن خلق الله لم يَدخلوا عليك إلا بإذن سوى عمرو ، فإنك أمرتني أن آذن له خاصة وأن يدخُلَ متى شاء ، وعلى كلّ حال .

قال : ولم يفرغ الحاجبُ من كلامه حتى دخل عمرو ، فجلس على المائدة وتغيّر وجهُ الخضر ، وبانت الكراهةُ فيه ، فما أكل أكلاً فيه خيرٌ ، وتبيّن عبيد الله ذلك ، ورُفعت المائدة وقُدِّم النبيذ ، فجعل الخِضر يشرب شربًا كثيرًا لم أكن أعهده يشرب مثلَه ،

(١) في هج : « في الناس »

(٢-٢) التكملة من : هج

(٣) في س ، ب : « إذا كان هكذا » .

فظننت[1] أنه يريد بذلك أن يستتر[2] من عمرو الغزال، وعمرو يتغنّى، فلا يقتصر[3] وكلما تغنّى قال له عبيد الله: لمن هذا الصوتُ يا حبيبى؟ فيقول: لى وعندنا يومئذ جوارٍ مطربات محسنات، وهو يقطع غناءهنّ بغنائه، وتبينت فى وجه الخضر العربدة إلى أن قال عمرو بعقب صوت: هذا لى، فوثب الخِضر وكشف استَه وخَرِى فى وسط المجلس على بساط خزٍّ لم أر لأحد مثلَه، ثم قال: إن كان هذا الغناء لك، فهذا الخراء لى، فغضب عبيد الله، وقال له: يا خِضرُ أ كنت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا؟ قال إى والله أيها الأمير، ثم وضع رجليه على سلحه، ثم أخرجَهما[4] فمشَى على البساط مُقْبلاً ومُدبرًا، حتى خُرج وقد لوّثه، وهو يقول: هذا كله لى، وتفرّقنا عن المجلس على أقبح حال وأسوئها، وشاع الخبر، حتى بلغ الرشيد، فضحِك حتى غُلِب عليه، ودعا الخضر، وجعله فى نُدمائه منذ يومئذ، وقال: هذا أطيب خلق الله، وانكشف عنده عُوارُ عمرو الغزال واسترحنا منه، وأمر أن يُحْجَبَ عنه، فسقط يومئذ، وقد كان الجوارى والغِلمانُ أخذوه ولهِجوا به، وكان الرشيد يكايد به إبراهيم الموصلى وابن جامع قبل ذلك فسقط غِناؤه أيضاً منذ يومئذ، فما ذكر منه حرفٌ بعد ذلك اليوم إلا صنعتَه فى:

* يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمَنِ *

ولولا إعجابُ الرشيد به لسقط أيضاً.

أية ريح يعنى

حدثنى الحسن بن على عن محمد بن القاسم عن أبى هِفّان: قال:

كنا فى مجلس، وعندنا قَينة تغنينا، وصاحبُ البيت يهواها، فجعلت تكايده، وتومىء إلى غيره بالمزح والتجْميش[4]، وتغيظُه بجَهدها، وهو يكاد يموت قلقًا وهمًّا وتنَغّص عليه يومُه، ولجّتْ فى أمرها، ثم سقط المِضرابُ عن يدها، فأكبّتْ على

(١) س، ب: «فظننته»
(٢) ف: هج «يستريح»
(٣) ف هج: «فلا يفتر».
(٤) التجميش: المغازلة والملاعبة.

الأرض لتأخذه ، فضرَطت ضَرطة سمعها جميعُ من حضر ، وخَجِلت ، فلم تَدْرِ ما تقول فأقبلت على عشيقها فقالت : أيشٍ تشتهي أن أغني لك ؟ فقال : غَنِّي [1] :

* ياريحُ ما تصنعين بالدِّمنِ *

فخجلت وضحك القوم وصاحبُ الدار ، حتى أفرطوا ، فبكتْ وقامتْ من المجلس ، ٥ وقالت : أنتم والله قوم سِفَل ، ولعنة الله على مَنْ يُعاشركم ، وغضِبَتْ وخرَجَتْ ، وكان — عَلِم الله — سببَ القطيعة بينهما وسلوَ ذلك الرجل عنها .

من الرسول ؟

أخبرني ابن عمّار وعمي والحسن بن علي ، قالوا : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثنا الحسين بن الضحاك : قال :

كنت في مجلس قد دعينا إليه ، ومعنا علي بن أمية ، فعلقتْ نفسُه بقَيْنة دعيتْ لنا ١٠ يومئذ ، فأقبل عليها فقال لها : أتُغنّين قوله :

خبرِيني مَن الرسولُ إليكِ ؟ واجعليه مَن لا ينمُّ عليكِ
وأشيري إليَّ من هو بالّلحـــظ ليَخفَى على الذين لَديكِ

فقالت : نعم ، وغنته لوقتها وزادت فيه هذا البيت ، فقالت :

وأقِلّ المُزاحَ في المجلس اليو مَ فإن المُزاح بين يديكِ [2]

١٥ ففطن لِما أرادتْ وسُرّ بذلك ، ثم أقبلت على خادم واقف فقالت له : يا مسرور ، اسقني ، فسقاها ، وفطِن بنُ أمية أنها أرادت أن تعلمه أن مسروراً هو الرسول ، فخاطبه ، فوجده كما يريد ، وما زال ذلك الخادم يتردّد في الرسائل بينهما .

(١) ب . غن ، وهو خطأ

(٢) في مج : «وأقل المزاح في ذلك المجلس»

أخبار عمر الميدانى

متقدم فى الصنعة والأداء

هو رجل من أهل بغداد كان ينزل المَيدان[١] فعرف به ، وكان لا يفارق محمداً وعليًّا ابنى أمية وأبا حشيشة ، ينادمهم ويغنّى فى أشعارهم ، وكان منزله قريباً منهم ، وهو أحد المحسنين المتقدمين فى الصنعة والأداء .

حدثنى جحظةُ : قال :

٥

سمعتُ ابنَ رقاق[٢] فى منزل أبى العُبَيس بن حَمدون يقول : سمعت أبا حَشيشة والمسدود ، ومَن قبلَهما من الطُّنبوريين ، فما سمعتُ منهم أصحَّ غناء ولا أكثرَ تصرفًا من عُمر الميدانى .

مائدة إسحاق وجائزته

حدثنى جحظةُ : قال : حدثنى على بن أمية : قال :

دخلتُ يومًا على عمر الميدانى ، وكان له بقّال على باب داره ينادمه ولا يفارقه ، ويقارضه[٣] إذا أعسر ، ويتصرّفُ فى حوائجه ، فإذا حصلتْ له دراهمُ دفعها إليه يقبض منها ما رأى ، لا يسأله عن شيء ، فوجدتُ عنده يومئذ هذا البقالَ ، فقال لنا عمر : معى أربعة دراهم تُعطونى منها لعلف حمارى دِرهمًا ، والثلاثة لكم ، فكلوا بها ما أحببتم . وعندى نبيذٌ ، وأنا أغنيكم ، والبقال يُحضِرنا من الأبقال اليابسةِ ما فى حانوته . فوجّهْنا بالبقال . فاشترى لنا بدرهم [٤] لحمًا . وبدرهم خبزاً . وبدرهم[٤] فاكهةً وريحانًا . وجاءنا من حانوته بحوائج السِّكباج[٥] ونُقْل . فبينا نحن نتوقع الفراغَ من القِدر إذا بفُرَانق[٦]

١٠

١٥

(١) الميدان : محلة ببغداد من ناحية باب الأزج

(٢) فى س ، ب : « الدقاق » .

(٣) فى ف وهج : «يقرضه»

(٤-٤) زيادة عن ف

(٥) السكباج : لحم يطبخ بخل ، معرب

(٦) الفرانق : الرسول

٢٠

يدقّ الباب . فأدخله عمر : فقال له : أجب الأمير إسحاق بنَ إبراهيم . فحلف علينا عمرُ بالطلاق ألّا نبرح ، ومضى هو ؛ وأكلنا السِّكباج وشربنا وانصرف[1] عِشاء . وبَكَّر إلىّ رسولُه فى السَّحَر أن صِرْ إلىّ ، فصرت إليه ، فقلت : أعطنى خبرك من النَّعل إلى النَّعل[2] . قال : دخلتُ فوُضِعَتْ بين يدىّ مائدة كأنها جَزْعة[3] يمانية قد فُرِشت فى عِراصِها[4] الحِبَرُ فأكلتُ وسُقيتُ رطلين ، ودُفع إلىّ طُنبورٌ . فدخلت إلى إسحاق ، فوجدته فى الصدر جالسًا ، وخلفه ستارة . وعن يمينه مُخارق وعن يساره علّويه . فقال لى : أنت عُمر الميدانى ؟ فقلت : نعم . فقال : أأكلت ؟ فقلت : نعم قال : هاهنا أو فى منزلك ؟ فقلتُ : بل هاهنا ، قال : أحسنت ، فغنِّ بصوتك الذى صنعته فىّ :

يا شبيه الهلال كُلِّلَ فى الأفْق أنجُما

وهو رَمَل مطلق ، فغنّيته فضربَ الستارةَ . وقال : قولوه أنتم ، فقالوه ، فقال : لمخارق وعلّوية : كيف تسمعانِ ؟ فقالا : هذا والله ذا . وذا ذاك ، فرددتُه مرارًا . وشرب عليه . وقال لى : أنا اليوم على خلوة ولك علىّ دعوات ، فانصرف اليومَ بسلام . فخرجت ودفع إلىّ الغلام خمسة آلاف درهم . فهى هذه ، والله لا استأثرتُ عليكمْ منها بدرهم . فلم نزل عنده نقصِفُ حتى نَفِدَت .

(١) فى هج : « وانصرفنا »

(٢) من لبس النعل إلى خلعه : كناية عن المبدأ إلى النهاية

(٣) جزعة يمانية : كناية عن حليّها ووشيها ، والجزع اليمانى من الأحجار القيمة الثمينة إلى الآن .

(٤) هج : « فى عراضها الحبر » .

صـــوت

أمينَ الخالق البارِى وراعى كلِّ مخلوقِ
أدِرْ راحَك فى المشو ق من راحة معشوقِ[1]

الشعر لأبى أيوب سُليمان بن وهب . والغناء للقاسم بن زُرزور ثقيل أول بالبنصر من جامع غنائه المأخوذ عن أبيه أبى القاسم عبيد الله بن القاسم .

(١) فى م ، ٧ : «بالمعشوق».

أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه

تصلح لهذا الكتاب

ينكر الانتساب إلى الحارث

قد تقدّم نسبهُ فى أخبار الحسن بن وهب أخيه وانتماؤه فى بنى الحارث بن كعب. وأن أصلهم من قرية يقال لها: سار قرمقا من طَسُّوج[1] خُسْروسابور من سواد واسط، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتسابَ إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن وعلى ابنه أبى الفضل أحمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلقهما به، أخبرنى بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتّاب.

أخبرنى الصولىّ: قال: حدثنى الحسن بن يحيى وعَوْن بن محمد الكِندى، أن جعفر ابن محمد كان وزير المهتدى فى أول أمره، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكرهه، وقال: هذا رافضىٌّ لا حاجةَ لى فيه، واستوزر جعفر بن محمد بن عمّار، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدى، ثم قدم موسى بن بُغَا من الجبل، وكاتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، فاستوزر المهتدى سليمان بن وهب ولقب الوزير حقا؛ لأن من كان قبلَه كان غيرَ مستحق للوزارة، ولا مستقلٍّ بها.

ينصفه ويعطيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى، قال: حدثنى الحسنُ بن يحيى بن الجمّاز: قال: لما استُوزِرَ سليمانُ بن وهب جلس للناس، فدخل عليه شاعر يقال له: هارون بن محمد البالسى، فذكر مظلمةً له ببلده، ثم أنشده:

زِيدَ فى قدرك العلىِّ علوٌّ ... يابن وهبٍ من كاتبٍ ووزيرِ[2]

أسفَرَ الشرق منك والغرب عن ضو ... ءٍ من العدل فاق ضوءَ البدورِ

(١) طسوج: كتنور. الناحية وفى س، ب «سطوح و فى ف هج، هد «طسوج.» «وفى ف: سافريقا» وأنظر معجم البلدان «خفرو سابور»

(٢) فى ف بعد البيت الأول:

أنت عين الأمام والقرم موسى ... بك تفتر عابسات الأمور

أنشر الناسَ غيثُكمْ بعدما كا نوا رُفاتًا من قبلِ يومِ النّشورِ
شرَّد الجورَ عدلُكم فسرحْنا بينكم بين رَوْضة وسرورِ[1]
[[2]أنت عَينُ الإمام والقِرْمِ مو سى بك تفترّ عابسات الأمور[2]]

فوقع فى ظلماته [بما أراد[3]] ووصله بمائتىْ دِينار .

يزيد المهلبى يمدحه فيزيد جائزته

٥ أخبرنى محمدُ بن يحيى : قال : حدثنا أحمد بن الخصيب : قال : لعهدى بيزيد بن محمد المهلبىّ عند سليمان بن وهب بعد ما استوزرَه المهتدى ، وقد أجلسه إلى جانبه ، وهو ينشده قولَه :

وهبتم لنا يا آلَ وهب مودَّة فأبقت لنا جاهًا ومجداً يؤثَّلُ[4]
فَمن كان للآثام والذلِّ أرضُه فأرضُكُم للأجْر والعِزِّ منزِلُ
١٠ رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ مجدِكم فقد سألوكم فوقَ ما كانَ يُسأَلُ
يقصِّر عن مسعا كمُ كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممّن تقدَّمَ أولُ[5]
بلغتُ الذى قد كنتُ أمّلتُه لكم وإن كنتُ لم أبلغ بكم ماأؤمِّلُ[6]

فقطع عليه سليمانُ الإنشاد ، وقال له : يا أبا خالد ، فأنت واللهِ عندى كما قال عُمارة ابنُ عَقيل لابنه :

١٥ أُقهقهُ مسروراً إذا أُبتَ سالمًا وأبكى من الإشفاق حين تغيبُ

(١) فى ف : منكم بدل « بينكم »
(٢-٢) تكملة من هد ، هج
(٣) زيادة فى ف ويقتضيها المقام
(٤) فى ف : « ومالا » . بدل « ومجداً »
٢٠ (٥) فى م ، ا ، هج ، هد «مسعاتكم» . بدل « مسعاكم »
(٦) فى ف « آمله » . بدل « أملته »

فقال له يزيد : فيسمعُ منى الوزيرُ آخرَ الشّعر لا أولَه ، وتم فقال :

وماليَ حق واجبٌ غيرَ أنّنى بجودكمُ فى حاجتى أتوسّلُ
وأنّـكمُ أفضـلتمُ وبَررْتمُ وقد يستَتِمُّ النعمةَ المتفضِّلُ
وأوليتمُ فعلاً جميلا مقدّما فعودوا فإن العَوْدَ بالحرّ أجملُ
٥ وكم مُلحفٍ قد نال مارام منكمُ ويمنعنا من مثلِ ذاكَ التجمُّلُ
وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغِنى ولا بذلَ للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال له سليمانُ : لا تبرح واللهِ إلّا بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستفد من كَتَبَة أمير المؤمنين إلا شكرَكَ لرأيت جنابى بذلك مُمرِعًا ، وغرسى مُثمِرا ، ثم وقّع له فى رِقاع كثيرةٍ كانت بين يديه .

رجلٌ من ذوى حرفته يطلب عملا

١٠ أخبرنى محمد : قال : حدثنا الخزَنْبَل : قال :

لما ولّى المهتدى سليمانَ بن وهب وزارتَه قام إليه رجل من ذوى حِرفته ، فقال : أنا — أعز الله الوزير — خادمُك ، المؤمِّل دولتَك ، السعيدُ بأيامك ، المطوىُّ القلب على ودّك ، المنشورُ اللسان بمدحِك ، المرتهَنُ بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفَيْتُ كلّ أديب ودّنى ثمنًا إلا المؤمِّلَ دَولاتى وأيّامى
١٥ فإننى ضامنٌ ألاّ أكافئه إلا بتسويغه فَضْلى وإنعامى

وإنّى لَكَمَا قال القَيْسىُّ : مازلت أمتطى النهارَ إليك ، وأستدِلُّ بفضلك عليك ، حتى إذا جنّنى الليلُ ، فقبَض البصر، ومحا الأثر ، أقام بدَنى ؛ وسافر أملى ، والاجتهادُ [عذر] [1] ، وإذا بلغتُك فهو مرادى فقط . فقال له سليمان : لا عليكَ : فإنى عارف

(١) زيادة فى ف

بوسيلتِكَ ، محتاج إلى كفايتِكَ ، ولستُ أؤخِّرُ عن أمرى [1] النظر فى أمرك وتَوليتَكَ ما يحسن أثرُه عليك .

القاضى أحد شهودها

وذكر يحيى بن على بن يحيى عن أبيه قال :

ما رأيتُ أظرفَ من سليمان بن وهب ، ولا أحسنَ أدباً : خرجنا نتلقاه عند قُدومه من الجبل مع موسى بن بَغَا ، فقال لى : هات الآن يا أبا الحسن ، حدِّثْنى بعجائبكم بعدى ، وما أظنك تحدثنى بأعجبَ من خبرِ ضَرطة أبى وهب بحضرة القاضى ، وما سُيِّر من خبرها ، وما قيل [2] فيها ، حتى قيل :

ومن العجائب أنها بشهادَة الْـ قاضى فليس يُزيلُها الإنـكارُ

وجعل يضحك .

يعترف بفضل ابن ثوابة

قال على بن الحسين الأصبهانى :

حضرت أبا عبد الله الباقطانى ، وهو يتقلّد ديوانَ المشرق ، وقد تقلّد ابن أبى السلاسل ماسَبذان ومِهرَجان قُذُف [3] ، وجاءه يأخذ كتبه ، فجعل يوصيه كما يوصى أصحابُ الدواوين العُمَّال ، فقال ابن أبى السلاسل : كأنك استكثرتَ لى هذا العمل أنت أيضاً ! قد كنتَ تكتب لأبى العباس بن ثوابة ، ثم صرتَ صاحب ديوان ، فقال له الباقطانىّ : يا جاهل يامجنون ، لولا أنه قبيح علىّ مكافأة مثلك لراجعتُ الوزير — أيده الله — فى أمرك ، حتى أزيلَ يدَك ، ومن لى أن أجد مثل ابن [4] ثوابة فى هذا الوقت ، فأكتب له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل علينا يحدثنا ، فقال : دخلت مع أبى العباس بن ثوابة إلى المهتدى ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، وكان

(١) فى هج «عن يومى هذا» بدل «عن أمرى»

(٢) ب : « وقيل فيها »

(٣) ماسبذان ومهرجان قذف : كورتان من نواحى الجبل فى طريق القاصد من حلوان العراق إلى همذان

(٤) فى س ، ب : « أبى » .

يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتّاب ، فيعملون بحضرته ، فيوقع إليهم في الأعمال ، فأمر سليمان أن يكتبَ عنه عشرةَ كتب مختلفة إلى جماعةٍ من العمال ، فأخذ سليمان بيده أبي العباس بن ثوابة ، ثم قال له : أنت اليوم أحدُّ ذهنًا منّى فهلمّ نتعاون ، فدخلا بيتًا ، ودخلتُ معهما ، وأخذ سليمان خمسةَ أنصاف وأبو العباس خمسةَ أنصاف أُخَر ، فكتبا الكتب التى أمر بها سليمانُ ما احتاج أحدهما إلى نسخه ، وقد أكل[1] كلُّ ٥
واحد منهما ما كتب به صاحبه ، فاستحسنَه وقرّظَه ، ثم وضع سليمان الكتب بين يدى المهتدى ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ ياسليمانُ ، ونعم الرجلُ أنتَ لولا المعجّل والمؤجّل ، وكان سليمان إذا ولّى عاملا أخذ[2] منه مالا معجّلا ، وأجّل له مالًا إلى أن يتسلّمَ عمله ، فقال له : يا أمير المؤمنين . هذا قول لا يخلو من أن يكون حقًّا أو باطلاً ، فإن كان باطلا فليس مثلُكَ من يقوله ، وإن كان حقًّا — وقد علمت أن الأصول محفوظة — فما ١٠
يضر مَن يساهمنى من عمالى على بعض ما يصل إليهم من برٍّ من غير تحيُّف الرعية ولا نقص للأموال ؟ فقال : إذا كان هكذا[3] فلا بأسَ ، ثم قال له : اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقَل فى يده ، بباقى ما عليه من المصادرة ، فقال له أبو العباس ابن ثوابة : كلُّنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك ، وكلّنا حاطب فى حبلك ، وساع فيما أرضاك وأيّد ملكَكَ ، أفنمضى ما تأمر به على ما خيّلتَ أم نقول بالحق ؟ قال : بل قل ١٥
الحقَّ يا أحمد فقال : يا أمير المؤمنين ، المِلْك يقين ، والمصادَرة . شكٌّ ، أفترى أن أزيلَ اليقين بالشكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بالملكِ ، وصادَرته عن شكّ فيما بينك وبينه ، وهل خانك أم لا ، فتجعَل المصادرة صُلحًا ! فإذا قبضتَ ضيعته بهذا فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ ، فقال له : صدقت ، ولكن كيف الوصولُ إلى المال ؟ فقال له : أنت لابدّ لك من عُمّال على أعمالك ، وكلهم يرتزق ، ويرتَفِق ، فيحوز رِفقَه ورزقَه ٢٠

(١) ف : « وقرأ كل واحد منهما .. الخ »
(٢) أى أخذ العامل من سليمان
(٣) فى ف ، هج : « إذا كان هذا هكذا » .

إلى منزله ، فاجعله أحد عمّالك ؛ ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه ، فيتخلّصَ بنفسه وضيعته ويعودَ إليك مالُك ، فأمر سليمانَ بن وهب بأن يفعلَ ذلك ، فلمّا خرجا من حضرة المهتدى قال له سليمان : عهدى بهذا الرجلِ عدوّك ، وكل واحد منكما يسعَى على صاحبه ، فكيف زال ذلك ، حتى نُبْتَ[1] عنه فى هذا الوقت نيابةً أحييته بها ، وتخلّصتَ[2] نفسَه ونعمته ؟ فقال : إنما كنت أعاديه ، وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منى ، فأمّا وهو فقير إلىّ فلا . فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة . فقال له سليمانُ : جزاك الله خيراً ، أما والله ، لأشكرن هذه النيّةَ لك . ولأعتقدنّك من أجلها أخًا وصديقًا . ولأجعلنّ هذا الرجل لك عبدًا ما بقى . ثم قال الباقطانى : أفمن كان هذا وزنه وفعله يُعاب من كان يكتبُ له ؟

أخبرنى محمد بن يحيى الباقطانى : قال : حدّثنا الحسين بن يحيى الباقطانى قال :

كنت آلفُ سليمانَ بن وهب كثيرًا ، وأخدمه وأحادثه ، وكان يخصّنى ويأنس بى . فأنشدَنى لنفسه يذكر نكبتَهُ فى أيام الواثق :

من شعره فى نكبته

صوت

نوائبُ الدهر أدّبتْنى ... وإنما يُوعظُ الأريبُ[3]

قد ذقتُ حُلوًا وذقتُ مُرًّا ... كذاك عيشُ الفتى ضُروبُ

ما مَرّ بؤسٌ ولا نَعيمٌ ... إلا وَلِى فيهما نصيبُ

فيه رَمَل محدَث لا أعرف صانعه .

بينه وبين على بن يحيى

وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى أنّ جفوةً نالت أباه من سليمان بن وهب فكتب إليه :

---

(١) ں ، ب « ثبت» بدل « نبت » : و المصدر سعد بصحح ما أثبتناه ب .
(٢) فى س : « وتحصلت » بدل « تخلصت » .
(٣) فى ف : « الأديب »

جفانى أبو أيوب نَفسِى فداؤه فعاتبتُه كيما يَريعَ ويُعتِبَا
فوالله لولا الضنُّ منى بوُدّه لـكان سُهيلٌ من عِتابِيه أقربَا[1]

فـكتب إليه سليمان :

ذ كرتَ جَفائى وهْو من غير شِيمتى وإنّى لدانٍ من بعيد تَقرُّبا
فـكيف بخِلٍّ لى أُضِنّ بوُدّه وأُصفيه وُدًّا ظاهرًا ومُغَيَّبا
علىّ بن يحيى لا عدمتُ إخاءه فما زال فى كلّ الخصال مهذَّبا
ولـكنّ أشْغالًا غَدت[2] وتواترَتْ فلما رأيت الشغلَ عاق وأتعبَا
وَكنتُ إلى عذر الأخلاَّء إنّهم كِرامٌ وإن كان التواصلُ أوجبَا
فإن يطّلبْ[3] منّى عتابُك أوبةً ببرٍّ تجدْنى بالأمانة مُعتِبَا

١٠ أخبرنى محمدُ بن العباس اليزيدى عن عمه : قال :

كان سليمان بن وهب — وهو حَدَث — يتعشّق إبراهيم بن سوّار بن شداد بن ميمون ، وكان من أحسنِ الناسِ وجهاً وأملحِهم أدباً وظَرفاً ، وكان إبراهيم هذا يتعشق جاريةً مُغنّية يقال لها رُخاص ، فاجتمعوا يوما فسكِر إبراهيمُ ونام ، فرأت رُخاصُ سليمانَ يقبّله ، فلما انتبه لامته ، وقالت : كيف أصفو لك وقد رأيتُ سليمانَ يُقبّلك ؟

١٥ فهجره إبراهيم ، فـكتب إليه سليمان :

قبلة بقبلة

قل للذى ليس لى مِن جوَى هواه خَلاصُ
أإنْ لثمتُك سرًّا وأبصرتْنى رُخاصُ
وقال لى ذاكَ قوم على اغتيابى حِراصُ[4]

(١) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «الظن» بدل «الضن» .
(٢) ف : «عرت» (٣) ف «فإن يطلبن»
(٤) فى ف : «وقال فى ذاك قوم» .

هجَــرتَنِى وأَتَتْنِى شَــتِيمةٌ وانتقاصُ
وَسرّ ذَاكَ أُناسا[1] لهم علينا اخترَاصُ
فهــاكَ فاقتصَّ منّى إنّ الجُروحَ قِصاصُ

وأهدى سليمانُ إلى رُخاصَ هدايا كثيرة ، فكانوا بعد ذلك يتناوبون يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

٥

مساجلة بينه وبين أحد أصحابه

أخبرنى الصولىّ عن أحمد بن الخصيب : قال :

حضرتُ سليمان بن وهب ، وقد جاءته رُقعة من بعض مَن وعده أن يصرّفه من أصحابه ، وفيها :

هَبنى رضيتُ منكَ بالقليل أكانَ فى التأويل والتنزيلِ !
أو خبرٍ جاء عن الرّسول أو حُجةٍ فى فِطَرِ العقولِ
مستحسَنٌ من رجل جليلِ عالٍ له حظٌّ من الجميلِ
ينقصُ ما أشاع بالتطويل والقولُ دونَ الفعل بالتحصيل
* ليس كذا وصف الفتى النّبيل *

١٠

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتىْ دينار وكتب فى رقعة :

ليس إلى الباطل من سبيلِ إلا لمن يَعدِل عن تعديلِ
وقد وفَيْنَا لكَ بالتحصيلِ فاطْوِ الذى كان عن الخليلِ
فضلا عن الخليط والنزيلِ وَعُدْ من القول إلى الجميلِ
وعفٌّ فى الكثيرِ والقليلِ تحظَ من الرتبة بالجزيلِ

١٥

(١) فى ف : « وسر ذلك قوما » .

هل كان مرتشيا

أخبرنى محمدُ بن يَحيى عن عبد الله بن الُحسَين بن سعد عن بعض أهله أنه كتب إلى سليمان بنِ وهب ، وهو يتولى شيئاً من أعمال الضِّياع :

أطال اللهُ إســـعادَ ـ ـك فى الآجل والعاجلْ (١)

أما ترعى لمن أمّـ ـل فضلا حُرمة الآملْ

وعندى عاجل من رُشْـ ـوةٍ يتبعهـا آجـلْ (٢)

وأنت العالم الشاهـ ـدُ أنى كاتب عاملْ (٣)

فولِّ الـكافلَ البـاذ لَ دون العاجز الباخلْ

فما أفشى لك السرَّ فِعال الأخرقِ الجاهلْ

قال : فضحك وأجلسه وكتب فى رقعته :

أَبِن لى ما الذى تخطـ ـبُ شرحا أيها الباذِلْ ؟

وما تُعطى إذا وُلِّيـ ـتَ تعجيلا وما الآجِلْ ؟

أفى الإسلافِ تَنقيص أم الوزنُ له كامـلْ ؟

وفى الموقوفِ تضمينٌ أم الوعدُ به حاصِـلْ ؟

وهل ميقاته الـسَّنَـ ـةُ فى العام أو القابلْ ؟

أَبِنْ لى ذاك وارددْ رُقْـ ـعتى يا كاتبـاً عامـلْ ؟

فلما قرأها الرجلُ قطع ما بينه وبينه ، وردّ الرقعة عليه ، وولاّه سليمانُ ما التمس .

أخبرنى محمد بن يحيى عن موسى البربرىّ قال :

(١) فى ف : « فى العاجل والآجل » . (٢) ف : « الآجل »

(٣) فى ف : « الشاهد العالم » .

مع سلة رطب

أهدى سليمانُ بنُ وهب إلى سُليمان بنِ عبد الله بن طاهر سِلالَ رُطب من ضَيعته، وكتب إليه يقول:

أَذِن الأميرُ بفضله ... وبجوده وبنَيْله

لوليّه فى بِرّه ... بجَناه سُكَّرَ نخلِه

فبعثتُ منه بسَلّةٍ ... تحكى حلاوةَ عَدلِه

أخبرنى محمد الباقطانى: قال:

كتب سليمانُ بنُ وهب بقلم صُلْب، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً، فصرَّ القلم فى يده، فقال:

قلمه يصم السميع

إذا ما حَدَدْنا وانتضيْنا قواطعاً ... أصمَّ الذكىَّ السمع منها صريرُها[1]

تظلُّ المنايا والعطايا شوارعاً ... تدورُ بما شِئنا وتمضى أمورُها

تَساقَطُ فى القرطاس منها بدائعٌ ... كمثل اللآلى نظمُها ونَثيرُها

تَقُودُ أبيّاتِ البيان بفطنةٍ ... تَكَشَّفَ عن وجه البلاغة نورُها

[إذا ما خطوبُ الدهر أرخت ستورَها ... تجلت بنا عما تُسِرّ ستورُها][2]

يرثى أخاه الحسن

قال: وأنشدَنى له يَرثى أخاه الحسن:

مضى مذ مضى عِزُّ المعالى وأصبحت ... لآلى الحجا والقول ليس لها نظمُ

وأضحى نجىُّ الفِكر بعدَ فراقه ... إذا همّ بالإفصاح مَنْطِقه كَظْمُ[3]

وذكر ابن المسيّب أنّ جماعة تذاكروا لمّا قَبَض الموفّق على سليمان بن وهب وابنه

(١) فى أ، م: «وخدنا»، والوخد نوع من سير الأهل، وفى ف: «جددنا» بالجيم

(٢) تكملة من ف، هج.

(٣) فى ف، هج «حجته» بدل «منطقه».

عبد الله : أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بَغَا وودائعه ، فلما استقصى ذلك نكبَهما لكثرة ما لهما ، فقال ابن الرومى وكان حاضراً :

الغنى يهلك صاحبه

ألم ترَ أن المـــالَ يُتلِف ربَّه إذا جمَّ آتيه وسُـدَّ طريقُه
ومَن جاور المـاء الغزير مَجمُّه وسُدَّ مفيضُ الماء فهو غَريقُه

٥ ومات سليمان بن وهب فى محبسه وهو مُطالَب، فرثاه جماعة من الشعراء، فمَن جوَّد فى مرثيته البحترىّ حيث يقول :

البحترى يرثيه

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعد ما طالتْ مساعيه النجومَ سمُوكا
وتنصَّف الدنيا يُدبِّر أمرَها[1] سبعين حولا قد تَمَمْن دكيكا[2]
أغرت به الأقدارُ بَغْتَ[3] مُلِمَّةٌ ما كان رسُّ حديثها مأفوكا[4]
١٠ أبلغ عُبَيدَ الله بارعَ مَذْحِجٍ شرفا ومُعطى فَضْلَها تمليكا[5]
ومتى وجدتَ الناس إلا تاركاً لحميمه فى التُّرب أو متروكا
بلغَ الإرادة إذ فداك بنفسه وتودُّ لو تفديه لا يفديكا[6]
إن الرزيَّةَ فى الفقيد فإن هَفَا جَزعٌ بلُبِّك فالرزيَّةُ فيكا
لو يَنجلى لكَ ذخرُها من نَكبةٍ جَلَلٍ لأضحككَ الذى يَبكيكا

١٥ (١) فى الديوان : « أهلها » .
(٢) دكيكا : تاما .
(٣) كذا فى ف والديوان وفى س ، ب « بعث » .
(٤) كذا فى ف . وفى س ، ب : « رث » بدل « رس » وفى الديوان « رسم » .
(٥) فى ح والديوان « فارع » .
٢٠ (٦) البيت فى الديوان :

بلغ الإرادة إذ فداك بنفسه وودت لو تفديه لا يفديكا

صــــوت

لقد برّزَ الفضلُ بن يحيى ولم يزلْ يُسامى من الغاياتِ ما كان أرفعَا
يراه أميرُ المؤمنين لملكه كفيلاً لِما أعطى من العهد مَقْنَعا
قضى بالتى شدّتْ لهارونَ مُلكه وأحيت ليحيى نفسَه فتمتّعا[1]
[2] فأمست بنو العباس بعداختلافها وآل علىّ مثل زَنْدى يدٍ معـا[2]
لئن كان من أسدى القريض أجاده لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعـا

الشعر لأبان بنِ عبد الحميد اللاحقىّ يقوله فى الفضلِ بن يحيى لمـّا قدم يحيى بن عبد الله ابن الحسين على أمان الرشيد وعهده . والغِناء لإبراهيم الموصلى ثانى ثقيل بالبنصر عن أحمد بن المكى ، وكان الرشيدُ أمره أن يُغنى فى هذا الشعر ، وإياه عنى أبان بقوله :

* لقد صاغ إبراهيمُ فيـه فأوقعـا *

(١) ب : « ملكه » بدل : « نفسه » .
(٢–٢) تكملة من هج ، هد والتجريد .

أخبار أبان بن عبد الحميد ونسبه

اسمه ونسبه

أبانُ بنُ عبد الحميد بن لاحق بن عَفير[١] مولى بنى رَقاش ، قال أبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثةُ نفر يُنسبون إلى أمهم ، واسمها رَقاش ، وهم : مالك ، وزيد مَناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

صنيعة البرامكة

٥ أخبرنى عمى: قال : حدثنا الحسين بن عُلَيل العَنَزى ؛ قال : حدثنى أحمد بن مَهران مولى البرامكة : قال :

شكا مروانُ بن أبى حفصة إلى بعض إخوانه تَغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يدِه عنه ، فقال له : ويحك ! أتشكو الرشيدَ بعد ما أعطاك ؟ قال : أوَ تعجبُ من ذلك ؟ هذا أبان اللاحقىّ ، قد أخذَ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أخذتهُ من الرشيد فى ١٠ دهرى كلِّه ، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدَها ، وكان أبان نَقل للبرامكة كتابَ كليلَة ودِمنَة ، فجعله شعراً ، ليسهل حفظُه عليهم ، وهو معروف ، أوله :

هذا كتابُ أدبٍ ومحنهْ . وهو الذى يُدعَى كليلة دمنهْ[٢]

فيه احتيالاتٌ وفيه رُشـدُ وهو كتابٌ وضعته الهندُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار ، ١٥ ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكونَ راويتَك ؟ وعمل أيضاً القصيدة التى ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق ، وسماها ذاتَ الحُلَل ، ومن الناس من يَنسُبها إلى أبى العتاهية ، والصحيح أنها لأبان .

---

(١) كذا فى ف ، وخزانة الأدب وفى س ، ب «عفر» .

(٢) لايستقيم المصراع الثانى إلابتسكين تاء كليلة ، ولوقال : يدعونه كليلة ودمنة لكان أقوم .

أخبرنى محمدُ بنُ جعفر النحوىّ صهرُ المبرِّد : قال : حدثنا أبو هِفَّان : قال : حدثنى الجمَّاز ، قال :

كان يحيى بن خالد البرمكىّ قد جعل امتحان الشعراء وترتيبَهم فى الجوائز إلى أبان ابن عبد الحميد ، فلم يرضَ أبو نواس المرتبة التى جعلَه فيها أبانُ ، فقال يهجوه بذلك :

بينه وبين أبى نواس

جالستُ يوما أبانا ... لا درَّ درُّ أبانِ
حتى إذا ما صلاةُ الأ ... ولى دَنتْ لأوان
فقام ثَمّ بهــا ذو ... فَصاحة وبَيــانِ
فكلّما قال قُلنــا ... إلى انقضاء الأذَانِ
فقال : كيف شَهِدتم ... بذا بغير عِيَــانِ(1)
لا أشهدُ الدّهرَ حتى ... تعــاينَ العينــانِ
فقلت : سبحانَ رَبِّى ... فقال : سبحانَ مانى

فقال أبان يجيبه :

إن يكن هذا النُّواسىّ ... بلا ذنبٍ هَجانا
فلقد نِكناهُ حينا ... وصفعناهُ زمانا
هانئُ الجَرْبَى أبوه ... زادَه اللهُ هَوانا
سائل العباسَ واسمعْ ... فيه من أمِّك شانا(2)
عجنوا من جُلّنارٍ(3) ... ليَكيدُوك عِجَانا

جُلّنار(3) أم أبى نواس ، وتزوجها العباسُ بعد أبيه .

(1) فى س ، ب : « بيان » .
(2) فى هج : « منه فى أمك » .
(3) ف المختار ، « من جلبان »

هو والمعذل يتهاجيان

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى : قال : حدثنا أبو قُلابة عبدُ الملك بن محمد : قال : كان أبان اللاحقى صديقاً للمعذَّل بن غَيْلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابثان بالهجاء ، فيهجوه المعذَّلُ بالكفر وينسبه إلى الشؤم ، ويهجوه أبان ، وينسبه إلى الفُسَاء الذى تُهجَى به عبدُ القيس ، وبالقِصَر — وكان المعذّل قصيراً — فسعى فى الإصلاح بينهما أبو عُيَيْنة المهلّبى ، فقال له أخوه عبد الله — وهو أسن منه — : ياأخى إن فى هذين شراً كثيراً ولا بد من أن يُخرجاه ، فدعهما ؛ ليكون شرُّهما بينهما ، وإلا فرّقاه على الناس ، فقال أبان يهجو المعذَّل :

أحاجيكُمُ ما قوس لحم سِهامُها ... من الريح لم توصَلْ بِقدٍّ ولا عَقَب[1]

وليست شَريانٍ وليست بشَوْحَطٍ ... وليستْ بنبْعٍ لا وليستْ من الغَرَب[2]

ألا تلك قوسُ الدّحدْحِىّ معذَّلٍ ... بها صار عبديًا وتمَّ له النسب[3]

تصكُّ خياشيمَ الأنوفِ تعمُّداً ... وإن كان راميها يريد بها العُقَب

فإن تفتخر يوما تميمٌ بحاجبٍ ... وبالقوس مضمونا لكسرى بها العرب[4]

فحَىٌّ ابن عمروٍ فاخرون بقَوْسه ... وأسهمه حتى يغلِّب[5] مَن غلبْ

قال أبو قلابة : فقال المعذَّل فى جواب ذلك :

رأيتُ أبانًا يوم فِطرٍ مصلّيا ... فقُسِّمَ فكرى واستفزنىَ الطرَبْ

وكيف يصلّى مظلمُ القلب ، دِينُه ... على دين مانى إنّ ذاك من العجبْ

(١) قد : سير من جلد . عقب : عصب يعمل منه الأوتار .

(٢) شريان ، شوحط ، نبع : أشجار تصنع منها القسى .

(٣) الدحدحى : القصير .

(٤) يقصد حاجب بن زرارة ، وقصته مشهورة

(٥) ف : « تغالب »

يهجو أبا النضير

أخبرنى محمد بن يحيى : قال : حدثنا عَوْن بن محمد الكندىّ : قال :

كان لأبى النَّضِير جوارٍ يغنّين ، ويخرجن إلى جِلّة أهل البصرة ، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك ، فمن ذلك قوله :

غضِب الأحمقُ إذ مازحتُه كيف لو كنا ذكرنا المَمْرغَة[1]

أو ذكرنا أنهُ لاعبها لعبة الجِدّ بمزحٍ الدغدغه[2]

سوّد الله بخمسٍ وجهَه دُغنٍ أمثالِ طين الردَغَه[3]

خُنفُساوان وبنتا جُعَلٍ والتى تفترّ عنها وزغه

يكسر الشِّعرَ وإن عاتبتَه فى مَجالٍ قال : هذا فى اللغه[4]

٥

وأنشدنى عمى : قال : أنشدنى الكُرانىّ : قال : أنشدنى أبو إسماعيل اللاحقى لجدّه أبان فى هجاء أبى النَّضِير ، [وأخبرنى الصولىّ أنه وجدها بخط الكُرانى][5] :

١٠

إذا قامت بواكيكَ وقد هتّكْنَ أستارك

أيُثنين على قبرك أم يلعنّ أحجارَك ؟

وما تترك فى الدنيا إذا زرتَ غداً نارَك ؟

ترى فى سَقَرَ المَثْوى وإبليس غداً جارَك[6]

لمَنْ تترك زِقَّيْك ودِنَّيك وأوتارَك

١٥

(١) س ، ب : «المزدغة» ، والكلمة : كناية عن السقوط والفسق

(٢) الدغدغة : الزغزغة .

(٣) دغن : سود ، جمع دغناء ، وأمثال طين الردغة أى سام أبرص ، وفى ف : رعن .

(٤) فى م ، أ وفى س ، ب «محال» بدل « مجال » وفى هج : «قال فى هذا لغة » .

(٥) زيادة عن ف

(٦) فى ف : «يرى» بدل « غدا » .

٢٠

وخمساً من بنات الليـ ل قد ألبسْنَ أطارَكْ
تعالى اللهُ ما أقبحَ إذ ولَّيتَ أدبارَكْ [١]

وقال فيه أيضاً :

[٢] قيانُ أبى النضير مثلّجاتٌ غناء مثل شعر أبى النضير [٢]
فلا همَذَانَ حين نصيف نبغى ولا الماهَيْنِ [٣] أيام الحرور
ولا نبغى بقرمِيسينَ [٣] رَوحا ولا نُبلى البغالَ من المسير
[٢] فإن رمت الغناء لديه فاصبر إذا ما جئتـه للزّمهرير [٢]

يهجو المعذل

أخبرنى محمد بن يحيى : قال : حدثنا أبو خليفة وأبو ذَكْوان والحسن بن علىّ النّهدى : قالوا :

كان المعذّل بن غيلان المهرى يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور ، وهو يلى حينئذ إمارة البصرة من قِبَل الرشيد ، فوهب للمُعذّل [٤] بن غَيْلان له بيضةَ عنبر وزنها أربعة أرطال ، فقال أبان بنُ عبد الحميد :

أصلحكَ الله وقد أصلحا إنّىَ لا آلوك أن أنصَحَا
علام تُعطى منوَىْ عَنـبرٍ وأحسِبُ الخازن قد أرجحا
من ليس من قِرد ولا كَلبة أبهى ولا أحْلى ولا أملحا
[٥] رسول يأجوج أتى عنهم يخبر أن الروم قد أقبحا [٥]
ما بين رجليه إلى رأسـه شِبْرٌ فلا شبَّ ولا أفلحا [٦]

(١) فى ف هج : « لقياك وإدبارك » بدل « إذ وليت أدبارك »
(٢-٢) تكملة من ف ، هج
(٣) همذان ، الماهين ، قرميسين : بلاد فارسية معروفة
(٤) ب : « فوهب المعذل » . والمثبت من ف
(٥-٥) تكملة من هج
(٦) فى ف « شبران لا شب »

على باب الفضل ابن يحيى

أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنا أبو العَيْناء : قال : حدثنى الحرمازىّ : قال : خرج أبانُ بن عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضلُ بنُ يحيى غائباً ، فقصده ، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه فتوسّل إلى مَن وصّل[1] له شعراً إليه ، وقيل : إنه توسل إلى بعض بنى هاشم ممّن شخص مع الفضل ، وقال له :

يا غرير النـدى ويا جوهرَ الجو هر من آل هاشمٍ بالبطاح
إنّ ظَنِّى وليس يُخلِفُ ظَنِّى بك فى حاجَتى سبيلُ النجاح
إن مِن دونها لمصْمَتُ بابٍ أنت من دون قفْـله مِفتاحى
تاقت النفسُ يا خليـلَ السَّماح نحو بحرِ الندى مُجارِى الرياح
ثم فكّرتُ كيف لى واستخرتُ الله عند الإمساء والإصباح
وامتدحتُ الأميرَ أصلحَه اللـه بشعرٍ مشهَّرِ الأوضاحِ

فقال : هاتِ مديحَك ، فأعطاه شعراً فى الفضل فى هذا الوزنِ وقافيته :

أنا مَن بُغْيةُ الأميرِ وكنزٌ من كُنوزِ الأمـير ذُو أرباح
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائدٌ على النُّصّـاح
شاعرٌ مُفلِقٌ أخفُّ من الرّيشة مِمّا يكون تحت الجَنَـاح[2]

وهى طويلة جدا يقول فيها :

إن دعانى الأمـيرُ عاين مِنِّى شَمَّرِيا كالبُلبُـل الصَّيَّاح[3]

(١) فى ت « بمن أوصل » .
(٢) فى س ، ب « عند الجناح »
(٣) شمريا : ماضيا مجربا .

قال : فدعا به ، ووصله ، ثم خُص بالفضل ، وقُدِّم معه ، فقُرِّب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم .

يصل إلى الرشيد على حساب آل على

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى : قال : حدثنى علىّ بن محمد النوفلىّ : أنّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه ، فقالوا له : وما تريدُ من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظَى منه بمثل ما يحظى به مروانُ ابنُ أبى حفصة ، فقالوا له : إن لمروانَ مذهبا فى هجاء آل أبى طالب وذمّهم ، به يحظَى وعليه يُعطَى ، فاسلُكه حتى تفعل ، قال : لا أستحلّ ذلك ، قالوا : فما تصنع ؟ لا شىء طلبُ الدنيا إلا بما لا يحلّ ، فقال أبان :

نشَدتُ بحقّ الله مَن كان مسلما ... أعُمُّ بما قد قلتهُ العُجمَ والعرَبْ

أعَمٌّ رسولِ الله أقربُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمّ فى رتبة النسب

وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومَن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ

فإن كان عبّاسٌ أحقّ بتلكمُ ... وكان علىٌّ بعد ذاكَ على سَبَبْ

فأبناء عباسٍ هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لابن العمِّ فى الإرث قد حَجَبْ

وهى طويلة ، قد تركت ذكرها لما فيه ، فقال له الفضل : ما يَرِدُ على أمير المؤمنين اليومَ شىء أعجب إليه من أبياتك ، فركب فأنشدها الرّشيدَ ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ، ثم اتصلت[1] بعد ذلك خدمته الرشيد ، وخُصَّ به .

بينه وبين عنان

أخبرنا أبو العباس بن عمار عن أبى العيناء عن أبى العباس[2] بن رستم : قال : دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عِنانَ جاريةِ النّاطفى ، وهى فى خيش ، فقال لها أبان :

(١) فى س ، ب ، هج « ثم اتصل مدحه الرشيد بعد ذلك وخص به » .
(٢) فى م ، ا : « عن العباس » .

العيشُ فى الصيف خَيشُ

فقالت مُسرعه :

إذ لا قتالٌ وجيشُ

فأنشدتُها أنا لجرير قولَه :

طللتُ أُوارى صاحبىَّ صَبَابتى وهل عَلِقتْنى من هواكَ عَلوق[(١)] ٥

فقالت مُسرِعة :

إذا عقل الخوفُ اللسانَ تكلمتْ بأسراره عينٌ عليـــه نَطوقُ

مائدة بطيئة أخبرنى الصولىّ : قال : حدثنا محمد بن سعيد ، قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد بن عُثمان بن لاحق : قال :

أولَمَ محمد بن خالد ، فدعا أبانَ بن عبد الحميد والعتبىّ ، وعبيدَ الله بن عمرو ، وسهلَ ١٠ ابن عبد الحميد ، والحكَم بن قَنبر ، فاحتبس عنهم الغداء ، فجاء محمد بن خالد فوقف على الباب فقال : ألكم أعزكم اللهُ حاجةٌ ؟ يمازحهم بذلك ، فقال أبان :

حاجَتُنا فاعْجَل علينا بها من الحشَاوى كلّ طُردِين[(٢)]

فقال ابن قنبر بعد ذلك :

[(٣)]ومن خبيصٍ قد حكَت عاشقاً صُـــفرته زِينَ بتلوين[٣)] ١٥

فقال عُبَيْدُ الله بنُ عمرو :

وأتبِعوا ذاك بأبيَّةٍ فإنكم آيينُ آيينِ[(٤)]

---

(١) رواية الديوان :

بت أرانى صاحبى تجلدى وقد علقتنى من هواك علوق

(٢) الحشاوى : لعلها جمع الحشا على غير قياس : « يريد ما فى البطن من كبد وطحال وكرش » ، ٢٠ وكل طردين : طعام للأكراد .

(٣-٣) تكمله من هج .

(٤) آيين آيين : أى أتباع دستور وفى ف : « فإنكم أصحاب أيين » .

فقال سَهْل :

دعنا من الشعر وأوصافِه　　واعجَلْ علينَـا بالأخاوِينِ[١]

فأحضر الغَداء ، وخلع عليهم ووصلَهم .

يشبّب بغلام تركى

أخبرنى الصولى : قال : حدثنا محمد بن زياد : قال : حدثنى أبان بن سعيد الحميدى

٥ ابن أبان بن عبد الحميد : قال :

اشترى جارٌ لجدِّى أبان غلاماً تركيًّا بألف دينار ، وكان أبان يهواه ويُخفِى ذلك عن مولاه ، فقالَ فيه :

ليتنى — والجـاهلُ المغ　　رورُ مَن غُـرَّ بليَتِ

نلتُ مِمّن لا أسَمِّى　　وهو جارى بَيْتَ بَيْتِ

١٠ قُبـلةً تُنعِش ميْتاً　　إنّنى حَىٌّ كَمَيْتِ

نتساقى الريقَ بعد الشـ　　رب من راحٍ كُمَيتِ

لا أسَـمِّيه ولكنْ　　هو فى كَيْتَ وكَيْتِ[٢]

وكان اسمه يتك .

وقال أبو الفَيّاض سوّار بن أبى شُراعة :

يحض عمارة على الهرب من زوجها

١٥ كان فى جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد ، وكان عدوًّا لأبان ، فتزوج بعمّارة بنت عبد الوهاب الثقفى[٣] ، وهى أخت عبد المجيد الذى كان ابن مُناذر[٤] يهواه ، ورثاه ، وهى مولاة جِنَان التى يُشَبِّبُ بها أبو نواس ، ويقولُ فيها :

(١) الأخاوين : جمع إخوان لغة فى الخوان كغراب وكتاب .

(٢) زيادة فى ف و فى بعض النسخ أن الغلام اسمه « يتك » ويعنى بقوله « كيت وكيت » أن حروف يتك مندرجة فى « كيت » .

(٣) هو أبو محمد عبد الوهاب الثقفى البصرى أحد الأئمة أخذ عنه الشافعى وابن حنبل سنة ١٩٤ هـ .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم فى العلم باللغة .

٢٠

خرجتْ تشهدُ الزفافَ جِنانٌ فاستمالت بحُسنِهــا النّظّارهْ

قال أهلُ العَروس لما رأوْها ما دهانا بها سِـــوى عمّاره

قال : وكانت موسرة ، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوه ويحذِّرها منه :

لمّا رأيت البَزَّ والشّــارهْ والفرشَ قد ضاقتْ به الحارهْ

واللوزَ والسُّكَّرَ يُرمىَ به من فوق ذى الدار وذى الداره

وأحضروا المُلهين لم يتركوا طبــلا ولا صاحبَ زمّارهْ

قلت : لمـاذا ؟ قيـل أعجوبةٌ محمـــد زُوِّج عمّـــارهْ

لا عمَّرَ اللهُ بهـا بيتَـــه ولا رأته مُـدرِكاً ثارَهْ

ماذا رأتْ فيـه وماذا رجَتْ وهى من النِّسوان مُختارهْ

أسودَ كالسَّفُّود يُنسَى لدى التَّنُّ ور بل محراكُ قَيّـــارهْ[(١)]

يُجرِى على أولاده خمسةً أرغفةً كالريش طيّـــارهْ[(٢)]

وأهله فى الأرض من خَوفه إن أفرطوا فى الأكل سيّارهْ

ويحكِ فِرِّى وأعصى ذاكَ بى فهـــذه أختُـك فرّارهْ[(٣)]

إذا غَفا بالليـــل فاستيقظِى ثم اطْفِـــرى إنك طفّارهْ

فصعِّدَت نائلةً سُلَّمـــا تخافُ أن تصعدَه الفـارهْ[(٤)]

سُرورُ غرَّتْها فلا أفلحتْ فإنهـــا اللَّخناء غــرّارهْ

لو ملتَ ما أبعدْتَ من ريقها إن لهـا نَفثــــةَ سحّارهْ

(١) محراك : مايحرك به النار ، والقيارة : أصحاب القير ، وهو الزفت ، أطلقت مجازا على محل القير .

(٢) فى هج : «كالريح» بدل «كالريش» .

(٣) فى بعض النسخ « واعصبى ذاك بى » وفى بعضها « فاك بى » .

(٤) فى ا ، م ، حـ « قائلة » بدل « نائلة » .

قال : فلما بلغت قصيدتُه هذه عمّارة هربتْ فحُرِم الثقفىّ من جهتها مالا عظيما ، قال : والثلاثة الأبيات التى أولها :

* فصعّدت نائلةً سلما *

زادها فى القصيدة بعد أن هربتْ .

أخبرنى الأخفش عن المبرد عن أبى وائلة ، قال :

ابن مناذر يهجوه

٥ كان أبان اللاحقىّ يُولَع بابن مُناذر ، ويقول له : إنما أنت شاعر فى المراثى ، فإذا مت فلا تَرْثنى ، فكثر ذلك من أبان عليه ، حتى أغضبه ، فقال فيه ابنُ مُناذر :

غُنجُ أبانٍ ولينُ منطقه يخبر الناس أنه حَلَقى[1]
داء به تُعَرَفونَ كلُّكمُ يا آل عبدِ الحميد فى الأفُقِ
حتّى إذا ما المساء جلّله كان أطبّاؤه على الطُّرُقِ
١٠ ففرِّجوا عنه بعضَ كربته بمسبطِرٍّ مُطوَّق العُنُقِ[2]

قال : وهجاه بمثل هذه القصيدة ، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه ، وسُعِىَ بينهما ، فأمسك عنه .

أكان يهوديا

أخبرنى الصُّولى ، عن محمد بن سعيد ، عن عيسى بن إسماعيل : قال :

١٥ جلس أبانُ بن عبد الحميد ليلة فى قرم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدحُ فى الأنساب ولا نَسَب له . فبلغ ذلك أباعبيدة فقال فى مجلسه : لقد أغفل السلطانُ كلَّ شىء حتى أغفل أَخْذَ الجزية من أبان اللاحقى ، وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة ، وليس فيها مُصحف ، وأوضحُ الدلالة على يهوديتهم أنّ أكثرهم يدَّعِى حفظَ التوراة ، ولا يحفظُ من القرآن ما يُصلِّى به . فبلغ ذلك أبانا[3] فقال :

٢٠ (١) كناية عن الأبنة من قولهم : أتان حلقيه أى تداولتها الحمر حتى أصابها داء فى رحمها .

(٢) فى ف و فى س ، ب « بمسطير » وهو تحريف والكلمة كناية عن العضو المعروف .

(٣) ب : « فبلغ ذلك أبان » وهو خطأ

لا تَنِمَّنَّ عنْ صديقٍ حديثـــا واستعِـذْ من تسرُّر النَّمّامِ

واخفضِ الصّوتَ إن نطقتَ بليلٍ والتفِتْ بالنهار قبـلَ الـكلامِ

أكان كافرا

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة : قال :

كنا فى مجلسِ أبى زيدٍ الأنصارى ، فذكروا أبانَ بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافراً ، فغضب أبو زيد ، وقال : كان جارى ، فما فقدتُ قرآنَه فى ليلة قطُّ . ٥

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعى عن دَماذ : قال :

كان لأبان جارٌ ، وكان يعاديه ، فاعتلّ علّة طويلة وأرجف أبانٌ بموته ، ثم صَحّ من عِلّته ، وخرج ، فجلس على بابه ، فكانت علّتُه من السُّلّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال له أبان :

يقضى على جاره المريض

أبا الأطولِ طـوّلْتَ وما يُنجيك تطـويلُ ١٠

بك السُّـلُّ ولا واللهِ ما يبرأُ مسلولُ

فلا يغررْكَ من طِبِّـك أقوالٌ أباطيـلُ(١)

أرى فيـكَ علاماتٍ وللأسبـاب تأويلُ(٢)

هُـزالاً قد برَى جسمَك والمسلولُ مهـزولُ

وذِبّانًا حـواليْكَ فموقوذٌ ومقتـولُ(٣) ١٥

وحُمّى منكَ فى الظّهر فأنت الدهرَ مَمْلولُ

وأعْلاماً سِوى ذاك تُواريهـا السّراويلُ

ولو بالفيـلِ مما بـك عُشرٌ ما نجا الفيلُ

(١) فى س ، ب : « طبك » بدل « طبك » . (٢) هد والمختار : « وللأشياء تأويل »

(٣) الذبان : الذباب . والموقوذ : الصريع .

٢٠

فما هـذا على فيكَ قُلاعٌ أم دَماميـلُ[1]
وما زال مُناجيــك يُوَلِّى وهْو مَبْـلُولُ[2]
لئن كان من الجَوْف لقد سالَ بِك النيلُ[3]
وذا داء يُزَجِّيـك فلا قالٌ ولا قِيــلُ

فلما أنشده هذا الشعرَ أُرعِد ، واضطرب ، ودخل منزلَه ، فما خرج منه بعد ذلك حتى مات .

---

(١) القلاع : داء يصيب الفم .

(٢) فى ف ، هج : « وما بال مناجيك » بدل « وما زال مناجيك » وفى س ، ب « معلول » بدل « مبلول »

(٣) فى س ، ب « لقد كاد من الخوف » وقد ورد هذا البيت مكررا آخر المقطوعة فى كل الأصول ماعدا : ف .

صــوت

ماتزال الدّيارُ فى بُرقةِ النَّجـ ـد لسُعدى بقرْقرى تُبكِينى(١)

قد تحيّلتُ كى أرى وجهَ سُعدى فإذا كل حيلة تعيينى(٢)

قلتُ لما وقفتُ فى سُدّة البا ب لسُعدى مَقالةَ المِسكين

افعلِى بى يارَبّةَ الخِدرِ خَيراً ومن الماءِ شَربةً فاسقينى

قالتِ : الماء فى الرّكِىِّ كثيرٌ قلتُ : ماء الركىّ لا يُروينى(٣)

طرحتْ دونىَ الستورَ وقالتْ : كلَّ يوم بعِلّةٍ تأتينى

الشعر لتُويت اليَمامى ، والغناء لأبى زَكّار الأعمى ، رَمَل بالوسطى ، ابتداؤه نشيد من رواية الهِشامى .

(١) قرقرى : موضع باليمامة .
(٢) فى ف «تمحلت» : بدل «تحيلت» .
(٣) فى ف ومهذب الاغانى «لا يكفينى» .

أخبار تويت[1] ونسبه

اسمه ونسبه

تُوَيْت لقب ، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلولى من أهل اليمامة ، لم يقع لى غير هذا وجدتُه بخط أبى العَبَّاس بن ثَوابة ، عن عبدالله بن شَبيب من أخبار رواها عنه وتُوَيْت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حَفْصة وذويهم ، ولم يَفِد إلى خليفة ، ولا وجدْتُ له مديحاً فى الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكرَه ، وكان شاعراً فصيحا نشأ باليمامة وتُوُفّى بها .

قال عبد الله بن شَبيب :

حبيبته تضربه

كان تُوَيت يهوَى امرأةً من أهل اليمامة يقال لها : سُعدى بنتُ أزهر ، وكان يقول فيها الشعر ، فبلغها شعرُه من وراء وراء ، ولم تره ، فمرّ بها يومًا ، وهى مع أتراب لها ، فقلن : هذا صاحبك ، وكان دَميما ، فقامت إليه وقمن معها ، فضربنَه ، وخرّقن ثيابَه ، فاستعدى عليهنّ فلم يُعدِه الوالى ، فأنشأ يقول :

إنّ الغوانى جرَحْنَ فى جسدى ... من بعدِ ماقد فرَغْنَ من كَبِدى

وقد شقَقْن الرِّداء ثُمَّتَ لم ... يُعدِ عليهن صاحبُ البلدِ[2]

لم يُعدِنى الأحولُ المشومُ وقد ... أبصرَ ماقد صَنَعن فى جَسدى

ثم ترق له بعد ضربه

قال : فلما جرى هذا بينَه وبينَها عقدَ له فى قلبها رِقّة ، وكانت تتعرّضُ له إذا مرّ بها ، واجتاز يوماً بفِنائها فلم تتوارَ عنه ، وأرته أنها لم تره ، فلما وقفَ مَليًا سترتْ وجْهها بخِمارها ، فقال تُوَيْت :

ألا أيها الثارُ الذى ليسَ نائما ... على ترةٍ إن مُتّ من حُبّها غَدا[3]

(١) فى ب « تويت »

(٢) فى ف ، هج : « عامل » بدل « صاحب » .

(٣) كذا فى ف : « ويريد به الطالب لدمه » وفى س ، ب : « السارى» بدل « الثار »

خُذُوا بدمى سُعدى فسعدى مَنِيَّتُها غداةَ النقَا صادتْ فؤاداً مُقصَّدا[1]
بآيةِ ماردَّت غـــداةَ لقِيتُها على طَرفِ عَيْنَيها الرداء المورَّدا

الوصل قبل الحج

قال ابن شَبيب : ولقيها راحلة نحوَ مكة حاجَّةً ، فأخذ بخِطام بَعيرِها وقال :

قل للتى بكرتْ تريد رَحيلا للحجّ إذ وجدتْ إليهِ سبيلا
ما تصنعين بحَجَّـةٍ أو عُمْرةٍ لا تُقْبَلانِ وقد قَتلتِ قَتيلا
أحيِي قتيلَكِ ثم حُجّى وانسُكى فيكون حجُّكِ طاهراً مقبولا

فقالتْ له : أرسل الخِطام ، خيَّبك اللهُ وقبحك ، فأرسلَه ، وسارت .

ثم تزوجها غيره فقال شعراً

قال عبد الله بن شبيب : ثم تزوجَها أبو الجنوب يَحيى بنُ أبى حَفصة ، فحجبها ، وانقطع ما كان بينها وبين تُوَيتٍ ، فطفِقَ يَهجو يحيى فقال :

عَنـــاءٌ سِيقَ للقلب الطروبِ فقد حُجِبتْ معذِّبةُ القُلوبِ[2]
أقول وقد عرفتُ لهـا محَـلاً ففاضت عبرةُ العينِ السَّكوبِ
ألا يادارَ سُـــعدَى كلِّمينا وما فى دار سُعدَى من مُجيبِ
ولـما ضمَّها وحوَى عليهـــا تركتُ له بعاقبـــةٍ نَصيبى
وقلت : زِحامُ مثلكِ مثلَ يَحيى لعمركِ ليس بالرأى المُصيبِ[3]
فما لك مثلُ لمَّتِه تَدرَّى ومالك مثلُ بُخل أبى الجنوب[4]

(١) مقصدا : مكسرا .
(٢) فى س ، ب « حجبت » بدل « حجبت » .
(٣) نرجح أن « زحام » تحريف « زواج »
(٤) فى س ، ب « ماجنيت بدأ » بدل : « لمته تدرى » وتدرى : تسرح .

إذا فقد الرغيفَ بكى عليه وأتبع ذاكَ تَشقيقَ الجُيوب

يعذّب أهلَه فى القُرْصِ حتى يظلوا منهُ فى يومٍ عصيب[1]

وقال أيضاً :

ألا فى سبيل اللهِ نفسٌ تقسَّمتْ شَعاعًا وقلبٌ للحسانِ صديقُ

أفاقت قلوبٌ كُنّ عُذِّبْن بالهوَى زمانًا وقلبي ما أراهُ يُفيـــقُ

سَرَقْتِ فؤادى ثم لا ترجعينَه وبعضُ الغوانى للقلوب سَروقُ

عَروفُ الهوى بالوعد حتى إذا جرتْ ببَينْك غربانٌ لهن نَعيـــقُ

ورُدَّت جِمالُ الحى وانشقَّتِ العَصا وآذنَ بالبين المُشتّ صَدوقُ[2]

ندمتِ على ألا تـكونى جَزَيْتِنِي زَعمتِ وكلُّ الغانيات مَذُوق[3]

لعلك أن تنأى جميعًا بغُـلَّة تذوقين من حَرِّ الهوَى وأذوقُ

عصيتُ بكِ الناهين حتى لوَ أنّنى أموتُ لما أرعَى علىّ شَفيقُ[4]

ومن مختار قول تُوبة فى سَعْدى هذه مما أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها : من مختار قوله فى سعدى

سنرضى فى سُـــعيدى عاذِلِينَا بعاقبـــة وإن كُرمتْ علَينا

يقول فيهـــــا :

لقيتُ سُعَيدَ تمشِى فى جَوارٍ بجرعاء النَّقَـــا فلقيتُ حَيْنَا

سلبنَ القلبَ ثم مضينَ عنِّى وقد ناديتُهنَّ فما لَوَيْنــــا

(١) القرص : بسط العجين

(٢) فى س ، ب « رددت » بدل « وردت » وفى مج : « جمال البين »

(٣) وكل الغانيات مذوق ، أى لايخلصن الود .

(٤) أرعى على شفيق ، رحمنى وأبقى على .

فقلتُ وقد بقيتُ بغير قَلْب بقلبى يا سُعَيدى أين أينا ![1]

فمـا تجزينَ يا سُـعدى مُحِبًّا يهيم بكم ولا تقضينَ دَيْنـا

فقالوا إذ شـكوتَ المطلَ منها لعمركَ مَن سمعتَ له قَضَينا[2]

ومَن هذا الذى إن جاه يشـكو إلينا الحبَّ من سَقَمٍ شَفَيْنا

فهنَّ فواعلٌ بى غيرَ شكٍّ كما قبلى فعلْنَ بصاحِبَيْنَا

[3]بعروةَ والذى بسهامِ هِندٍ أُصيب ، فما أقدْنَ ولا وَدَيْنا[4]

ومن مختار قوله فيها :

سلِ الأطلالَ إن نفع السُّؤالُ وإن لم يربَع الركبُ العِجال

عن الخَوْدِ التى قتلتكَ ظلمًا وليس بها إذا بَطَشت قِتالُ

أصابك مُقلتانِ لهـا وجيدٌ وأشنبُ باردٌ عـذبٌ زُلالُ

أعارَكِ ما تبلّتِ به فؤادى من العينَين والجيـدِ الغزالُ

أيا ثاراتِ مَن قتلتهْ سُعدَى دَمِى — لاتطلبُوه — لها حَلالُ

أرِقُّ لهـا وأشفِق بعد قَتلى على سُعدى وإن قلَّ النَّوالُ

وما جادتْ لنـا يومًا ببذلٍ يمينٌ من سُعادَ ولا شِمالُ

(١) فى ف : « لب » بدل « قلب » .

(٢) فى ف ، هج «فقالت» بدل « فقالوا » . فى وفى س ، ب «به »بدل « له ».

(٣) عروة بن حزام وصاحبته عفراء وهما من بطن من العذريين ويقال لها نهد.

(٤) يقصد عبد الله بن عجلان وصاحبته هند بنت كعب بن عمرو النهدى أيضا .

ومن قوله فيها أيضاً :

يا بنت أزهرَ إنّ ثأرى طالبٌ … بدمى غداً والثأرُ أجهدُ طالبِ
فإذا سمعتِ براكبٍ مُتعصِّبٍ … ينعىَ قتيلَكِ فافزَعِى للراكبِ[1]
فلأنتِ من بين الأنام رميتِنِى … عن قَوس مَتْلَفَةٍ بسهمٍ صائبِ
لا تأمنِى شُمَّ الأنوفِ وتَرْبَهم … وتركتِ صاحبَهم كأمسِ الذاهبِ
من كان أصبحَ غالبًا لهوى التى … يهوَى فإن هواكِ أصبحَ غالبِى
قالت وأسبلتِ الدموع لتِرْبها … لما اغتررتُ وأومأتْ بالحاجبِ
قولى له : بالله يُطلِقُ رحلَه … حتى يُزَوَّدَ أو يَروحَ بصاحبِ

وقال فيها أيضًا :

١٠ أرّق العينَ من الشوق السَّهَرْ … وصبا القلبُ إلى أمِّ عُمَرْ
واعتَرتْنِى فكرةٌ من حُبِّها … ويحِ هذا القلبِ من طُول الفِكَرْ[2]
قَدَرٌ سِيــقَ فمن يَملِكه … أين مَن يملكُ أسبابَ القَدَرْ
كلُّ شىء نالنى من حُبِّها … إن نجت نفسى من الموتِ هَدَرْ

وقال أيضاً :

١٥ يا للرِّجال لِقلبِكَ المتطرِّفِ … والعينُ إن تَرَ برقَ نَجْدٍ تَذْرِفِ[3]
ولحاجةٍ يومَ العبير تعرَّضَتْ … كبرتْ فرُدَّ رسولُها لم يُسعفِ
يا بنت أزهر ما أراكِ مُثيبَتِى … خيراً على وُدِّى لكم وتلطُّفِى

(١) فى حـ : «متعقب» بدل «متعصب» ، وفى س ، ب «يبغى» بدل «ينعى» .
(٢) فى ا ، حـ ، ف « ذكرة » بدل « فكرة » ، « ذكر » بدل « فكر » .
٢٠ (٣) ب : « العين إن ترقاً بجد تذرف »

إنى وإن خُبِّرتِ أنّ حياتَنا ... فى طرف عينك هكذا لم تَطرِف

ليظلُّ قَلبِي من مخافة بَينِكم ... مثلَ الجناح معلَّقًا فى نَفْنَفِ[1]

ولَيَظلّ فى هَجر الأحبّة طالباً ... لرضاكِ مما جار إن لم تُسعفِ[2]

كأخى الفَلاة يَغُرُّه من مائِها ... قِطعُ السرابِ جَرَى بقاعٍ صَفْصَفِ

أهراقَ نُطفتَه فلما جاءها ... وجدَ الْمَنيَّةَ عندَها لم تُخْلِفِ

٥

---

(١) نفنف : مهوى بين جبلين .

(٢) فى س ، ب « مجرى » بدل « هجر » ولعلها « لم تسعفي » بالياء .

صـــوت

أَمِنتَ بإِذن الله من كلِّ حادثٍ بقربِكَ من خير الورى يابنَ حارث

إمامٌ حـــوى إرثَ النبي محمدٍ فأكرِمْ به من إبنِ عَمٍّ وَوارث

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسختّر ، خفيف رَمَل بالبنصر مطلق من جامع أغانيه وعن الهِشامى .

أخبار محمد بن الحارث

مروءة أبيه

مولَى المنصور ، وأصله من الرّىّ من أولاد المَرازبة ، وكان الحارث بن بسخنّر أبوه رفيع القَدْر عند السلطان ، ومن وُجوه قواده ، وولاه الهادى — ويقال الرشيد — الحربَ والخراجَ بكُوَر الأهوازِ كلِّها .

٥ فأخبرنى حبيب المهلّبى : قال : حدثنى النَّوفلىّ عن محمد بن الحارث بن بسخنّر : قال : كنت بالدَّيْر ، وكان رجل من أهلها يَعرِض علىّ الحوائجَ ويخدمنى فيُكْرِمُنى ، ويذكر قديمنا ، ويترحَّم على أبى ، فقال لى رجلٌ من أهلِ تلكَ الناحية : أتعرفُ سببَ شكرِ هذا لأبيك ؟ قلت : لا ، قال : فإن أباه حدثنى — وكان يُعرف بابن بانة — بأن أباك الحارث بن بسخنّر اجتاز بهم يُريد الأهواز فتلقاه بدَجلة العوراء ، وأهدى ١٠ له صُقوراً وبَواشق صائدةً ، فقال له : الحقْ بى بالأهواز ، فقال له يوماً : إنى نظرتُ فى أمور الأعمال بالأهواز ، فلم أجدْ شيئاً[1] منها يرتفق منه بما قدَّرتُ أن أبرَّك به ، وقد ساومنى التُّجّار بالأهواز بالأرز ، وقد جعلته لك بالسعر الذى بذَلوه[2] ، وسيأتوننى ، فأعلمهُم بذلك ، فقلتُ : نعم ، فجاءوا ، وخلصوه منه بأربعين ألفَ دِينار ، فصرتُ إلى الحارث فأعلمتهُ ، فقال لى : أرضيتَ بذلك ؟ فقلت : نعم ، قال : فانصرف .

١٥ ولما قفَل الحارث من الأهواز مرّ بالمدائن ، فلقيَه الحُسينُ بن مُحرِز المدائنى المغَنِّى فغنّاه :

قد عِلم اللهُ علا عرشُــــه أنّ إلى الحارث مُشتاقُ

فقال له : دعْنى من شوقك إلىّ ، وسلنى حاجةً فإنى مُبادر ، فقال له : علىّ دين

(١) فى س ، ب : « فوجدت ليس فيها شىء »

(٢) فى س ، ب « بلوه » .

مائةُ ألف دِرهم ، فقال : هى علىّ ، وأمر له بها ، وأصعد .

كان من أصحاب ابراهيم بن المهدى ويسير على مناهجه

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدى والمتعصبين له على إسحاق ، وعن إبراهيم بن المهدىّ أخذ الغِناء ، ومن بحره استقى ، وعلى منهاجه جرَى .

أخبرَنى عيسىُ بن الحسين الورّاق ، عن محمد بن هارون الهاشمى ، عن هِبةِ الله

٥ ابن إبراهيم بن المهدى : قال :

جاسوس غير أمين

كان المأمونُ قد ألزم أبى رجلا ينقل إليه كلّ ما يسمعه من لفظ جِدًّا وهَزلاً شِعراً وغِناء ، ثم لم يثق به ، فألزمه مكانَه محمد بن الحارث بن بسخنّر ، فقال له : أيها الأمير ، قل ما شئتَ واصنع ما أحببتَ ، فوالله لا بلّغتُ عنك أبداً إلا ما تُحبّ ، وطالت صحبته له ، حتى أمنه وأنِس به ، وكان محمد يغنى بالمِعْزَفة فنقلَه أبى إلى العود ، ١٠ وواظب عليه حتى حَذِقَه ، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً : أنا عبدُك وخِرّيجُك وصنيعتُك ، فاخْصصنى بأن أروِىَ عنك صنعتَك ، ففعل ، وألقى عليه غِناءه أجمعَ ، فأخذه عنه ، فما ذهب عليه شىء منه ولا شَذّ .

يغنى الواثق

وقال العتّابى : حدّثنى محمد بن أحمد بن المكىّ : قال : حدثنى أبى : قال :

كان محمد بن الحارث قليلَ الصنعةِ ، وسمعتُه يغنّى الواثق فى صنعته فى شعر له مدَحه ١٥ به وهو :

أمِنتَ بإذنِ الله من كلّ حادثٍ   بقربك من خير الورى يابنَ حارثٍ

فأمر له بألفى دينار .

وذكر علىّ بن محمد الهشامى ، عن حمدون بن إسماعيل ، قال : كان محمد بن الحارث قد صنع هزجًا فى هذا الشعر :

صـــوت

٨٣
٢٠

أصبحتُ عبــداً مُسترقّا أبكى الألى سكنوا دِمَشْقا[١]
أعطيتُهم قلــبى فمَنْ يَبْقَى بلا قلبٍ فأبقَى

يهب لحنه لغيره

وطرحه على المَسْدود[٢]، فغنّاه، فاستحسنه محمدُ بنُ الحارث منه لِطيب مسموع المسدود، ثم قال: يامسدود، أتحبُّ أن أَهَبَه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلتُ، فكان يُغنّيه، ويدّعيه، وهو لمحمد بن الحارث.

٥

وقال العتّابى: حدثنى شَرْو بن المثنى المدادى [٣] أن صَنعةَ محمدِ بنِ الحارث بلغت عشرةَ أصوات، وأنه أخذها كُلَّها عنه، وأن منها فى طريقه الرَّمَل، قال: وهو أحسَنُ ما صنعه.

من ألحانه العشرة

صـــوت

١٠

أيا من دَعانى فلبّيتُه ببذل الهوى وهو لا يَبذُلُ
يُدِلُّ علىَّ بِحُبِّى له فمن ذاك يفعَلُ ما يفعَلُ

لَحْنُ محمدِ بنِ الحارث فى هذا الصوت رَمَلٌ مطلق، وفيه ليَزيدَ حوراء ثقيل أول وفيه لسُلَيم لحن وجدته فى جميع أغانيه غير مُجنّس.

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ: قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد: قال: حدّثنى أبو تَوبة صالحُ بنُ محمد، عن عمرو بن بانَة: قال:

١٥

كنت عند محمد بن الحارث بن بسخنَّر فى منزله، ونحن مُصطبحون فى يوم غيمْ، فبينا نحنُ كذلك إذ جاءتنا رُقعة عبد الله بن العباس الربيعىّ، وقد اجتاز بنا مُصعِداً إلى سُرَّ مَن رأى، وهو فى سفينة، ففضَّها محمدٌ، وقرأها، وإذا فيها:

مع ابن العباس الربيعى

٢٠

(١) فى ف: «أشكو» بدل «أبكى».
(٢) فى س، ب «المستورد»: بدل «المسدود».
(٣) كذا بالأصول ولعلها المذارى نسبة إلى «مذار»، قرية بين واسط والبصرة.

محمدُ قد جادتْ علينا بودْقها سَحائبُ مُزنٍ برقُها يتهلّلُ
ونحنُ من القاطول فى شبه مَرْبع له مسرحٌ سَهلُ المحلّةِ مُبْقِلُ[1]
فَمُرْ فائزاً تَفديك نفسى يُغَنِّنِى أعَنْ ظُعُنِ الحىّ الألَى كنتَ تسألُ؟
ولا تسقِنى إلا حلالاً فإنّنى أعافُ من الأشياء مالا يُحَلَّلُ

٥ فقام محمدُ بنُ الحارث مستعجِلا حافيا ، حتى نزلَ إليه فتلقَّاه ، وحلفَ عليه حتى خرج معه ، وسار به إلى منزله ، فاصطبَحا يومئذ ، وغنّاه فائزٌ غلامُه هذا الصوتَ ، وكان صوته عليه ، وغنَّاه محمد بن الحارث وجواريه وكل من حضَر يومئذ ، وغنَّانا عبدُ الله بنُ العباس الربيعى أيضاً أصواتا وصنَعَ يومئذ هذا الهزَج ، فقال :

يا طيبَ يَوْمِى بالمَطيرة مُعمِلاً للكأس عندَ محمدِ بنِ الحارثِ[2]
١٠ فى فِتيــةٍ لا يسمعونَ لعــاذلٍ قولاً ولا لمسوِّفٍ أو رائثِ

عجائز أبيه أساتذة مخارق

حدثنى وسواسه[3] : قال : حدَّثنى حماد بن إسحاق : قال :

كان أبى يستحسنُ غناء جوارى الحارث بن بسخنّر ، ويعتمدُ على تعليمِهنّ لجواريه ، وكان إذا اضطربَ على واحدة منهنّ أو على غيرهن صوتٌ ، أو وقع فيه اختلاف ، اعتمدَ على الرجوع فيه إليهنّ - ولقد غنَّى مُخارِقٌ يوما بين يديه صوتا ، فتزايد فيه الزوائدُ التى كان ١٥ يستعملُها ، حتى اضطرب . فضحك أبى ، وقال : يا أبا المُهَنّأ ، قد ساء بعدى أدبُك فى غِنَائك فالزم عجائزَ الحارث بنِ بسخنّر يُقوِّمْنَ أَوَدَك .

---

(١) « القاطول : موضع على دجلة ، وفى ف : « مَتربع » .
(٢) المطيرة : قرية من نواحى سامراء ، وكانت من متنزهات بغداد .
(٣) اسمه : محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلى .

٨٤
٢٠

صــــوت

بنانُ يدٍ تُشـير إلى بَنانِ تجاوبتَــا وما يتكلّمانِ
جرى الإيماء بينَهما رَسولاً فأحكم وحْيَه المتناجيـانِ
فلو أبصرتَه لغضضْتَ طَرْفاً عن المُتناجِيَيْن بلا لسانِ

الشعر لِماني[1] المُوَسْوِس ، والغِناء لعُمر المَيْدانى هَزَج ، وفيه لعَريب لحَنٌ من ٥
الهَزَج أيضا .

(١) ب : « لمان » .

أخبار مانى الموسوس

هو رجلٌ من أهلِ مِصر ، يكنى أبا الحسن واسمه محمدُ بنُ القاسم[1] ، شاعر ليّن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا فى الغزل ، ومانى لقب غَلَب عليه ، وكان قدم مدينةَ السلام ، ولقيه جماعةٌ من شيوخنا ، منهم أبو العباس محمد بن عمّار وأبو الحسن الأسدىّ وغيرهما ، فحدّثنى أبو العباس بن عمار ، قالَ :

كان مانى يألفُنى ، وكان مليحَ الإنشاد حلوه ، رقيقَ الشعر غزَلَه ، فكان يُنشدنى الشىء ، ثم يُخالَط ، فيقطعُه ، وكان يوما جالساً إلى جنبى ، فأنشدنى للعُريان[2] البصرىّ :

ما أنصفتْك العُيونُ لم تَـكِفِ ... وقد رأيتَ الحبيبَ لم يَقِفِ

فابكِ دياراً حَلَّ الحبيبُ بها ... فَبَاعَ منْها الجفَـــاء باللُّطَفِ

يعارض العريان

ثم استعارتْ مسامعاً كَمد الا ... ومُ عليها من عاشِقٍ كَلِفِ

كأنهـــا إذْ تقنّعَتْ بِبِلًى ... شمطاء ما تستقلُّ من خَرَفِ

ياعينُ إمّا أُرِيتِنِي سَــكَنًا ... غضبانَ يَزوِى بوجهٍ مُنصرِفِ[3]

فمثّلِيـــه للقلبِ مُبتسمـــا ... فى شَخص راضٍ علىَّ مُنعطِفِ

إن تَصفيــــه للقلب مُنقبضاً ... فأنتِ أشـقَى منـه به فَصِفِى[4]

يُقال بالصّـبرِ قتلُ ذى كَلَفِ ... كيف وصبرى يموت من كَلَفى

إذا دعا الشـوقُ عَبرَةَ لِهوًى ... فأىّ جَفْنٍ يقول لا تَـكِفِى[5]

(١) فى هج : « محمد بن الهيثم »

(٢) فى ف ، هج : « الهذيل » .

(٣) السكن : الحبيب .

(٤) ب : « فصف » خطأ .

(٥) فى ف : « فأى دمع » . بدل « فأى جفن »

ومُسْتَرادٍ لِلَّهْوِ تنفسح الـ ـمُنْيَةُ فى حافتيه مؤتلف(١)

قَصَرْتُ أيامَه على نَفَرٍ لا مُنُنٍ بالنَّدى ولا أُسُفِ(٢)

بحيث إن شئتَ أن ترى قمراً يسعى عليهم بالكأس ذا نُطَفِ(٣)

قال: فسألته أن يمليها علىَّ، ففعل، ثم قال: اكتب، فعارضه أبو الحسن المصرى: يعنى «مانى» نفسَه فقال:

٥

أقفرَ مَغْنى الديار بالنَّجَفِ وحُلْت عما عهدتُ من لَطَفِ

طويتُ عنها الرضا مذمَّمةً لمّا انطوى غضُّ عيشِها الأُنُفِ

حَلتُ عن سَكرة الصَّبابة من خوفِ إلهى بمعزلٍ قُذُفِ(٤)

سئِمتُ وِرْدَ الصِّبا فقد يَئِستْ منى بناتُ الخدور والخَزَفِ(٥)

سلوتُ عن نُهَّدٍ نُسِبْن إلى حسنِ قَوامٍ واللحظ فى وَطَفِ(٦)

١٠

يمددنَ حَبل الصِّبا لمن أَلِفَتْ رجلاه قِدَّ المُحول والدَّنَفِ(٧)

ومُدنَفٍ عادَ فى النحول من الوَجْـد إلى مثلِ رِقَّة الألِفِ(٨)

يشاركُ الطيرَ فى النَّحيب ولا يَشركْنَه فى النُّحول والقَضَفِ(٩)

٨٥
٢٠

---

(١) فى ف، حـ «مؤتنف».

(٢) فى س، ب «لامعتن» بدل «لامنن» وهى جمع منون أو منين.

(٣) نطف: جمع نطفة وهى القليل من الماء فيها.

(٤) فى س، ب «بمعرك» بدل «بمعزل».

(٥) الخزف: التبختر وهو هز البدن باليدين، وفعله خزف: مشى يخطر بيديه.

(٦) الوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين.

(٧) فى س، ب، هج: «المجون» بدل «النحول».

(٨) فى ب: «دقة» بدل «رقة»

(٩) القضف: النحافة.

١٥

٢٠

ومُسمِعات نَهكْنَ أعظُمَهُ فهو من الصيم غيرُ منتصِفِ
مفتخرات بالجوْر عُجْباً كما يفخر أهلُ السّفاه بالجَنَفِ[1]
وقهوةٍ من نِتاج قُطْرَبُّلٍ تخطف عقلَ الفتى بلا عُنُفِ
ترجِعُ شَرخَ الشباب للخَرِفِ الـفانى وتُدنى الفتى من الشَّغَفِ

يصفع المؤذن

٥ قال : فبينا هو يُنشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذى كنّا بإزائه قد صَعِد المئذنة ليؤذن فأمسك عن الإنشاد ، ونظر إليه — وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت — فأذّن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتَعِش ، فصعِدَ إليه مانى مُسرعاً ، حتى صار معه فى رأس الصَّوْمَعة ، ثم أخذ بلحيته ، فصفَعَه فى صَلْعته صفعةً ظننتُ أنَّه قد قلع رأسَه ، وجاءلها صوتٌ منكَرٌ شديد ، ثم قال له : إذا صَعِدت المنارَة لتؤذِّن ، فَعطْعِط[2] ، ولا تُمَطْمِط[3] ، ثم نزل
١٠ ومضَى يعدُو على وجهه . ولقيتُ عنتاً منَ عَتْب[4] الشيخ وشكواه إياى إلى أبى ومشايخ الجيران ، يقول لهم : هذا ابن عمّار يجىء بالمجانين ، فيكتُبُ هَذَيانَهم ، ويسلِّطهم على المشايخ فيصفَعونهم فى الصوامع إذا أذَّنوا ، حتى صرتُ إلى منزله ، فاعتذرت وحلفت أنى إنما أكتب شيئاً من شعره ، وما عرفت ماعَمِله ولا أُحيطُ به علماً .

الجارية تغنى وهو يضيف

ونسخت من كتاب لابن البَرَاء : حدَّثنى أبى قال : عزم محمد بنُ عبد الله بن
١٥ طاهر على الصَّبوح ، وعنده الحسنُ بن محمد بن طالوت ، فقال : (٥له محمد : كنا نحتاج أن يكون معنا ثالثٌ نأنسُ به ونلذُّ فى مجاورته فمن ترى أن يكونَ ! فقال ابنُ طالوت٥) : لقد خَطَرَ ببالى رجل ليسَ علينا فى منادمته ثِقَل ، قد خلا من إبرام المجالسين ، وبَرِئ من

(١) فى ف : « مفتخرات بجورهن كما » .
(٢) عطعط : أى تابع الأصوات .
٢٠ (٣) تمطمط : أى لا تتوان فى الكلام ، أى الأذان هنا .
(٤) فى س . ب « عنت » .
(٥–٥) ما بين القوسين زيادة فى ف .

ثِقَل المؤانسين ، خفيفَ الوطأة إذا أدنيتَه ، سريع الوثبة إذا أمرتَه ، قال : مَن هو ؟ قال : مَانى الموَسْوِس ، قال: ماأسأتَ الاختيار ، ثم تقدّم إلى صاحب الشُّرطةِ يطلبة وإحضاره ، فما كان بأسرعَ من أن قبض عليه صاحبُ الشرطة[1] بربع الكَرْخ فَوافى به بابَ محمد ابن عبد الله ، فأُدخل ، ونُظِّف ، وأُخِذ من شَعْره ، وأُلبس ثِياباً نِظافاً ، وأُدخل على محمد ابن عبد الله ، فلما مَثَل بين يديه سلّم ، فردَّ عليه ، وقال له : أما حان لك أن تزورَنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له مانى : أعزّ اللهُ الأميرَ : الشوق شديد ، والوُدُّ عَتيد ، والحجابُ صعب ، والبواب فَظٌّ ، ولو تسهّل لنا الإذنُ لسهُلتْ علينا الزيارة ، فقال له محمد : لقد لطُفتَ فى الاستئذان ، وأمره بالجلوس . فجلس ، وقد كان أُطعِم قبل أن يدخل ، فأتى محمد بن عبدالله بجارية لأحدى بنات المَهدىّ ، يقال لها : مَنُوسة ، وكان يحبّ السماعَ منها ، وكانت تُكثِر أن تكونَ عنده ، فكان أول ماغنّتْه :

ولستُ بناسٍ إذ غدوا فتحمّلوا ... دُموعى على الخدّينِ من شدّة الوجْدِ

وقولى وقد زالتْ بعينى حُمولُهمْ ... بواكرُ تُحدَى لايكنْ آخرَ العهدِ[2]

فقال مانى : أيأذَنُ لى الأمير ؟ قال : فى ماذا ؟ قال : فى استحسان ما أسمع ، قال : نعم ، قال : أحسنْتِ والله ، فإن رأيتِ أن تزيدى مع هذا الشعر هذين البيتين :

وقمتُ أدارى الدمعَ والقلبُ حائرٌ ... بمقلةِ موقوفٍ على الضُّرِّ والجَهْدِ[3]

ولم يُعدِنى هذا الأميرُ بعـدْله ... على ظالمٍ قد لجّ فى الهَجر والصَّدِّ

فقال له محمد : ومن أىّ شىء استعديتَ يامانى ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظلمٍ أيها الأمير ، ولكن الطَّربَ حرّك شوقاً كان كامناً ، فظهر . ثم غنّتْ :

(١) فى س ، ب : صاحب ربع الكرخ .
(٢) فى ف « بوادر» بدل « بواكر » .
(٣) فى ا «أناجى» وفى هج س ، ب « أفاجى» بدل « أدارى» .

حَجبوها عن الرياح لأنى قلت : يا ريحُ بلِّغيها السّلامَا
لو رضُوا بالحجاب هان ولكنْ منعوها يوم الرياح الكَلامَا

قال : فطرِب محمد ، ودعا برِطل فشربه فقال مانى : ما كان على قائل هذين البيتين لو أضاف إليهما هذين البيتين :

فتنفّستُ ثم قلتُ لطَيفى : ويكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما
حَيِّها بالسلام سرًّا وإلاّ منعوها لشِقْوَتى أن تَناما

فقال محمد : أحسنت يامانى ، ثم غنّتْ :

ياخليلىّ ساعةً لا ترِيما وعَلى ذى صبابةٍ فأَقيما
مامررْنا بقصرِ زينَبَ إلا فضحَ الدمعُ سِرَّكَ المكتُوما

قال مانى : لولا رهبةُ الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يَردان على سمع سامع ذى لُبّ فيصدران إلا عن استحسانٍ لهما ، فقال محمد : الرغبةُ فى حُسْن ماتأتى به حائلةٌ عن كلّ رهبة ، فهاتِ ماعندكَ ، فقال :

ظَبيةٌ كالهلال لو تلحظ الصخْـ ـرَ بطَرفٍ لغادَرتْه هَشيما
وإذا ما تبسّمتْ خِلتَ مايبـ ـدُو من الثّغر لؤلؤاً مَنظوما

مختار الشعر يكسبه طيبا

فقال محمد : إن أحسنَ الشعر ما دام الإنسان يشرَبُ ما كان مكسوًّا لحنًا حسنًا تُغنّى به مَنُوسة وأشباهها ، فإن كسيتَ[1] شعرك من الألحان مثلَ ماغنّتْ قبلَه طاب ، فقال : ذلك إليها.

يصف منوسة

فقال له ابن طالوت : يا أبا الحُسَين[2] ، كيف هى عندكَ فى حسنها وجمالها وغِنائها

(١) لعلها تحريف فإن « أكسبت » شعرك ... الخ .

(٢) فى ف : « الحسن » .

وأدبها؟ قال. هى غاية يَنتهى إليها الوصفُ ، ثم يقِف، قال: قل فى ذلك شعرًا،
فقال:

وكيفَ صبرُ النفس عن غادةٍ تَظلِمُها إن قلتَ طاووسَهْ
وجُرتَ إن شبّهتَها بانةً فى جنّةِ الفردوس مَغروسَهْ
وغيرُ عدلٍ إن عَدَلْنا بها لؤلؤةً فى البحْرِ مَنفُوسَهْ[1] ٥
جلّتْ عن الوصفِ فما فِكرةٌ تلحَقُها بالنعتِ محسوسَهْ

فقال له ابنُ طالوت: وجب شكرُك يامانى ، فساعدَك دهرُك ، وعطف عليك إلفُك ،
ونلتَ سرورَك ، وفارقتَ محذورَك ، والله يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع شملُنا ،
وطاب يومُنا .

إذا زرت فخفف — ١٠

فقال مانى:

مُدْمِنُ التخفيف مَوصولُ ومُطيل اللّبثِ مَملولُ

فأنا أستودعُكمُ الله ، ثم قام فانصرف ، فأمر له محمد بن عبد الله بصِلة ، ثم كان
كثيراً مايبعث يطلبه إذا شَرِب ، فيبرُّه ، ويصلُه ، ويقيمُ عنده .

أخبرنى جعفر بن قُدامة ، قال: حدثنى المبرد ، قال:

يشبب بغلام — ١٥

حدثنى بعض الكتاب ممّن كان مانى يلزمه[2]، ويكثُرُ عنده ، قال: لقينى يوما مانى
بعد انقطاع طويل عنى، فقال: ماقطعنى عنك إلا أنى هائم ، قلت : بِمَنْ؟ قال بمن إن شئتَ
أن تراه الساعةَ رأيتَه فعذرْتَنى ، قلتُ: فأنامعك ، فمضى ، حتى وافى بابَ الطاق ، فأرانى

(١) منفوسة: يتنافس ويرغب فيها.
(٢) س ، ب: «يكرمه».

غُلاما جميلَ الوجه بين يدى بزّاز فى حانوته ، فلما رآه الغلام عدا ، فدخل الحانوتَ ، ووقف مانى طويلا ينتظره ، فلم يخرج ، فأنشأ يقول :

ذَنبى إليه خضوعى حين أبْصِرُه وطولُ شوقى إليه حينَ أذكُرُه

(١ وما جرحْتُ بطرف العَين مُهجَتَه إلا ومن كَبدى يقتصُّ مَحجرُه ١)

نفسِى على بُخله تَفديه من قمَرٍ وإن رمانى بذنبٍ ليسَ يغفِرُه

٥ وعاذلٍ باصطبارِ القلبِ يأمرُنى فقلتُ : من أينَ لى قلبٌ أُصبِّرُه (٢)

(٣ ومضَى يعدو ويصيح : الموتَ مخبوء فى الكتب ٣) .

(١-١) زيادة فى ف .

(٢) كذا فى ف وهى أنسب من رواية س ، ب : « صبر فأهجره » .

١٠ (٣-٣) زيادة فى ف .

صـــوت

وشادنٍ قلبى به مَعمودُ شِيمتُه الهِجرانُ والصُّدودُ
لا أسأمُ الحِرصَ ولا يجودُ والصبرُ عن رُؤيته مفقودُ
زُنّارُه فى خَصرِه مَعقودُ كأنه من كَبِدى مَقْدودُ

عروضه من الرجز ، والشِّعْرُ لبكر بن حارجة ، والغِناء للقاسم بن زُرْزُور، خفيف رَمَل ٥
بالوسطى .

أخبار بكر بن خارجة

كان وراقا

كان بكرُ بن خارجة، رجلًا من أهل الكوفة، مولًى لبنى أسد، وكان ورّاقاً ضيّقَ العيش، مقتصراً على التكسب من الوِرَاقة، وصرفَ أكثرَ ما يكسبه إلى النبيذ، وكان مُعاقراً للشُّرب فى منازل الخمّارين وحاناتهم، وكان طيّبَ الشّعر مليحاً مطبوعاً طَيِّباً ماجناً(١).

فذكر أبو العنبس الصَّيمرى أن محمد بن الحجاج حدَّثه قال:

يتعشق هدهدا

رأيتُ بكرَ بنَ خارجةَ يبكّر فى كل يوم بقِنّينتين من شراب إلى خراب من خراباتِ الحِيرة، فلا يزال يشربه فيه على صوت هُدْهُد كان يأوى إلى ذلك الخراب، إلى أن يَسْكر، ثم ينصرف، قال: وكان يتعشق ذلكَ الهُدْهُدَ.

وحدثنى عمى عن ابن مَهرَوَيه عن علىّ بن عبد الله بن سعد، قال:

كان بكرُ بنُ خارجة يتعشق غلاماً نصرانيًا، يقالُ له: عيسى بن البَرَاء العِبَادىّ الصَّيْرفى، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكُرُ فيها النصارى وشرائعهم وأعيادَهم، ويُسمِّى دياراتِهم، ويفضّلُهم.

دعبل يحسده على بيتين قالهما

قال: وحدثنى [من شَهِد دِعبِلا(٢)] وقد أنشدنى قوله فى عيسى بن البراء النصرانى العِبَادِى:

زُنّارُه فى خَصره معقودُ كأنه من كبِدِى مقدودُ

فقال دِعبِل: ما يعلمُ الله أنّى حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بَكراً على هذين البيتين.

---

(١) المراد أن من سجاياه عدم المبالاة.

(٢) زيادة فى ف وهج.

الجاحظ يكتب أبياتا له وهو قائم

وحدثنى عمى عن الكرانى ، قال : حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيعَ الخمر على خمارى الحيرة ، وركب فكسر نَبيذَهم ، فجاء بَكر يشربُ عندهم على عادته ، فرأى الخمرَ مصبوبة فى الرحاب والطرق ، فبكى طويلا ، وقال :

يالَقومى لِما جنَى السلطانُ لا يكونَنْ لما أهانَ الهوانُ[1]
قهوةٌ فى التراب من حَلَب الكَرْ مِ عُقَارا كأنّها الزعفرانُ
قهوة فى مكان سَوء لقد صا دف سعدَ السعود ذاكَ المكانُ[2]
من كُميتٍ يُبدى المِزاجُ لها لؤ لؤَ نظمٍ والفصلُ منها جُمانُ
فإذا ما اصطبحتُها صغُرت فى الـ ـقَدْر تختالُها هى الجرذانُ[3]
كيفَ صبرى عن بعضِ نفسى وهل يصْـ ـبرُ عن بعض نفسِه الإنسانُ !

قال : فأنشدتُها الجاحظ ، فقال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائمًا وما أقدر على ذلك إلا أن تَعْمِدنى ، وقد كان تقوّس ، فعمَدتُه ، فقام ، فكتبها قائمًا .

الخمر تفسد عقله

وقال محمد بن داود بن الجرّاح فى كتاب الشعراء : قال لى محمد بن الحجاج :

كانت الخمرُ قد أفسدتْ عقلَ بكر بن خارجة فى آخر عمره ، وكان يمدح ويهجو بدِرهم وبدِرهمين ونحو هذا فاطَّرِح ، وما رأيت قطّ أحفظَ منه لكلّ شىء حسن ، ولا أروَى منه للشعر .

قال : وأنشدنى بعضُ أصحابنا له فى حال فساد عقله :

هبْ لى فديتُك دِرهمًا أو دِرهمَينِ إلى الثلاثَهْ

(١) فى ف : « لمن » بدل « لما »
(٢) فى ف : « صبها فى مكان سوء » . بدل « قهوة فى مكان سوء » .
(٣) فى هج « صغرت فى القدر عندى من أجلها الخيزران » .

إنى أحبُّ بنى الطفيـ ـل ولا أحبُّ بَنِي عُلاثَه[١]

[٢]قال ابن الجراح حدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال :

حدثنى بعض أصحابنا الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبى يوسف القاضى وبتنا عنده ، فنمت فما أنبهنى إلا صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له : مالك ؟ فاشرب فالدار مليئة ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شىء ؟ قال : فى الدار كلب كبير ، فأخاف أن يظننى غزالا فيثب علىّ ويقطعنى ويأكلنى ، فقلت : له ويحك يا بكر ! فالحمير أشبه منك بالغزال ، قم فاشرب إن كنت عطشان وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب .

قال : وأنشدنى له ، وقد رأى صديقا له قرأ رقعه من صديق له آخر ثم حرقها :

لم يقو عندى على تحريق قرطاسى ... إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسى
إن القراطيس من قلبى بمنزلة ... تحويه كالسمع والعينين فى الرأس[٢]

ومما يغنّى فيه من شعر بكر بن خارجة :

---

(١) بنو الطفيل : يريد بهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الذى حدثت أشهر منافرة بينه وبين علقمة بن علاثة ، وهو يقصد التورية بكلمة الطفيل .

وبنو علاثة : يريد علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص وقد حكّما هرم بن قطبة بن سنان الفزارى وقال فى هذه المنافرة الأعشى يمدح عامرا ويهجو علقمة .

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر

(٢-٢) الزيادة عن ف

صــــوت

قلبى إلى ما ضرَّنى داعى يُكْثِر أحزانى وأوجاعى
لقَلَّ ما أبقَى على ما أرى يوشك أن ينعَانِيَ الناعى
كيفَ احتراسى من عدوِّى إذا كان عدوى بين أضلاعى ؟
أسلمنى الحبُّ وأشياعى لمَّا سعى بى عندها الساعى ٥
لمَّا دعانى حبُّها دعوةً قلت له : لبَّيْكِ من دَاعِ

الغناء لإبراهيم بن المهدى ثقيل أول ، وفيه لعبدِ الله بنِ العباس هَزَج ، جميعًا عن الهشامى ، وقيل : إن فيه لحنًا لابن جامع .

وقد ذكر الصولى فى أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن[1] هذه الأبيات للعباس ابن الأحنف ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح عن أبى هفّان أنها لبكر بن خارجة : ١٠

(١) ب : وشعزمانى

صـــوت

وَيلى على ساكن شَطِّ الصَّراهْ ... من وجنتيه شِمتُ برقَ الحياه[1]

ما ينقضى من عجب فِكْرَتى ... فى خَصلة فرّط فيها الوُلاهْ

تركُ المحبــينَ بلا حاكمٍ ... لم يقعدوا للعاشقين القُضاهْ[2]

الشعرُ لإسماعيل القراطيسى والغناء لعباس بنِ مَقام خفيف رَمَل بالوسطى .

الصراة : يطلق على نهرين ببغداد : الصراة الصغرى ، الصراة الكبرى بقرب بغداد على فرسخ منها .

(٢) « لم يقعدوا » ، فى ياقوت « لم يجلسوا » .

أخبار إسماعيل القراطيسى

كان مألفا للشعراء

هو إسماعيل بن مَعْمَر الكوفى ، مولى الأشاعثة ، وكان مألَفًا للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومُسلم وطبقتهم يقصدون منزلَه ويجتمعون عنده ، ويقصِفون ، ويدعو لهم القيانَ وغيرَهن من الغلمان ، ويساعدُهم .

وإياه يعنى أبو العتاهية بقوله :

لقد أمسَى القراطِيسى رئيسًا فى الكَشاخين[1]

وجهه فى المرآة

وفى هذه الأبيات التى فيها الغناء يقول القراطيسىّ :

٨٩ / ٢٠

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مقالها فى السر واسَوْأتاهْ

أمثلَ هذا يبتغِى وصلَنا أما يَرى ذا وجهَه فى المِراهْ !

وجه أبى العتاهية أيضا

أخبرنى ابنُ عمَّار عن ابن مَهرُويه ، عن علىّ بنِ عمران ، قال : قال القَراطيسى : قلت للعباس [بنِ الأحنف[2]] : هل قلتَ فى معنَى قولى :

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مقالها فى السرّ واسوأتاه ؟

قال : نعمْ ، وأنشدَنى :

جارية أعجبَها حسنُها فمثلُها فى الناس لم يُخلَقِ

خبَّرتُها أنى مُحِبٌ لهَا فأقبلتْ تضحكُ من منطق

والتفتت نحو فتاةٍ لها كالرشأ الوَسنانِ فى قُرطُقِ[3]

(١) الكشاخين : مفرده كشخان وهو « الديوث » الذى لايغار على حرمه .

(٢) زيادة فى ف .

(٣) قرطق : كجندب وقنفذ وجعفر ، وهو القباء ، معرب « كرته » ، ويقال قرقطته فتقرقط أى ألبسته القرطق فلبسه .

قالتْ لها : قُولى لهذا الفتَى : انظرْ إلى وجهكَ ثم اعشَقِ

أخبرنى الحسنُ بن مَهرُويه ، قال . حدثنى أحمد بن بِشر المَرْثدىّ ، قال : مدح إسماعيلُ القراطيسى الفضلَ بن الربيع[1] ، فحَرَمه فقال :

ألا قلْ للّذى لم يَهد ه اللهُ إلى نفعِ
لئن أُخطأتُ فى مدحيـ ـكَ ما أخْطأتَ فى منعى
لقد أُحللْتُ حاجاتى بوادٍ غير ذى زَرْع

أخبرنى محمدُ بن جعفر النحوىّ صهر المبرِّد عن أبى هفَّان عن الجمّاز ، قال :

اجتمع يوما أبو نواس وحُسينُ الخليع وأبو العَتاهية فى الحَمّام[2] وهم مخمورون ، فقالوا : أينَ نجتمع ؟ فقال القراطيسىّ :

ألَا قوموا بأجمعكم إلى بيتِ القَراطيسى
لقد هيّا لنا النُّزْلَ غلامٌ فارهٌ طُوسى
وقد هيّا الزُّجاجاتِ لنا من أرضِ بِلقيس
وألوانًا من الطيْرِ وألوانًا منَ العِيس
وقينات من الحُور كأمثالِ الطواويس
فنيكوهُنّ فى ذاكم وفى طاعة إبليس

(١) فى ف « المأمون » بدل « الربيع » .
(٢) فى هج « فى الحمام » بعد « وهم مخمورون » .

صـــوت

أبكى إذا غضبتْ حتى إذا رضيَتْ بكيتُ عند الرضا خوفًا من الغَضَبِ

فالويلُ إن رضِيتْ والعولُ إن غَضِبَتْ إن لم يتمّ الرضا فالقلب فى تَعَب

الشعر لأبى العِبَر الهاشمى ، أنشدَنيه الأخفش وغيرُه من أصحابنا ، وذكره له محمد بن داود بن الجرّاح ، والغناء لعُلَيَّة بنتِ المهدىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن الهِشامىّ .

أخبار أبي العبر ونسبه

اسمه ونسبه

هو أبو العباس محمد بنُ أحمد ، ويلقب حمدونا الحامض بن عُبَد الله بن عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس[١] بن عبد المطلب وكان صالح الشعر مطبوعًا يقول الشعرَ[١] المستوِى فى أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام ، إلى أن ولِىَ المتوكل الخلافة ، فترك الجِدّ ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به ، وقد نيّف على الخمسين ، ورأى أن شعره مع توسطه لا ينفُق مع مشاهدته أبا تمام الطائىّ والبحترىّ وأبا السمط بن أبى حفصة ونظراءهم .

٩٠ / ٢٠

شاعر هازل

حدثنى عم أبى عبد العزيز بن أحمد ، قال :

سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العِبَر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعُمِّر إلى خلافة المتوكل ، وكسب بالُحمق أضعافَ ما كسبه كلُّ شاعر كان فى عصره بالجِدّ ، ونَفَق نَفاقًا عظيماً ، وكسب فى أيام المتوكّل مالًا جليلاً ، وله فيه أشعارٌ جيدة ، يمدحه بها ، ويصف قصرَه وبرجَ الحمام والبِرْكة[٢] كثيرة المحالّ ، مُفرِطة السقوط ، لامعنى لذكرها ، سيما وقد شهرت فى الناس .

فحدّثنى محمد بن أبى الأزهر ، قال : حدّثنى الزبير بن بكّار ، قال: قال لى عمى : ويحك ! ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهَّر به نفسه وفضحَ عشيرته ! والله إنه لَعُرُّ بنى آدم جميعًا ، فضلا عن أهله والأدنَيْن[٣] ! أفلا يردَعه ويمنعه من سوء اختياره !

فقلت : إنه ليس بجاهل كما تعتقد[٤] ، وإنما يتجاهل ، وإن له لأدبًا صالحًا وشعراً طيِّبا ، ثم أَنشدتُه :

(١-١) تكملة من هج .
(٢) يقتضى السياق زيادة كلمة « وأخرى » بعد قوله « والبركة » .
(٣) فى س ، ب « والأدبين » .
(٤) ف : «كما تقدر»

لا أقول اللهُ يظلمنى كيف أشكو غيرَ متّهمِ !
وإذا ما الدّهرُ ضعضعنى لم تجدْنى كافرَ النِّعمِ
قنِعتْ نفسى بما رُزِقتْ وتناهتْ فى العلا هِمَمى
ليس لى مالٌ سوى كرَمى وبه أمْنِى من العَدَمِ

فقال لى : ويْحكَ ! فلِمَ لايلزَمُ هذا وشبهه ؟ فقلت له : والله ياعم لو رأيتَ مايصل إليه بهذه الحماقات لعذرتَه ، فإن ما استملحتَ له لم يَنفُق به ، فقال عمى — وقد غضب — أنا لا أعذره فى هذا ولو حازَ به الدّنيا بأسرها ، لاعذرنى اللهُ إن عذرتُه إذَن !

وحدثنى مُدرِك بن محمد الشيبانى ، قال : حدثنى أبو العنبس الصيمرى ، قال :

قلتُ لأبى العِبَر ونحن فى دار المتوكل : ويحك ! أيشٍ يحملُك على هذا السُّخف الذى قد ملأتَ به الأرض خُطبًا وشعرًا[1] وأنت أديب ظَريف مليحُ الشعر ؟ فقال لى : ياكشخانُ ، أتريدأن أ كسد أنا وتنفق أنت ؟ أنت أيضًا شاعرفَهِمٌ متكلِّم فلم تركتَ العلم، وصنعت فى الرقاعة نيفًا وثلاثين كتابًا ، أحبُّ أن تخبرنى لو نفق العقلُ أ كنتَ تُقدَّم علىّ البُحترى ، وقد قال فى الخليفة بالأمس :

جِدٌّ فى الهزل لا فى الجِد

. عن أى ثَغرٍ تبتسم وبأىّ طَرف تحتكم !

فلما خرجتَ أنتَ عليه وقلت :

فى أى سَلْح ترتطِمْ وبأىّ كف تلتطمْ
أدخلتَ رأسَكَ فى الرَّحِم وعلمتَ أنك تَنهزِم

فأُعطيتَ الجائزة وحُرِم ، وقُرِّبتَ وأبعد ، فى حِرِ أمّكَ وحِرِ أمّ كل عاقل معك! فتركتُه ، وانصرفت .

(١) ف : « شعراً وقصصا وخطبا »

أردأ الشعر أوسطه

قال مدرك : ثم قال لى أبو العَنْبَس : قد بلغنى أنك تقول الشعر ، فإن قدرتَ أن تقوله جيّداً ، جيداً ؟ وإلا فليكن بارداً ، بارداً ، مثلَ شعر أبى العِبَر وإياك والفاتر فإنه صفعٌ كلُّه .

مذهبان متناقضان

حدثنى جعفر بن قُدامة ، قال : حدثنى أبو العيناء ، قال : أنشدتُ أبا العِبر :

٩١ / ٢٠

ما الحبُّ إلا قُبلَة ... أو غمزُ كفٍّ وعَضُدْ
أو كُتُبٌ فيها رُقًى ... أنفذُ من نَفْث العُقَدْ
مَن لم يكن ذا حُبّه ... فإنما يبغِى الولَدْ
ما لحبُّ إلا هكذا ... إن نُكِح الحبُّ فسَدْ

فقال لى : كذب المأبونُ : وأكل من خَراى رِطلين ورُبما بالميزان ، فقد أخطأ وأساء ، ألا قال كما قلتُ :

باضَ الحبُّ فى قلبى ... فواويلى إذا فرّخْ
وما ينفعُنى حُبّى ... إذا لم أكنس البرْبَخْ
وإن لم يطرح الأصلَـ ... ـعُ خُرجيه عَلَى المَطْبَخْ

ثم قال : كيف ترى ؟ قلتُ : عجباً من العَجب ، قال : ظننت أنك تقول : لا ، فأبلٌ يدى وأرفعها . ثم سكت ، فبادرتُ ، وانصرفتُ خوفاً من شرِّه .

حدثنى عبد العزيز بن أحمد عم أبى ، قال :

أين يهبط عليه الوحى

كان أبو العِبر يجلس بسُرَّ مَن رأى فى مجلس يجتمع عليه فيه المُجّان يكتبون عنه ، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلّاعة فيها ماء وحَمْأة ، وقد سُدَّ مَجراها ، وبين يديه قصبةٌ طويلة ، وعلى رأسه خُفٌّ ، وفى رجليه قَلَنْسِيتان ، ومُستمليه فى جوف بِئْر ،

وحوله ثلاثةُ نفرٍ يدُقُّون بالهواوين ، حتى تكثر الجَلَبَةُ ، ويقلّ السماع ، ويَصيح مُستمليه من جوف البئر من يكتب [(١)] ، عذّبك الله ، ثم يملى عليهم ، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبُّوا على رأسه من ماء البلاّعة إن كان وضيعاً ، وإن كان ذا مُروءة رشّش عليه بالقصبةِ من مائها ، ثم يحبس فى الكنيف إلى أن ينفضّ المجلسُ ، ولا يخرج منه حتى يغرم دِرْهمين . قال : وكانت كنيتُهُ أبا العباس ، فصيرها أبا العِبر ، ثم كان يزيد فيها فى كل سنة حرفاً ، حتى مات ، وهى أبو العِبر طرد طيل طليرى بك بك بك .

ماذا يصنع بالسمكة

حدثنى جحظةُ ، قال : رأيت أبا العبر بسُرّ من رأى ، وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لايكلّمُهُ ، فقال له بعض إخوانه : لِمَ هجرتَ ابنك ؟ قال : فضحنى — كما تعلمون — بما يفعلُه بنفسه ، ثم لايرضى بذلك ، حتى يُهَجِّنَنى ويُؤذينى ، ويُضحك الناسَ منى ، فقالوا له : وأىّ شىء من ذاك ؟ وبماذا هجّنك ؟ قال : اجتاز علىّ منذ أيام ومعه سُلَّمٌ ، فقلت له : ولأىّ شىء هذا معك ؟ فقال : لا أقول لك ، فأخجلنى ، وأضحك بى كل من كان عندى ، فلما أن كان بعد أيام اجتاز بى ومعه سَمَكة ، فقلت له : إيشٍ تعمل بهذه ؟ فقال : أنيكُها ، فحلفتُ لا أكلّمهُ أبداً .

أخبرنى عم أبى عبد العزيز ، قال :

مذهبه فى الكتابة

سمعتُ رجلًا سأل أبا العِبَر عن هذه المُحالات التى لايُتكلّم بها : أىُّ شىء أصلها ؟ قال : أُبكِّر ، فأجلِسُ على الجسر ، ومعى دواة ودَرْج [(٢)] ، فأكتب كلّ شىء أسمعُه من كلام الذاهب والجائى والملاّحين والمُكارين ، حتى أملأ الدَّرج من الوجهين ، ثم أقطعه عَرضاً وطولا وألصقه مخالفاً ، فيجىء منه كلام ليس فى الدنيا أحمقُ منه .

مذهبه فى الصيد

أخبرنى عمى [(٣)] ، قال : رأيت أبا العِبَر واقفاً على بعض آجام سُرّ من رأى ، وبيده

(١) فى ف : « من نسيت »
(٢) الدرج : ما يكتب فيه .
(٣) « عمى » : لعلها عم أبى .

اليسرى قوس جُلاهق[١] ، وعلى يده اليمنى باشق ، وعلى رأسه قطعة رِئة فى حبل مشدود بأنشوطة ، وهو عُريان ، فى أيره شعر مفتول مشدود فيه شِصّ قد ألقاه فى الماء للسّمك ، وعلى شفته دُوشاب[٢] مُلطّخ ، فقلت له : خَرِب بيتُك ، أيش هذا العمل ؟ فقال : أصطادُ يا كَشخان يا أحمقُ بجميع جوارحى ، إذا مرّ بى طائر رميته عن القوس ، وإن سقط قريباً منى أرسلتُ إليه الباشَق ، والرئة التى على رأسى يجىء الحِدَأُ ليأخذها فيقع فى الوَهَق[٣] والدُّوشاب أصطاد به الذُّبابَ ، وأجعله فى الشِّص ، فيطلبه السمك ، ويقع فيه ، والشصّ فى أيرى ، فإذا مرّتْ به السمكة أحسستُ بها ، فأخرجتُها .

قال : وكان المتوكل يَرمِى به فى المنْجَنيق إلى الماء ، وعليه قميصُ حرير ، فإذا علا فى الهواء صاح : الطريقَ الطريقَ ، ثم يقع فى الماء ، فتخرجه السُّبّاح ، قال : وكان المتوكل يُجلسه على الزّلاّقة ، فينحدرُ فيها ، حتى يقع فى البِركة ، ثم يطرح الشبكة ، فيُخرجه كما يُخرج السمك ، ففى ذلك يقول فى بعض حماقاته :

ويأمـــر بى المَـــلِكْ فيطرحُنى فى الـــبِرَكْ
ويصـــطادُنِى بالشّـــبَكْ كأنى من السّـــمكْ
(٤)ويضحك كك كك ككك ككك كك ككك كك ككك(٤)

عبثه مع إسحاق

وحدّثنى جعفر بن قدامة ، قال :

قدم أبو العِبَر بغداد فى أيام المستعين ، وجلس للناس ، فبعث إسحاقُ بن إبراهيم ، فأخذه ، وحبسه ، فصاح فى الحبْس ، لى نصيحة ، فأُخرِج ، ودعا به إسحاق ، فقال : هات نصيحتَك ، قال : على أن تؤمّنَنى ؟ قال : نَعَم ، قال : الكَشْكية — أصلحك الله —

---

(١) جلاهق : بندق يرمى به .
(٢) دوشاب : عصير عنب .
(٣) الوهق : حبل يرمى به فى أنشوطة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان ، وجمعه : أوهاق .
(٤–٤) زيادة فى ف .

لا تَطيب إلا بالكشك، فضحك إسحاق وقال: هو — فيما أرى — مجنون، فقال: لا، هو امخطحوت[١]، قال: أيش هو امنخط حوت؟ ففهم مافاله، وتبسم ثم قال: أظنّ أنّ فيك مأثوم، قال: لا، ولكنك فى ماء بَصل[٢]، فقال: أخرجوه عنى إلى لعنة الله، ولا يقيم ببغداد، فأردّه إلى الحبس، فعاد إلى سُرّ من رأى.

ولّه أشعار مِلاح فى الجِدّ، منها ما أنشدَنيه الأحفش له يخاطب غلاماً أمردَ:

من شعره فى غلام

أيها الأمردُ المولّع بالهجـــر أفق ما كذا سبيلُ الرشادِ
فكأنى بحُسن وجهكَ قد ألــبس فى عارضيْك ثوبَ حِداد
وكأنّى بعاشقيك وقد بُدّلْــتَ فيهم من خُلطة بِبِعادِ
حين تنبو العيونُ عنكَ كما ينقبــض السّمعُ عن حديثٍ مُعادِ
فاغتنم قبل أن تصيرَ إلى كا ن وتُضحِى فى جُملة الأضْدادِ

وأنشدنى محمد بن داود بن الجرّاح له، وفيه رَمَلٌ طُنبورى محدَث أظنُّه لجحظةَ.

صــوت

من غزله المستملح

داء دفينٌ وهوًى بادى أظلِم فَجازيك بمِرصَاد
يا واحدَ الأمة فى حُسنه أشمتَ بى صدُّك حُسّادى[٣]
قد كدتُ مما نال منّى الهوى أخْفَى على أعين عُوّادى
عبدُكَ يُحْيي موتَه قُبلةٌ تجعلها خاتمةَ الزّاد[٤]

(١) قسم كلمة مجنون إلى كلمتين: جعل بدل «مج» «أمتخط» وبدل «نون» «حوت».
(٢) قسم كلمة مأثوم إلى قسمين «ماء»، «ثوم» وجعل بدلها «ماء بصل».
(٣) فى ف «يا_احد العالم».
(٤) فى ف هج «نفسه» بدل «موته».

الحماقة أنفق

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه ، قال : حدّثني أحمد ابن عليّ الأنباري : قال :

كنا يومًا في مجلس يزيد بن محمد المهلّبي بسُرَّ من رأى ، فجرى ذكر أبي العِبر ، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطَه ، فقلت ليزيد : كيف كان عندك ، فقد رأيته ؟ فقال :

٥ ما كان إلّا أديبًا فاضلاً ، ولكنه رأى الحماقةَ أنفقَ وأنفعَ له ، فتحامق .

فقلت له : أنشدُك أبياتًا له أنشدَنيها ، فانظر لو أراد دِعبِل — فإنه أهجى أهل زماننا — أن يقول في معناها ماقدر على أن يزيدَ على ماقال ، قال: أنشِدْنيها ، فأنشدته قوله :

٩٣ / ٢٠

يهجو قاضيين أعورين

رأيتُ من العجائبِ قاضيَيْن ... هما أُحدوثةٌ في الخافقَيْن

١٠ هما اقتسما العمى نصفين فَذًّا ... كما اقتسما قضاء الجانبَيْن[1]

هما فألُ الزمان بِهُلك يَحيى ... إذا افتُتح القضاء بأعورَيْن[2]

وتحسب منهما من هزَّ رأسا ... لينظر في مواريثٍ ودَيْن

كأنك قد جعلتَ عليه دَنًّا ... فتحت بزالَه من فَردِ عَيْن[3]

فجعل يضحكُ من قوله ، ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

نصيحة

١٥ أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدثنا محمد بن مَهرويه : قال : حدثني ابن أبي أحمد ، قال : قال لي أبو العِبر : إذا حدّثك إنسان بحديث لا تشتهي أن تسمعَه فاشتغل عنه بنَتْف إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنتَ في عمل .

(١) فذا : فردا ، وفي هج «قدا» بمعنى : مناصفة .

٢٠ (٢) في ف « افتتح» وفي س ، ب «فتح» . والقاضيان– كما في هج – هما : حيان بن بشر ، وسوار بن عبد الله ، ولاهما يحيى بن أكثم .

(٣) البزال : موضع ثقب الدن والحديدة التي يفتح بها ، وبزال ككتاب .

بغضه لعلى قتله

وقال محمد بن داود : حدثنى أبو عبد الله الدوادى ، قال :

كان أبو العِبر شديدَ البغضِ لعلىّ بن أبى طالب — صلوات الله عليه — وله العلويين هجاء قبيح ، وكان سببَ ميتته أنه خرج إلى الكوفة ليرمِىَ بالبُنْدق مع الرم من أهلها فى آجامهم ، فسمِعه بعض الكوفيين يقول فى على — صلوات الله عليه - قولاً قبيحًا استحلّ به دمَه ، فقتله فى بعض الآجام ، وغرّقه فيها .

صـــوت [1]

لقد طال عهدى بالإمام محمدٍ   وما كنت أخشى أن يَطولَ به عهدى
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ ودارى قريبةٌ   فواعجبا من قُرب دارى ومن بُعدى !
فياليت أنّ العِيدَ لى عادَ مرّةً   فإنى رأيت العِيدَ وجهَك لى يُبْدِى
رأيتُـــك فى بُرْدِ النبىّ محمـــد   كبدر الدُّجَى بين العِمامة والبُرد

الشعر لمروان بن أبى حفصة الأصفر ، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر .

(١) سبق هذا الصوت فى الجزء الثانى عشر : ٧٩ من الأغانى ط دار الكتب ، ٧٢ ط بيروت وجاءت بعده « أخبار مروان الأصغر » وهى غير الواردة هنا فيما عدا خبرين فى روايتهما بعض اختلاف .

أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

كنيته

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . قد تقدّم خبره ونسبه ، ويكنى مروان الأصغر أبا السّمط ، وكان يتشبّه بجدّه فى شعره ، ويمدح المتوكل ، ويتقربُ إليه بهجاء آل أبي طالب ، فتمكّن منه وقَرُب إليه[1] ، وكسب معه مالا كثيراً ، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنّب مذهبَ أبيه فى كل أمر ، فطرده وحلف ألاّ يدخل إليه أبداً لما كان يسمعه منه فى أمير المؤمنين علىٍّ رضى الله عنه .

كان يتقرب الى المتوكل بهجاء آل أبي طالب

فأخبرنى محمد بن عمران الصيرفى وعمّى قالا : حدثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن آدم العَبدىّ قال :

دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله :

سلام على جُملٍ وهيهات من جُملِ ... وياحبّذا جُملٌ وإن صرمت حَبْلى

وهى من مشهور شعره ، وفيها يقول :

أبوكم علىٌّ كان أفضلَ منكمُ ... أباه ذوُو الشورى وكانوا ذَوِى عَدْلِ

وساء رسولَ الله إذ ساء بنتَه ... بخِطْبته بنتَ اللعينِ أبى جهل

أراد علىٌّ بنت النبىّ تزوُّجاً ... ببنت عدو الله ، يالك من فِعْل !

فذمّ رسولُ الله صِهرَ أبيكمُ ... على منبر الإسلام بالنطق الفَصلِ[2]

وحكّم فيها حاكمَيْنِ أبوكمُ ... هما خلعاه خلعَ ذى النّعل للنّعل

(١) هج « : متمكن عنده وقرب منه »

(٢) فى المختار « على منبر بالمنطق الصادق الفصل » .

وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه فقد أبطلا دعواكما الرَّثَّةَ الحبلِ
وخلَّيتُموها وهْىَ فى غير أهلها وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأهل

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم .

وقال محمد بن داود بن الجرّاح[1] : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنى أبو هاشم
٥ الجُبَّائى ، قال :

دخل أبو السِّمط على المتوكل فأنشده قوله :

الصِّهرُ ليس بوارثٍ والبنت لا ترِثُ الإمامهْ
لو كان حقكُمُ لهمْ قامت على الناس القيامهْ
أصبحت بين مُحبِّكمْ والمبغِضين لكم عَلامهْ

١٠ فحشَا المتوكّلُ فمه بجوهر لا يُدْرَى ما قيمته .

وحدثنى أحمدُ بنُ جعفر جَحْظة قال : أنشد أبو السِّمط المتوكل قوله :

إنى نَزلتُ بساحة المتوكلِ ونزلتُ فى أقصى دِيارِ الموْصِلِ

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول ؟

نقد أبو العنبس الصيمرى شعرا له فتها برا

فقال أبو العَنْبس الصَّيْمرىّ : كانت له طيورٌ هُدًى[2] تحمل إليها كتبه . فضحك
٢٠ المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصَّيْمرى ولم يعط أبا السِّمط شيئاً ، فماتا متهاجرين[3] .

---

(١) هج «محمد بن داود الجراح» .
(٢) الأغانى ١٢ : ٨٦ : «كان له حمام هدى» وجاء فى الهامش : الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرب على السفر من مكان إلى مكان فيرسل من أمكنة بعيدة فيذهب إلى حيث يراد منه أن يذهب ،
٢٥ الواحد هاد ، والجمع : هدى هداء .
(٣) سبق الخبر فى الجزء الثانى عشر : ٨٦ مع اختلاف فى الرواية

مدح المتوكل وولاة عهده فوهبه مالا وثيابا

أخبرنى عمى والحسن بن على قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدّثنا حمّاد بن أحمد البتىّ قال : أخبرنى أبو السّمط مروان بن أبى الجنوب قال : لما صرتُ إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك فى قولى :

سقَى الله نجداً والسّلامُ على نجدِ ويا حبذا نجدٌ على النّأىِ والبعدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغــــدادُ دونها لعلّى أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
بلادٌ بهــــا قوم هَواهُمْ زِيارتى ولا شىء أشهى من زيارتهم عندى

فلما استتْممتُها[١] أمر لى بمائة ألف درهم وخمسين ثوبا من خاص ثيابه .

بين المتوكل وخالد بن يزيد الكاتب

أخبرنى علىّ بن أبى العباس بن أبى طلحة قال : حدثنى إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال :

حدثنى خالد بن يزيد الكاتب قال : دعانى المتوكل ليلة وقد غنّى بين يديه عمر الطنبورى فى قولى :

يا مقلتىّ قتلتمانى فبقيتُ رحمةَ مَنْ يرانِى
مَنْ ذا ألوم وأنتما بيدِ الهوى أسلمتُمانِى

قال : ولم يغنِّه البيت الثالث ، وهو :

لعبت بنا أيدى الخطو ب وغالنا رَيبُ الزمان

كراهةَ أن يَتطيّر منه ، فجعل ينظر إلىّ وأنا واقف ، ثم قال لى : ويلك يا خالد ، تهرب منا ونحنُ نطلبك ، وأنت فى غيابات صبواتك وغزَلك . ياغلام اسقِه ثلاثة أقداح

(١) المختار : « فلما فرغت منها أمر لى بمائة وعشرين ألف درهم ، وخمسين ثوبا ، وثلاثة من الظهر : فرس ، وبغلة ، وحمار » ، وانظر الأغانى الجزء ١٢ : ٨١ ط دار الكتب فللخبر بقية .

فى القدح المُبْرم — وهو الذى لا قرار له ؛ فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه مِنْ يَدِه — فقلت :

سيدى لا تَسْقِنِى أكثر من رِطْل نبيذِ
إنَّ شُرْبى للّذى يؤلمنى غير لذيذِ

فقال : ياغلام ، إن لم يشرب فاصفعه ، فقلت :

سيدى حوصلتى ضَيِّقَةٌ عن شرب رطل
فمتى زدتُ عليه خفت أن يذهب عقلى

فقال الفتح : هو كما قال يا سيّدى لا يُطيق الشرْب .

وحضر ابن أبى حفصة ، فقال لنا المتوكل : قولا على البديهة ، فقلت له :

هو يا سيدى شيخ الشعراء ومادحُك ، وآباؤه مُدّاح آبائك ، فأنشأ يقول :

يا ليت [لى] ألفَ عينٍ عيناى لا تكفيان

فقلت له : سَخُنت عينك ، أنا لى عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة ، أقول :

يا عين أنت بليتى فأراحنى الرحمن منك

وأنت تتمنى ألفَ عين . ثم قال لى المتوكل : اهجُه ، فقلت : إنّ الرجل لم يعرِض لى ، فأقبل هو علىّ وقال : قل ما شئتَ ، وما عسى أن تقول؟ فقلت :

زاد البَردُ يومين فقال الناس : ما القصّهْ!
فقلنا : أنشدونا شعـ ـر مروان بن أبى حفصه

فتى من شهوة النَّيْكِ بحلقوم استِه غصَّه
ولو يُرْمى بِبَطِّيخٍ لوافى دُبْرَهُ رَصَّهْ

قال : فضحك المتوكل حتى صفق[1] برجليه الأرض ، وأفحم مروان ، ثم أمر لى بجائزة فأخَذْتُها وانصرفت .

يستدعيه المتوكل من اليمامة ويثيبه بعد أن مدحه

قال ابن أبى طاهر : حدثنى مروان بن أبى الجنُوب قال : لما استُخْلِف المتوكل بعثتُ إلى ابن أبى دُواد بقصيدة مدحتُه فيها وذكرتُ فيها ابن الزيات ببيتين وهما :

وقيل لىَ : الزياتُ لاقى حِمامَه فقلت : أتانى الله بالفَتْح وَالنصْرِ
لقد حفر الزياتُ بالبغى حُفرة فألقاه فيها الله بالكفر والغَدْرِ

قال : فذكرنى ابن أبى دُوَاد للمتوكل ، فأمر بإحضارى ، فقيل له : نفاه الواثق إلى اليمامة ، وذلك لميله إليك . فقال : يُحْمل ، فقال له ابنُ أبى دُوَاد : عليه ستة آلاف دينار دَيْن ، فقال : يكتب له بها إلى عامل اليمامة ، فكتب لى بها وبالحُملان والمعُونة ، فقدمت عليه وأنشدتهُ قولى :

صـــوت

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ والشيبُ حَلّ وليتَه لم يَحْلُلِ

فلما بلغتُ إلى هذا البيت :

كانت خلافةُ جعفر كنبوّةٍ جاءت بلا طَلَبٍ ولا بتَمَحُّلِ
وهبَ الإلٰهُ لك الخلافة مثلَ ما وهب النبوّة للنبيِّ المُرسَلِ

فأمر لى بخمسين ألف درهم .

---

(١) المختار : « حتى فحص برجليه الأرض » .

وفى أول هذه القصيدة لعريب ثانى ثقيل بالوسطى .

والصوت المذكور فى أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السّمط فى المنتصر لمّا ولِى الخلافة .

أخبرنى بخبره فيها جماعة من أصحابنا ، منهم محمد بن جعفر النحوىّ صِهْر المبرد ،
٥ والحسن بن علىّ قالا : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنى القاسم بن محمد[1] الكاتب قال :

يستأذن على المنتصر فلا يؤذن له

حدثنى المرزبان بن القَرَوران[2] حاجب المنتصر قال : إن مروان بن أبى حفصة الأصغر المكنى أبا السّمط استأذن على المنتصر لمّا ولى الخلافة ، فقال : والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية ، أليس هو القائل :

١٠ وحكّم فيها حاكمين أبوكُمُ   هما خَلَماه خلْع ذى النَّعْلِ للنَّعْلِ

قولوا له : والله لا وصلتَ إلىّ أبداً ، فلما بلغه هذا القول عمِل هذا الشِّعر :

لقد طال عهــــدى بالإمام محمد   وما كنتُ أُخْشَى أن يطول به عَهْدِى

وذكر الأبيات كلها .

قال : وسأل بنانَ بن عمرو ، فصنع فيه لحناً وغنى به المنتصر ، فلما سمعه سأل عن قائلها ،
١٥ فأخبرتُه ، فقال : أما الوصول إلىّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف درهم يتحمل بها إلى اليمامة

حرضه المتوكل على على ابن الجهم فأعنته وهجاه

أخبرنى علىّ بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال : حدثنى جعفر بن هارون بن زياد قال : حدثنى أحمد بن الفضل الكاتب قال :

لما قال علىّ بن الجهم هذه القصيدة فى المتوكل :

---

٢٠ (١) هج : « القاسم بن أحمد الكاتب » .

(٢) هج « المرزبان بن فيروزان » .

اغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمان الجديدِ واجعل المهرجان أيمنَ عيدِ

أنشدها وأبو السمط بن أبى حفصة حاضر ، فغمزه المتوكل على عَلِىِّ بن الجهَمْ وأمَرَه أن يُعْنِتَه . فقال له : ياعلىّ ، أخبرنى عن قولك :

* واجعل المهرجان أيمن عيد *

المهرجان عيد أمْ يومُ لهو ، إنما العيد ما تَعَبَّدَ اللهُ به الناس[1] مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق . فأما المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس[2] ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله فى عباده وخليفة رسول الله فى أمته : اجعل المهرجان عيداً .

فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله[3] :

نحن أشياعكمْ من آل خراسا ن أولو قُوّة وبأسٍ شديد

نحن أبناء هذه الخِرَق السُّو دِ وأهل التَّشَيُّع المَحْمُودِ

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التَّشَيُّع المحمود ما قَتَل قحطبةُ جدَّك وصَلَبه فى عداوة بنى العباس . فقال له المتوكل : ويلك ، أقتل قحطبةُ جدَّك ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال له : بحياتى الأمرُ كما قال مروان ؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأىّ ذنب لعلىّ بن الجهم ؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكل وقال : شهدتَ والله بها عليه ، فقال مروان فى ذلك :

غَضِبَ ابنُ الجَهْم من قولى له إنّ فى الحق لقَوْمٍ مَغْضَبَهْ

يابنَ جهمٍ كيف تهوى مَعْشراً صلبوا جَدّك فوق الخشبهْ؟

(١) ف : « أم يوم لهو ، إنما العيد ماتعبد الله فيه الناس ... الخ »

(٢) المختار : « فإنهما من أعياد المجوس » .

(٣) المختار : « ومر فى إنشاده حتى بلغ إلى قوله » .

يا إمام العدل نصحى لكمُ نُصحُ حَقّ غير نُصح الكَذِبَهْ
إن جدّى من رفعتم ذِكْرَه بكراماتٍ لشكرى مُوجِبَهْ
وابنُ جهم مَن قتلتم جَدَّه وتولّى ذاك منه قَحْطَبَهْ
بخراسانَ رأت شِيعَتُكُمْ أنّه أهلٌ لضرب الرّقبه[1]
٥ أتُراه بعدها ينصحكمْ لا وربِّ الكعبةِ المحتجبه[2]

هجا على بن الجهم فلم يجبه

أخبرنى علىّ بن العباس بن أبى طلحة قال: حدثنى جعفر بن هارون قال: حدثنى أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال:

بلغ المتوكل أنّ على بن الجهم خطب امرأةً من قريش فلم يزوّجوه، فسأل عن السبب فى ذلك وعن قصته، وعن نسب سامَةَ بن لؤى، مُحدِّث بها، ثم انتهى حديثُهم بأنّ أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يدخلاهم فى قريش، وأن عثمان رضى الله عنه أدخلهم ١٠ فيه، وأن عليًّا رضى الله عنه أخرجهم منه، فارتدّوا مع الحارث، وأنه قتل مَن ارتد منهم، وسبى بقيتهم، وباعهم من مَصْقَلة بن هبيرة. فضحك المتوكل، وبعث إلى علىّ ابن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال. هذه الدعوى[3] من الرافضة، وشتم القوم. وكان منهم أبو السّمط فقال له:

١٥ إنّ جَهْمًا حين تنسبه ليس من عُجم ولا عَرَبِ
لجّ فى شتمى بلا سَبَبِ سارقٌ للشّعر والنّسب
من أناسٍ يدّعون أبا ماله فى الأرض من عقب

(١) هج، المختار: «بخراسان»
(٢) هج المختار: «أتراه بعد ذا ينصحكم».
٢٠ (٣) هج: «هذه دعوة من الرافضة».

فغضب علىّ بن الجهم ولم يجبه؛ لأنه كان يحتقره ويَسْترِكُّه[1]، وأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال:

أأنتم من قريش يابن جَهْم وقد باعوكمُ فى مَنْ يزيدُ

أترجو أن تكاثرنا جِهاراً بنسبتكم وقد بيع الجدودُ؟

قال: وما زال مروان يهجو علىّ بن الجهم فما أجابه عن شىء من شعره أنفة منه، ٥

مدح أحمد بن أبى دواد فوصله

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال: حدثنا إسحاقُ بن محمد النخعىّ قال: حدثنى الجمّاز أبو عبد الله قال:

دخل مروان الأصغَر على أحمد بن أبى دواد وقد أصابه الفالَج وتَماثَل قليلا، فأنشده:

لسانُ أحمدَ سيفٌ مَسَّه طَبَعٌ من عِلّةٍ فجلاه عنه جاليها[2] ١٠

ما ضرَّ أحمدَ باقى عِلّةٍ دَرَسَتْ واللهُ يُذْهِبُ عنه رسْم باقيها

قد كان موسى على عِلاّت منطقه رسائلُ الله إذ جاءت يُؤَدِّيها

موسى بن عمران لم يَنْقُص نبوّته ضعفُ اللسان وقِدْمًا كان يُمْضِيها[3]

فوصله أحمد رحمه الله تعالى واعتذر إليه.

أخبرنى عمى قال: حدثنى مُتوِّج قال: قال أبو السمط: ١٥

رثى ذا اليمينين فوصله عبد الله بن طاهر

دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: إنى تذكرت فى ليلتى هذه ذا اليمينين، فبت أرقًا حزينًا باكيًا، فارْثِهِ فى مقامك هذا بأبيات تجعل لى طريقًا إلى شفاء عِلّتى ولك حُكمُك، ففكرت هنيهة ثم قلت:

---

(١) يسترکه: يستضعفه.

(٢) الطبع: الصدأ.

(٣) هج: «لم ينقص فترته».

٢٠

إنّ المكارم إذ تولَّى طاهرٌ قطَع الزمانُ يمينَها وشِمالَهَا

لو كالحتْه يدُ المنونُ مُجاهراً لاقت لوقع سيوفه آجالَها

أرْسى عِمادَ خليفةٍ فى هاشم ورمى عمادَ خلافة فأزالها[1]

بكت الأعِنّةُ والأسِنَّة طاهراً ولطالما روّى النَّجيعُ نِهالَهَا

ليتَ المنون تجانبت عن طاهرٍ ولوت بذِرْوَة من تشاءُ حِبالَها[2]

ما كنت لو سَلِمَتْ يميناً طاهرٍ أدرى ولا أَسَلُ الحوادث مالها

فقال : أحسنت والله فاحتكِم ، فقلت له : خمسون ألف درهم أقصى منها دَيْنًا[3] ، وأصلح حالى ، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتى . فأمر لى بها وقال : ربحنا وخسرت ، ولو لم تحتكم لزدتك ، ولك عندنا عَدٌ وعَدٌ بعد عَدٍّ .

---

(١) هج : « أرسى عماد خلافة فى هاشم » .

(٢) هج « تجانفت عن طاهر » .

(٣) هج : «أقضى منها دينى» .

صـــوت

لا تلمْنِىَ أن أجْزَعا ... سَيِّدى قد تمنَّعا
وابَلائى(1) إن كانَ ما ... بيننا قد تَقَطَّعا
إنّ مُوسى بِفَضْلِه ... جمّع الفضْلَ أجمعَا

الشعر ليوسف بن الصَّيْقل والغناء لإبراهيم خفيف رَمَل بالبِنْصَر .

(1) المختار : « وابلياتى » .

أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

اسمه ونسبه

هو يوسف بن الحجّاج الصّيقل ، يقال : إنه من ثَقيف ، ويقال : إنه مولًى لهم ، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أنه كان يلقب لَقوة[1] وأنه كان يصحَب أبا نواس ، ويأخذ عنه ، ويروى له ، وأبوه الحجّاج بن يوسف محدث ثقة ، وروى عنه جماعة من شيوخنا ، منهم ابن منيع، والحسن بن الطيب الشجاع، وابن عفير الأنصارى ، وكان يوسف ابن الصيقل كاتباً ، ومولده ومنشؤه بالكوفة .

قصة هذا الصوت

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ ، عن ابن شبَّة ، قال : قال أحمدُ بنُ صالح الهِشامىّ : قال لنا يوسف بنُ الصيقل يومًا ، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها ، فقال: صنع اللهُ لكم ، ثم أُقبل على إبراهيم الموصلىّ ، فقال له : كنا نهزِل ، فنأخذ الرغائبَ ، وهؤلاء المساكينُ الآن يَجِدُّون ، فلا يُعطونَ شيئًا ، ثم قال لإبراهيم : أتذكر ونحن بجُرجان مع موسى الهادى ، وقد شرب على مستشرف عالٍ جدًّا وأنت تُغنيه هذا الصوت :

واستدارت رحالهُم بالرُّدَينِىِّ شُرَّعَا

٩٤ / ٢٠

فقال : هذا لحن مليح ، ولكنى أريد له شعراً غير هذا ، فإن هذا شعر بارد ، والتفت إلىّ فقال : اصنع فى هذا الوزن شعراً ، فقلتُ :

لا تلمنىَ أن أجزعا سيّدى قد تمنّعا

فغنّيتُه فيه بذلك اللحن، ومرّت به إبل يُنقَل عليها ، فقال أوقِروها لهما مالا ، فأُوقِرَتْ مالاً وحُمِل إلينا ، فاقتسمناه ، فقال إبراهيم : نعم ، وأصاب كلّ واحد منا ستينَ ألفَ درهم .

(١) اللقوة : داء يعوج منه الوجه ويميل .

نسبة هذا الصوت الذى غناه

صوت

فارسٌ يضرب الكتيبةَ حتّى تصدّعا
فى الوغَى حينَ لا يَرَى صاحبُ القوسِ منزَعا
واستدارتْ رحالُهمْ بالرُّدَينىِّ شرَّعا ٥
ثم ثارتْ عَجاجَةٌ تحتَها الموتُ مُنْقَعا

فى هذه الأبيات رَمَل ينسب إلى ابن سُرَيج وإلى سِياط ، وفيه لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر .

الهادى أم الرشيد؟

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، عن محمد بن عبد الله القَيْدى ، فذكر مثل هذه القصة إلا أنه حكى أنها كانت بالرَّقّة ، لا بجُرجان ، وأن الرشيد ١٠ كان صاحبَها لا موسى .

يفاجئ الرشيد بمدحه فيجيزه

أخبرنى الحسنُ بنُ على العَنَزى ، عن محمد بن يونس الربيعى ، قال: حدثنى أبو سعيد الجند يسابورى ، قال :

لما ورد الرشيد الرَّقّة خرج يوسُفُ بن الصيقل ، وكمن له فى نهر جافّ على طريقه ، وكان لهارون خدم صغارٌ يسميهم النّمل يتقدّمونه ، بأيديهم قِسِىُّ البندُق ، يرمون بها من ١٥ يعارضه فى طريقه ، فلم يتحرك يوسف ، حتى وافته قُبَّة هارون على ناقة ، فوثب إليه يوسف ، وأقبل الخدمُ الصغارُ يرمونه ، فصاح بهم الرشيد : كُفّوا عنه ، فكفّوا ، وصاح به يوسف يقول :

صوت

أغيثًا تحملُ النا قةُ أم تحملُ هرونا ٢٠
أم الشمسُ أم البدرُ أم الدُّنيا أم الدِّينا

ألا كلّ الذى عدّدْ تُ قد أصبح مقرونا

على مَفرِقِ هارون فَداه الآدميُّونا[1]

فمدّ الرشيدُ يدَه إليه ، وقال له : مرحباً بك يا يوسفُ ، كيف كنتَ بعدى؟ ادْنُ منى ، فدنا ، وأمر له بفرسٍ ، فركبه ، وسار إلى جانب قبته يُنشده ، ويحدّثه ، والرشيد ٥ يضحك ، وكان طيّبَ الحديث ، ثم أمر له بمال ، وأمر بأن يُغنّى فى الأبيات :

الغناء فى هذه الأبيات لابن جامع خفيف رَمَل بالبنصر عن الهشامى :

وقال محمد بن داود : كان يوسف فاسقا مُجاهراً باللّواطِ ، وله فيه أشعار ، فمنها قوله : نواسى المذهب

لا تبخلَنّ على النديـ ـم بردْف ذى كَشْحٍ هَضِيم

٩٥ / ٢٠

١٠ تعلُو وينظُر حَسْرةً نَظَرَ الحمارِ إلى القَضِيم[2]

وإذا فرغْتَ فلا تقم حتى تُصَوِّتَ بالنّديمِ

فإذا أجابَ فقلْ هلُـ ـمَّ إلى شهادةِ ذى الغريمِ

واتبعْ لذّتك الهوَى ودعِ الملامةَ للمُليمِ

قال : وهذا الشعر يقولُه لصديق له رآه قد علا غلامًا له ، فخاطبه به .

١٥ ومن مشهور قوله فى هذا المعنى :

لا تنيكَنّ ما حيِيتَ غُـلامًا مكابرَهْ

لا تمرّنّ باسته دُون دَفْع المؤامرهْ

(١) ف هج : « هداه الله ميمونا » بدل المصراع الثانى .

(٢) القضيم : ما يقضم ويؤكل أو شعير الدّابة .

إن هـذا اللواطَ دِينٌ تـراه الأسـاورة (١)

وهمُ فيـه منصِـفو ن بحُسنِ المعاشره

ومن قوله فى هذا المعنى أيضا هذه الأبيات :

ضع كذا صدرَك لى ياسيدى واتّخذْ عندى إلى الحشر يدَا

إنّما رِدفك سرجٌ مُـذهَبٌ كُشِفَ البزْيونُ عنه فبدا(٢)

فأعرِنيه ولا تبخلْ به ليس يُبليه رُكوبى أبدا

بل يصفّيه ويَجلوه ولا أثرٌ ترآه فيه أبدا

فادنُ يا حِبُّ وطِبْ نفسا به إنّ ذاك الدّينَ تقضاه غدا

أخبرنى إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنى عُمر بن شبّة عن أحمد بن صالح الهاشمى ، قال :

لايحب القيان

هجا يوسف بن الصيقل القِيانَ ، فقال :

احذر فديتُك ما حييـتَ حبائلَ المتَشاكلات

فلهُنّ يُفلِسْن الفتى وكفى بهنّ مُفلِسات

ويل امرىء غِـرٍّ تَجيـ ـه رقاعُهنّ مُختّمات

ورقاعُهنّ إليهمُ برُقَى القِحاب مُسَطَّرات (٣)

وعلى القيادة رُسْلُهُـ نّ إذا بعثْن مدرَّبات

(١) الأساوره : قواد الفرس أو الجيدو الرمى بالسهام . وفى المختار : « الأكاسره »

(٢) البزيون : السندس وهو رقيق الديباج .

(٣) الروى فى هذا البيت وما بعده قياسه الرفع ، لذلك يحسن تسكين الروى فى القصيدة كلها على أن البحر دخله التذييل لا الترفيل .

يهدمْنَ أكياسَ الغنىّ من المؤنةِ والهِباتِ
حفرَ العلوجُ سَواقيًا للماء فى الأرضِ المَوَات
فيصيرُ من إفلاسه ومن الندامةِ فى سُبات

قال : وشاعت هذه الأبيات وتَهاداها الناس، وصارت عَبَثاً بالقِيان لكلِّ أحد، فكانت المغنية إذا عثَرتْ قالت : تَعِس يوسُف !

أخبرنى الحسنُ بنُ علىٍّ ، قال : أخبرنى عيسى بنُ الحسن الآدمى : قال : حدثنى أحمدُ بنْ أبى فنَنَ ، قال:

أحضر الرشيدُ عشرَة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرّقَها ، حتى بقيت منها ثلاثةُ آلافِ دينار ، فقال : ائتونى شاعراً أهَبُها له ، فوجدوا منصوراً النَّمَرىَّ ببابه ، فأدخِل إليه ، فأنشدَه ، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيدُ : أعانك الله على نفسك ، انصرفْ ، فقال : يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دَخْلتين ، لم تُعطنى فيهما شيئاً ، وهذه الثالثةُ ، ووالله لئن حرمتنى لا رفعتُ رأسى بينَ الشعراء أبداً . فضحك الرشيدُ ، وقال : خذْها ، فأخذها ، ونظر الرشيد إلى الموالى ينظر بعضُهم بعضاً ، فقال : كأنى قد عرفتُ ما أردتم إنما أردتُم : أن تكونَ هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيْقل ، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالى ينادِمُهم ، ويمدَحهم ، فكانوا يتعصّبون له ، فقالوا : إى واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقال : هاتوا ثلاثةَ آلاف دينار ، فأحضِرتْ ، فأقبل على يُوسُفَ . فقال : هاتِ ، أنشِدْنا ، فأنشَدَه يُوسُف :

* تصدَّتْ له يوم الرُّصافَة زينبُ *

فقال له : كأنكَ امتدحْتنا فيها ، فقال : أجلْ ، واللهِ يا أميرَ المؤمنين فقال : أنتَ ممن يوثَقُ بنيّته ، ولا تُتّهَم مُوالاتُه ، هاتِ من مُلَحك ، ودع المديح ، فأنشدَه أقولَه :

الموالى يتعصبون له

صـــوت

العفوُ يا غَضبانُ ما هكذا الخِلاّنُ
هَبْنى ابتُليتُ بذَنبٍ أما لـه غُـفْرانُ ؟
وإن تعاظم ذَنْبٌ ففوقَـه الهِـجرانُ
كم قد تقرّبْتُ جَهدى لو ينفَـع القُـربانُ
يا ربّ أنتَ على ما قد حلّ بى المستَعانُ
ويْلِى ألستَ تَرانى أهْذى بها يافلانُ ؟

فقال الرشيدُ : ومَن فُلان هذا ويلك ؟ فقال له الفضل بن الربيع : هو أبانُ مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : وَلِمَ لَمْ تُنشِدْنى كما قلتَ يا نَبَطى ؟ فقال : لأنى غَضبان عليه ، قال : وما أغضبك ؟ قال : مدّت دِجلة ، فهدمتْ دارى وداره ، فبنى داره ، وعلاّها ، حتى سترت الهواء عنى ، قال : لاجرمَ ، ليعطينَّك الماصُّ بظرَ أمّه عشرةَ آلاف درهم ، حتى تبنى بناءً يعلو على بنائه ، فتستُر أنتَ الهواء عنه ، ثم قال له : خذ فى شعرك ، فأنشده نحواً من هذا الشعر ، فقال للفضل بن الربيع : ياعباسى ، ليس هذا بشعر ماهو إلا لَعِب ، أعطوه ثلاثةَ آلافِ درهم مكان الثلاثة الآلافِ الدينار ، فانصرف الموالى إلى صالح الخازن ، فقالوا له : أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولا ، فقال : أستأمرُه ، ثم أفعل ، فقالوا له : أعطه إياها بضماننا ، فإن أمضيَتْ له وإلا كانت فى أموالنا ، فدفعها إليه بضمانهم ، فأمضيتْ له ، فكان يوسف يقول بعد ذلك : كنا نلعب ، فنأخذُ مثل هذه الأموال ، وأنتم تقتلون أنفسكم ، فلا تأخذونَ شيئاً !

صـــوت

هبّتْ قُبيل تبلُّجِ الفجرِ هندٌ تقولُ ودمعُها يجرى
أنَّى اعتراكَ وكنتَ فى عهدىَ لا سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صَبْرِ[1]

الشعرُ لرجل من الشُّراة يقال له : عَمرو بن الحسن مولًى بنى تميم ، يقولُه فى عبد الله ابن يحيى الذى تسمّيه الخوارجُ طالبَ الحقِّ ، ومن قُتلَ من أصحابه معه يَرثيهم . والغناء لعبد الله بن أبى العلاء ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن الهشامى

(١) فى بعض النسخ « وكنت عهدى لا » .

خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

٩٧
٢٠

أخبرنى بذلك الحسنُ بن علىّ الخفّاف ، قال : حدثنا أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز عن المدائنى عن محمد بن أبى محمد الخزامى ، وخلّاد بن يزيد ، وعبد الله بن مصعب ، وعمرو ابن هِشام ، وعبد الله بن محمد الثّقفىّ ، ويَعقوب بن داود الثقفىّ ، وحُريم بن أبى يحيى :

كان مجتهدا عابدا

أن عبد الله بن يحيى الكِنْدى أحد بنى عمرو بن معاوية كان من حَضْرَموْت ، ٥ وكان مجتهدًا عابداً ،وكان يقولُ قبل أن يخرجَ : لقينى رجل ، فأطال النظرَ إلىّ ، وقال : ممّن أنت ؟ فقلت : من كِنْدة ، فقال : من أيّهم ؟ فقلت : من بنى شيطان ، قال : والله لتَملكَنّ ، ولتبلغَنّ خيلُك وادى القُرى[1] ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيكَ .

إلى حضرموت

فذهبتُ أتخوّفُ ماقال ، وأستخيرُ الله ، فرأيت باليمن جَوْراً ظاهراً ، وعَسْفاًشديداً ، وسيرةً فى الناس قَبيحة ، فقال لأصحابه : مايحلّ لنا المقامُ على مانرى ، ولا يسعُنا الصبرُ ١٠ عليه ، وكتب إلى عُبيدة بن مُسلم بن أبى كَرِيمة[2] الذى يقالُ له: كُودين مولى بنى تميم ، وكان ينزل فى الأَزْد ، وإلى غيره من الإباضِيّة بالبصرة يُشورُهم فى الخروج ، فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألاتقيمَ يومًاواحداً فافعلْ ، فإن المبادرَة بالعملِ الصالحِ أفضلُ ، ولستَ تدرى متى يأتى عليكَ أجلُك ؟ ولله خيرَةٌ من عباده يبعثُهم إذا شاء لنُصرة دينه ، ويخُصُّ بالشهادة منهم مَن يَشاء . وشخَص إليه أبو حمزة المختار بن عَوف الأزدى أحدُ بنى سلِمة ، ١٥ وبلْجُ بن عُقبة السّقُورى فى رجالٍ من الإباضية ، فقدِموا عليه حضْرَمَوْت ، فحثّوه على الخروج ، وأتوْه بكُتُب أصحابه : إذا خرجتم فلا تَغُلُّوا ، ولا تغدِروا ، واقتدُوا بسلفكم الصالحين ، وسيرُوا سِيرَتَهم ، فقد علمتم أن الذى أخرجَهم على السلطان العيبُ لأعمالهم .

---

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشأم من أعمال المدينة كثير القرى .

(٢) ب : إلى أبى عبيدة ومسلمة بن أبى كريمه . ٢٠

فدعا أصحابه، فبايعوه، فقصدوا دار الإمارة، وعلى حَضْرموت إبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة الكِندىّ، فأخذوه، فحبسوه يوماً، ثم أطلقوه، فأتى صَنعاء، وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت، وكَثُرَ جمعه، وسمّوْه «طالب الحق».

فكتبَ إلى من كان من أصحابه بصنعاء: إنى قادمٌ عليكم، ثم استخلف على ٥ حَضْرموت عبدَ الله بن سعيد الحَضْرمىّ، وتوجّه إلى صَنعاء سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين، وبلغ القاسمَ بنَ عمر أخا يوسفَ بن عمر — وهو عامل مَرْوان بن محمد على صَنعاء — مسيرُ عبد الله بن يحيى، فاستخلف على صنعاء الضحّاك بن زَمْل، وخرج يزيد (ثم إلى صنعاء) الإباضية فى سلاح ظاهر وعُدّة وجمع كثير، فعسكر على مسيرة يوم من أَبْيَن[1] وخلّف فيها الأثقالَ، وتقدّمت المقاتِلة، فلقيَهُ عبد الله بن يحيى بلَحْج — قرية من أبين — قريباً ١٠ من الليل، فقال الناسُ للقاسم: أيها الأمير، لا تقاتل الخوارج ليلا، فأبى، وقاتلهم، فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً، وانهزموا ليلا، فمرّ بعسكره، فأمرهم بالرحيل، ومضى إلى صنعاء، فأقام يوماً، ثم خرج فعسكر قريباً من صَنعاء، وخندقَ وخلّف بصنعاء الضحاك بن زَمْل، فأقبل عبد الله بن يحيى، فنزلَ جَوْنَيْن[2] على ميلين من عسكر القاسم، فوجّه القاسمُ يزيدَ بن الفيض فى ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن، ١٥ فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا، فرجع يزيدُ إلى القاسم، فاستأذنه فى بياتهم، فأبى أن يأذنَ له، فقال يزيد: والله لئن لم تُبَيِّتْهم ليَغمّنّك، فأبى أن يأذنَ له، وأقاموا يومين (٩٨/٢٠) لا يلتقُون، فلمّا كان فى الليلة الثالثة أقبل عبدُ الله بن يحيى، فوافاه مع طلوع الفجر، فقاتلهم الناسُ على الخندق، فغلبتهم الخوارج عليه، ودخلوا عسكرَهم، والقاسم يُصلّى، فركب، وقاتلَهم الصَّلْتُ بنُ يوسف، فقُتل فى المعركة، وقام بأمرِ الناس يزيدُ بنُ

(١) أبين: مخلاف باليمن من قراه (عدن).

٢٠ (٢) ليس فى معجم البلدان موضع فى الجزيرة العربية بهذا الاسم، ولعله محرف عن «جونين» وهى كما فى الناموس قرية بالبحرين.

الفيض ، فقاتلهم ، حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم أهلُ صنعاء فأراد أَبرَهَةُ بن الصبّاح اتّباعهم ، فمنعه عبدُ الله بنُ يحيى ، واتّبع يزيدُ بن الفيض القاسمَ بن عمر ، فأخبره الخبر فقال القاسم :

ألا ليتَ شِعرى هل أَذودَنَّ بالقَنا وبالهُنْدوانيّاتِ قَبْلَ مماتى (١)

وهل أُصبِحنّ الحارثَين كِلَيهما بطعنٍ وضربٍ يَقطعُ اللهَواتِ (٢) ٥

قال : ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضّحاكَ بن زَمْل وإبراهيم بن جَبَلة بن مَخْرمة فحبسَهما ، وجمع الخزائنَ والأموال ، فأحرزها ، ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم ، فأرسلَهما ، وقال لهما : حبستُكما خوفًا عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما إن شِئتُما أو اشخصا ، فخرجا .

خطبته بعد فتح اليمن

فلمّا استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناسَ ، فحمد الله جل وعزّ وأثنى عليه وصلّى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووعظ ، وذكّر ، وحذّر ، ثم قال : إنّا ندعوكُم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما : الإسلام دينُنا ، ومحمد نبيُّنا والكعبةُ قِبْلَتنا ، والقرآن إمامُنا ، رضِينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ، ولا نشترى به ثمنًا قليلا ، وحرّمنا الحرامَ ، ونبذناه وراء ظهورِنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المُشْتَكى ، وعليه المُعوّل . من زَنى فهو كافر ، ومن سَرق فهو كافر ، ومن شَرِبِ الخمر فهو كافر ، ومن شكّ فى أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائضَ بيّنات ، وآياتٍ مُحكَمات ، وآثارٍ مُقتدَى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ؛ عَدْلٌ فيما حكم

(١) كذا فى ف وفى س ، ب « الفتى » ، والبيتان فى معجم الشعراء بالرواية الآتية :

ألا ليت شعرى هل أدوسن بالقنا تبالة أو نجران قبل مماتى

وهل أصبحن الحارثين كليهما بسم زعاف يقطع اللهوات ؟ ٢٠

(٢) الحارثان فى مرة : الحارث بن ظالم الحارث بن عوف ، وفى باهلة : الحارث بن قتيبة ، الحارث بن سهم بن عمرو ، كما فى المخصص ١٣/٢٢٩ .

وندعو إلى توحيد الربّ، واليقينِ بالوعيد والوعد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والولايةِ لأهل ولاية الله، والعَداوةِ لأعداء الله. أيها الناس إنّ مِن رحمة الله أن جعل فى كلّ فَترة بقايا من أهل العلم يَدْعون من ضلّ إلى الهدى، ويَصبرُون على الألم فى جَنْبِ الله تعالى، يُقتَلون على الحق فى سالفِ الدهور شُهداء، فما نَسيَهم ربُّهم، وما كان ربُّك نَسيًّا. أُوصيكم بتقوى الله، وحسنِ القيام على ما وكّلكم اللهُ بالقيام به، فأبلوا لله بلاء حسنا فى أمره وزجره[1]، أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم.

يوجه أتباعه إلى مكة

قالوا: وأقام عبدُ الله بنُ يحيى بصنعاء أشهرا، يُحسنُ السِّيرة فيهم ويُلينُ جانبَه لهم ويكفُّ عن الناس، فكثرجمعه، وأتته الشّراة من كل جانب، فلما كان وقتُ الحجّ وجَّه أباحمزة المختار بن عوف، وبلْج بنُ عقبة، وأبرَهة بن الصَّبَّاح إلى مكة فى تسعمائة، وقيل: بل فى ألف ومائة، وأمره أن يقيمَ بمكة إذا صدَر الناسُ، ويُوَجِّه بلْجا إلى الشأم، وأقبل المختار إلى مكة، فقدِمها يومَ التَّرْوِية، وعليها عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأمه بنتُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد، فكره قتالهم.

وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبى حمزة محمدُ بنُ جرير الطّبرى، قال: حدّثنا العباس ابن عيسى العَقيلى[2]، قال: حدثنا هارون بن موسى العوارى، قال: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعدِيّين، قال:

٩٩ / ٢٠

هدنة بين المختار وعبد الواحد

كان أول أمر أبى حمزة، وهو المختار بن عوف الأزدى ثم السّلمىّ من أهل البصرة أنه كان يوافى فى كلّ سنة يدعو إلى خلافِ مَرْوان بن محمد وآل مروان، فلم يزل يختلفُ كلّ سنة حتى وافى عبدُ الله بنُ يحيى فى آخر سنة، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له: يارجل، إنى أسمع كلاماً حسناً، وأراكَ تدعو إلى حق، فانطلقْ معى، فإنى رجلٌ مطاعٌ فى قومى، فخرج به، حتى ورد حَضْرَموْت، فبايعه أبو حمزة على الخِلافة، قال: وقد كان مرّ أبو حمزة بمعدِن بنى سُلَيم، وكثير

(١) ف: «وذكره» (٢) ف: «العجلى»

ابن عبد الله عامل على المَعْدِن ، فسمع بعضَ كلامه ، فأمرَ به فجُلِدَ أربعين سوطا ، فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيَّب كثيرٌ حتى كان من أمره ما كان ، ثم رجع إلى موضعه ، قال : فلما كان فى العام المقبل تمامَ سنةَ تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفةَ إلا وقد طلعت أعلام عمائم سُودٍ خُرّميّة[1] فى رُءوس الرماح ، وهم سبعمائة ، هكذا قال : هذا .

وذكر المدائنى أنهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة ، ففزع الناسُ منهم حين رأوْهم ، ٥ وقالوا لهم : ما لكم ؟ وماحالكم ؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرّى منهم .

فراسلهم عبدالواحد بن سليمان ، وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ، ودعاهُم إلى الهدْنة ، فقالوا : نحن بحجّنا أضَنّ وعليه أشحّ ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضُهم من بعْض ، حتى ينفِر الناس النّفر الأخير ، وأصبحوا من غدٍ ، فوقفوا على حِدَةٍ بعرفة ، ودفع عبدُ الواحد بالناس ، فلما كانوا بمنًى قالوا لعبد الواحد : إنك قد أخطأتَ فيهم ، ١٠ ولو حملتَ عليهم الحاجَّ ما كانوا إلا أكَلَةَ رأس[2] ، فنزل أبو حمزة بقرن الثّعالب من مِنًى ، ونزل عبدالواحد منزِلَ السلطان ، فبعثَ عبدُ الواحد إلى أبى حمزة عبدَ الله بنَ حسن بن حسن بن علىّ ، عليهم السلام ، ومحمدَ بنَ عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبدَ الرحمن بنَ القاسم بن محمد بن أبى بكر وعبيد الله بنَ عمرو بن حفص العمرى ، وربيعةَ بنَ عبدالرحمن[3] ، فى رجال من أمثالهم ، فلما دنَوْا من قرن الثعالب لقيتهم ١٥ مسالح أبى حمزة ، فأخذوهم ، فدُخِلَ بهم على أبى حمزة ، فوجدوه جالساً ، وعليه إزار قطَوانى[4] ، قد ربطه الحَوَرة[5] فى قَفاه ، فلما دَنَوْا تقدّم إليه عبدُ الله بنُ حسن

(١) فى هج « خرقية » .
(٢) مثل يضرب للقلة .
(٣) فى هج « ربيعة بن عبدالواحد» . ٢٠
(٤) نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة تتخذ منه الأكسية .
(٥) لعل المراد منه : القصارون الذين يحورون الثياب

ومحمدُ بن عبدالله بن عمرو ، فنَسَبهما ، فلمّا انتسبا له عبَسَ فى وَجْهَيْهما وبَسَر ، وأظهر الكراهة لهما .

ثم تقدم إليه بعدهما البكْرى والعمرىّ فنَسَبهما ، فلما انتسبا له هشّ إليهما ، وتبسّم فى وجُوههما ، وقال : والله ماخرجنا إلا لنَسيرَ بسيرة أبويكما ، فقال له عبدُ الله بن حسن ابن حسن : والله ما جئناك لتفاضلَ بين آبائنا ، ولكن بعثَنا إليك الأميرُ برسالة ، وهذا ربيعةُ يخبركَها ، فلما ذكر ربيعةُ نَقْضَ العهد ، قال بلج وإبراهيم — وكانا قائدين له — : الساعةَ الساعةَ ، فأقبل عليهما أبوحمزة ، وقال : معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيسَ به ، والله لا أفعل ولو قُطِعتْ رقبتى هذه ، ولكن تنقضى هذه الهدنةُ بيننا وبينكم . فلما أبى عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبدَ الواحد .

المختار يدخل مكة

فلما كان النَّفْرُ الأول نَفَر عبد الواحد ، وخلّى مكةَ لأبى حمزة ، فدخلها بغير قتال .

قال هارونُ : وأنشدنى يعقوب بن طلحة الليثى أبياتاً هُجِىَ بها عبد الواحد لشاعرٍ لم يُحفَلْ به :

زار الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا دينَ الإله ففرّ عبدُ الواحدِ

ترك الإمارةَ والحلائلَ هارباً ومضى يُخَبِّطُ كالبعيرِ الشاردِ

لو كان والدُه تخيّرَ أمَّه لَصَفَتْ خلائقُه[1] بعِرْق الوالد

[2]ترك القتال وما به من عِلَّةٍ إلا الوهون وعرقةٌ من خالد[2]

ثم مضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالدّيوان ، وضرب على الناس البعث ، وزادهم فى العطاء عشرةً عشرةً .

انتصار فى قديد

قال هارون : أخبرنى بذلك أبو ضَمرة أنسُ بنُ عِياض أنه كان فيمن اكتَتَب ، قال : ثم محوتُ اسمى .

(١) المختار : « خلائله »

(٢–٢) تكملة من ف .

قال هارون : وحدثنى غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبدَ العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا ، فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة ، فمضَوْا ، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسَمُرة ، فانكسر الرمحُ ، وتشاءم الناسُ بالخروج ، ثم ساروا ، حتى نزلوا قُديدا[1] ، فنزلوها ليلا ؛ وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمِنبر اليوم ، وكانت الحياضُ هناك ، فنزل قوم مترّفون ليسوا بأصحاب حرْب ، فلم يرُعْهم إلا القومُ قد خرجوا عليهم من الفصل ، فزعم بعض الناس أن خزاعةَ دلّتْ أبا حمزة على عورتهم ، وأدخلوهم عليهم ، فقتلوهم ، وكانت المقتلةُ على قريش ، وهم كانوا أكثرَ الناس، وفيهم كانت الشوكة ، فأصيب منهم عدد كثير .

قال العباس : قال هارون : فأخبرنى بعضُ أصحابنا :

اليمانيون يشمتون بقريش

أنّ رجلا من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول : الحمد لله الذى أقرّ عينى بمقتل قُريش ، فقال له ابنه : الحمد لله الذى أذلّهم بأيدينا ، فما كانت قريش تظنّ أن من نزل على عمانَ من الأزْد عربىّ ، قال : وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة ، فقال القرشى لابنه : يابنى ، هلُمّ نبدأ بهذين الرجلين ، قال : نعم يا أبتِ ، فحَملا عليهما ، فقتلاهما ، ثم قال لابنه : أىْ بُنَىّ تقدّم ، فقاتَلا . حتى قُتِلا .

وقال المدائنى : القرشى كان عمارةَ بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، والمتكلّمُ بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار . قال : ثم ورد فُلاّلُ[2] الجيش المدينةَ ، وبكى الناسُ قتلاهم ، فكانت المرأة تقيمُ على حَميمها النُّواحَ ، فلا تزال المرأة يأتيها الخبرُ بمقتل حميمها ، فتنصرف ، حتى ما يبقى عندها امرأة ، فأنشدنى أبو حمزة[3] هذه الأبيات فى قتلى قُدَيد الذين أصيبوا من قومه لبعضِ أصحابه[4] :

(١) قديد : موضع قرب المدينة

(٢) فلال : كرمان جمع فل وهم المنهزمون فى الجيش ويجمع فل أيضا على فلول .

(٣) ف : « أبو ضمرة »

(٤) ف : « لبعض أصحابهم »

يالهفَ نفسى ولهفٌ غير نافعةٍ   على فوارسَ بالبطحاء أنجادِ
عمرٌو وعمرٌو وعبدُ الله بينهما   وابناهما خامسٌ والحارث السادى[1]

جيش من الأغمار يحارب الخوارج

قال المدائنى فى خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة ، فكتب مروانُ إلى عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز — وهو عامله على المدينة — يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة ، فوجّه ثمانيةَ آلافِ رجل من قريش والأنصار والتجار ، أغمار[2] لا علمَ لهم بالحرب ، فخرجوا فى المصبّغات والثياب الناعمة واللهوِ ، لا يظنّون أن للخوارج شوكةً ولا يشكّون أنهم فى أيديهم .

يبيع جلد الدب قبل صيده

وقال رجل من قريش : لو شاء أهلُ الطائفِ لكفونا أمرَ هؤلاء ، ولكنهم داهنوا فى أمرِ الله تعالى ، والله إن ظَفِرنا لنسيرنّ إلى أهل الطائفِ ، فلنسْبينّهم ، ثم قال : مَنْ يشترى منى سبىَ أهلِ الطائف ؟ فلما انهزم الناسُ رجع ذلك الرجلُ القائلُ : مَن يشترى منّى سبى أهلِ الطائف فى أولِ المنهزمين ، فدخل منزلَه ، وأراد أن يقول لجاريته : أغلقى البابَ ، فقال لها : غاقِ باقِ دَهَشا ، ولم تفهم الجاريةُ قولَه ، حتى أومأ إليها بيده ، فأغلقتِ البابَ ، فلقّبهُ أهلُ المدينة بعد ذلك « غاقِ باقِ » .

أموى وقريشى

قال : وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرِض الجيشَ بذى الحُلَيفة ، فمرّ به أميّةُ بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاص ، فرحّب به ، وضَحِك إليه ، ومرّ به عمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير ، فلم يكلّمه ، ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع — وكان ابن خالته ، أمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد — : سبحان الله ! مر بك شيخٌ من شيوخ قريش ، فلم تنظرْ إليه ، ولم تكلّمه ، ومرّ بك غلام من بنى أمية ، فضحِكْتَ إليه ولاطفته ! أما والله لو قد التقى الجمعانِ لعلمتَ أيُّهما أصبرُ ؟ قال : فكان أمية بن

(١) السادس قلبت السين الأخيرة ياء قلبا غير مطرد .
(٢) فى س ، ب « أغبياء » ومعنى أغمار : أنهم غير مجربين .

عَنْبَسة أوّل من انهزم ، ونكّب فرسه ومَضَى ، وقال لغلامه : يا مجيب ، أما والله لئن أحرَزْتُ[1] نفسى هذه الأكلُبَ من الشُّراة إنى لماجز . وقاتلَ يومئذ عمارة بن حمزة ابن مصعب ، حتى قُتِل ، وتمثّل :

وإنى إذا ضنّ الأميرُ بإذنه على الأذنِ من نفسى إذا شئتُ قادرُ

والشعر للأغرّ بن حمّاد اليَشْكُرِى . ٥

أبو حمزة يحمس أصحابه

قال : ولما بلغَ أبا حمزة إقبالُ أهل المدينة إليه استخلَف على مكة إبراهيم[2] بن الصبّاح ، وشَخَص إليهم ، وعلى مقدمته بَلْجُ بن عُقْبة ، فلما كان فى الليلة التى وافاهم فى صَبيحَتِها — وأهلُ المدينة نُزُولٌ بقُدَيد — قال لأصحابه : إنكم لاقُو قومِكم غدا ، وأميرهم — فيما بلغنى — ابن عثمان أول مَنْ خالفَ سيرة الخلفاء ، وبدّل سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد وضَحَ الصبحُ لذى عَيْنَين ، فأكثروا ذِكرَ الله ١٠ تعالى ، وتلاوةَ القرآن ، ووطّنوا أنفسكم على الصّبر . وصبّحَهم غداة الخميس لتسعٍ أو لسبعٍ خلونَ من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : أبغِنا عَلَفاً . قال : هو غالٍ ، قال : ويحك ! البواكى علينا غدا أغلى .

رسول أبى حمزة إلى أهل المدينة

وأرسل إليهم أبو حمزة بلْجَ بنَ عقبة ؛ ليدعوهم ، فأتاهم فى ثلاثين راكبًا ، فذكّرهم الله ؛ وسألهم أن يكفُّوا عنهم ؛ وقال[3] لهم : خَلُّوا لنا سبيلَنا ؛ لنسير إلى من ظلمكم ؛ ١٥ وجار فى الحكْم عليكم ؛ ولا تجعَلوا حدّنا بكم ؛ فإنا لا نريد قتالكم ؛ فشتَمهم أهلُ المدينة ، وقالوا : يا أعداء اللهِ ، أنحن نُخَلِّيكم ونَدَعُكم تُفسدون فى الأرض ! فقالت الخوارجُ : يا أعداء الله ، أنحن نُفسدُ فى الأرض ! إنما خرجنا لنكُفَّ أهلَ الفساد ، ونقاتل مَن قاتلنا واستأثرَ بالفىء ، فانظروا لأنفسِكم ، واخلعوا مَن لم يجعل اللهُ له طاعةً ، فإنه

(١) ب : « أجزرت » ٢٠
(٢) فى هج « أبرهة » .
(٣) وفى س ، ب : « قالوا » .

لاطاعةَ لمن عَصَى اللهَ ، وادخلوا فى السِّلم ، وعاونوا أهل الحَقِّ ، فقال له[1] عبد العزيز : ما تقولُ فى عثمانَ ؟ قال : قد برئ المسلمون منه قبلى ، وأنا متبع آثارهم ، ومقتدٍ بهم ، قال : فارجعْ إلى أصحابك ، فليس بيننا وبينهم إلا السيفُ .

فرجع إلى أبى حمزة ، فأخبره ، فقال : كُفُّوا عنهم ، ولا تقاتلوهم . حتى يبدءوكم بالقتال ، فواقفوهم ، ولم يُقاتلوهم . فرمى رَجلٌ من أهل المدينة فى عسكر أبى حمزة بسَهم ، فجرحَ رجلا ، فقال أبو حمزة : شأنكم الآن بهم ، فقد حلّ قتالهم ، فحملوا عليهم ، وثبت بعضُهم لبعض ، وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع .

الآن حلت لكم دماؤهم

٥

ثم انكشف أهل المدينةِ ، فلم يَتْبعوهم ، وكان على مُجنِّبتهم ضميرُ بن صخر بن أبى الجَهْم بن حُذيفة ، فكرّ وكرّ الناسُ معه ، فقاتلوا قليلا ، ثم انهزموا ، فلم يُبعدوا . حتى كرُّوا ثالثةً ، وقاتلهم أبو حمزة ، فهزمهم هزيمة لم تُبق منهم باقية ، فقال له علىّ بن الحُصَين : أتبعِ القوم ، أودَعْنى أتبعهم ، فأقتلَ المدْبر ، وأذَفِّف[2] على الجريح ، فإن هؤلاء أشرّ علينا من أهل الشأم ، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره ، فقال : لا أفعلُ ، ولا أخالفُ سيرةَ أسلافِنا . وأخذ جماعةً منهم أسَراء ، فأراد إطلاقهم ، فمنعه علىّ بن الحصين ، وقال له : إنّ لأهل كُلِّ زمان سيرةً ، وهؤلاء لم يؤسَروا وهم هُرّاب ، وإنما أُسِروا وهم يقاتلون ، ولو قُتِلوا فى ذلك الوقت لم يحرُم قتلهُم ، وكذلك الآن قتلهُم حَلال ، فدعا بهم ، فكان إذا رأى رجلا من قريش قتله ، وإذا رأى رجلا من الأنصار أطلقه ، فأُتِىَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فنسبه ، فقال : أنا رجل من الأنصار ، فسأل الأنصارَ عنه ، فشهدوا له ، فأطلقه ، فلما ولّى قال : واللهِ إنى لأعلم أنه قرشىّ وما حُذاوةُ[3] هذا حُذاوةَ أنصارىّ ، ولكنْ قد أطلقتُه .

١٠٢/٢٠

١٠

١٥

---

(١) ضمير «له» يعود على بلج بن عقبة ، وإن لم يتقدم ذكره .

(٢) أذفف : أجهز .

(٣) حذاوة : شبه .

٢٠

قال : وبلغتْ قتلى قُدَيد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا ، منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلا ، ومن الأنصار ثمانون ، ومن القبائل والموالى ألفٌ وسبعمائة ، قال : وكان فى قتلى قريش من بنى أسد بن عبد العُزّى أربعونَ رجلا ، وقُتل يومئذ أمية بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، خرج يومئذ مقنّعاً ، فما كلَّم أحدا ، وقاتل حتى قُتل ، وقتل يومئذ سُمَىّ مولى أبى بكر الذى يَروِى عنه مالكُ بنُ أنس ، ودخل بلْـجٌ المدينة بغير حرب ، فدخلوا فى طاعته ، وكف عنهم ، ورجع أبو حمزةَ إلى مكة ، وكان على شُرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُراقة من بنى عَدِىّ ، فكان أهل المدينة يقولون : لعن اللهُ السُّراقِىّ ، ولعن بلْجاً العراقى .

نائحة المدينة تبكى قتلى قديد

وقالت نائحةُ أهل المدينة تبكيهم :

ما للزمانِ ومالِيَهْ أفنت قُدَيْدُ رجالِيَهْ
فلأبكِيَنّ سَرِيرَةً ولأبكِيَنّ علانيهْ
ولأبكِيَنّ إذا خلو تُ مع الكلاب العاويهْ
ولأثنِيَنّ على قُدَيْـ ـدَ بسوء ما أبلانِيهْ

فى هذه الأبيات هزَج قديم يشبه أن يكون لطُوَيس أو بعض طبقته .

عمرو بن الحسن يذكر وقعة قديد

وقال عمرو بن الحسن [1] الكوفىّ مولى بنى تميم يذكر وقعة قُديد وأمرَ مكة ودخولهم إياها ، وأنشدنيها الأخفش عن السُّكرىّ والأحول وثعلب لعمرٍ وهذا ، وكان يستجيدُها ويُفضِّلُها :

ما بالُ همِّك ليسَ عنك بعازبِ يَمرِى سوابقَ دمعِك المتساكبِ
وتبيتُ تَكلَتِلِىء النجومَ بمقلةٍ عَبْرى تُسَرّ بكلِّ نجمٍ دائبِ

(١) فى معجم الشعراء : « عمرو بن الحسن » ، وفى هج : « عمرو بن الحصين الأباضى الكوفى » .

حـذرَ المنيةِ أن تجيء بداهةً ... لم أقضِ من تَبَعِ الشُّراةِ مآربى

فأقودُ فيهم للعِدا شَنِجَ النَّسا ... عبْلَ الشَّوى أسوانَ ضمر الحالبِ[1]

متحدِّراً كالسِّيد أخلصَ لونَه ... ماء الحسيكِ مع الحلائل اللاتبِ[2]

أرمى به من جَمْعِ قومى مَعْشَرا ... بُورا إلى جَبْريَّةٍ ومَعايبِ[3]

فى فِتيةٍ صُبُرٍ ألفَّهُمُ به ... لَفُّ القداحِ يدَ المُفيض الضاربِ[4]

فندور نحنُ وهُم وفيما بيننا ... كأسُ المَنونِ تقولُ: هلْ من شاربِ؟

فنظلُّ نسقيهم ونشرَبُ من قَنًا ... سُمْرٍ ومُرهفةِ النُّصول قواضبِ

بينا كذلكَ نحنُ جالتْ طعنةٌ ... نجلاءُ بينَ رُهَا وبينَ ترائبِ[5]

جوفاءُ منهَرةٌ ترى تامورَها ... ظُبتَا سِنانٍ كالشِّهاب الثاقبِ[6]

أهوى لها شِقُّ الشِّمال كأننى ... حَفَضٌ لقًى تحتَ العَجاجِ العاصبِ

يارب أوحيها ولا تتعلَّقَنْ ... نفسِى المنونَ لدَى أكُفٍّ قرائبِ[7]

كم من أولى مِقةٍ صحبتُهم شَرَوْا ... فخذلتُهمْ ولبئسَ فعلُ الصاحبِ

متأوِّهين كأنَّ فى أجوافِهم ... ناراً تُسعِّرُها أكُفٌّ حواطبِ

تلقاهمُ فتراهمُ منْ راكعٍ ... أو ساجدٍ متضرِّعٍ أو ناحبِ

---

(١) فرس شنج النسا: صفة مدح، أى لم تسترخ رجلاه، كذلك عبل الشوى: ضخم الأطراف وفى ف: «أشران» بدل: «أسوان»

(٢) ف «اللاعب»، وفى هج «كالسيف» بدل «كالسيد» واللاتب: اللاصق

(٣) «معشرا بورا»: هلكى، وفى ف «خورا».

(٤) فى ف «أكفهم به كف».

(٥) بين رها وبين ترائب: الفتح بين الرجلين.

(٦) منهرة: موسعة، التأمور والتامور: هنا الوعاء

(٧) فى ف «أوجبها» وفى ف: «أقارب».

يتلو قوارعَ تمترى عَبراتِه ... فيجودُها مَرْىَ المرىّ الحالبِ

سُـبُرٍ لجائفة الأمورِ أطبَّةٌ ... للصَّدع ذى البأ الجليل مدائبِ[1]

ومُبرّئينَ من المعايبِ أحرزوا ... خُصَلَ المكارم أتقياء أطايبِ

عَرّوْا صَوارمَ للجلاد وباشَروا ... حدَّ الظباةِ بآنُفٍ وحواجبِ

ناطوا أمورَهُم بأَمْرِ أخٍ لهم ... فرمى بهم قُحْمَ الطريقِ اللاحبِ[2] ٥

مُتسربلِى حَلَقَ الحديدِ كأنهم ... أُسْدٌ على لُحُقِ البطون سلاهبِ[3]

قِيدت مِن أعلى حضرموتَ فلم تزل ... تَنفِى عداها جانباً عن جانب

تحمى أعنَّتَها وتحوِى نَهْبَهَا ... لِلّهِ أكرمُ فتيـةٍ وأشائبِ[4]

حتى وردنَ حياضَ مكة قُطَّنا ... يحكِينَ واردةَ اليمام القاربِ[5]

ما إن أتينَ على أخى جَبْرِيَّةٍ ... إلا تركْنَهمُ كأَمسِ الذاهبِ ١٠

فى كلِّ معتركٍ لها من هامهم ... فِلَقٌ وأيدٍ عُلِّقتْ بمناكب

سائلْ بيوم قُدَيدَ عن وقَعاتِها ... تُخبرْك عن وقعاتِها بعجائبِ

وقال هارونُ بن موسى فى رواية محمد بن جرير الطبرى عن العباس بن عيسى عنه :

---

(١) فى ف هج «للحطب» بدل «للصدع». ١٥

(٢) قحم الطريق : مصاعبه ، واللاحب : الواسع ، وفى ف . «لقم الطرق» .

(٣) السلهب من الخيل . ما طالت عظامه .

(٤) فى ف «تحوز نَهبها» .

(٥) القارب : الطالب للماء ليلا .

خطبة أبي حمزة في أهل المدينة

ثم دخل أبو حمزة المدينةَ سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبدالواحد بن سليمان إلى الشام، فرقِيَ[1] المنبرَ ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

يا أهل المدينه ، سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء ، فأسأتم — لعمرُ الله — فيهم القولَ ، وسألناكم : هل يقتلون بالظَّن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلُّون المال الحرام والفرجَ الحرامَ ؟ فقلتم : نعم ، فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم ، فنناشدهم اللهَ أن يتنحّوا عنّا وعنكم ، ليختار المسلمونَ لأنفسهم ؛ فقلتُم : لا تفعلون ، فقلنا لكم : تعالَوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهرْ نحنُ وأنتم نأتِ بمن يقيمُ فينا كتابَ الله وسنةَ نبيه ، وإن تَظفَر نعدلْ في أحكامكم ، ونحملْكم على سنة نبيكم ، ونقسم فيئكم بينكم ، فإن أبيتُم[2] ، وقاتلتمونا دونَهم ، فقاتلنا كم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم يا أهل المدينة ، مررتُ بكم في زمان الأحول هشامِ بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهةٌ في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجَكم عنكم ، فكتب بوضعها عنكم ، فزاد الغنيّ غنًى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتُم : جزاكم الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً ، ولا جزاكم .

١٠٤ / ٢٠

خطبة أخرى جامعة مانعة

قال هارون : وأخبرني يحيى بنُ زكريا : أن أبا حمزة خَطب بهذه الخطبة : رقِي المنبرَ ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : أتعلمونَ يا أهلَ المدينة ، أنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشَرًا ولا بطراً ولا عبَثًا ولا لهوًا ، ولا لدولة مُلك نُريد أن نخوضَ فيه ، ولا لثأرٍ قديم نِيلَ منا ، ولكنّا لمّا رأينا مصابيحَ الحقّ قد عُطِّلت ، وعُنِّف القائلُ بالحق ، وقُتِل القائمُ بالقسط ، ضاقتْ علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسمعنا داعيًا يدعو إلى طاعة الرحمن وحُكم القرآن ، فأجَبْنا داعيَ الله ﴿ ومَن لا يُجِب داعيَ الله فليس بمُعجزٍ في الأرض[3] ﴾ فأقبلْنا من قبائلَ شتّى ، النفرُ منا على بعير واحد ، عليه زادُهم وأنفسُهم ، يتعاورُون لحافًا

(١) ضمير « رقى » يعود على حمزة ، لا على سليمان .
(٢) ف « فأبيتم » بدل . « فإن أبيتم » .
(٣) الاحقاف : ٣٢

واحداً ، قليلُون مستضعَفون فى الأرض ، فآوانا الله ، وأيّدَنا بنصره ، وأصبحنا — والله — بنعمتِه إخوانًا ، ثم لقينا رجالَكم بقُدَيْد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمنِ ، وحُكْم القرآن ودَعَوْنا إلى طاعةِ الشيطان ، وحُكْم مَروان ، وآلِ مَرْوان ، شَتّان — لعمرُ الله — ما بينَ الغَيّ والرُّشد ، ثم أقبلوا يُهْرعون ، ويَزِفُّون ، قد ضربَ الشيطانُ فيهم بِجِرانه ، وغَلَت بدمائهم مراجلُه ، وصَدّق عليهم ظَنَّه ، وأقبل أنصارُ الله عصائبَ وكتائبَ بكلِّ مهنّد ذى رونَق ، فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم ، بضربٍ يرتابُ منه المبطلون. وأنتم يا أهلَ المدينة ، إن تنصروا مروانَ وآلَ مروان يُسْحِتْكم اللهُ بعذاب من عنده أو بأيدينا ويَشْفِ صدورَ قومٍ مُؤمنين ، يا أهل المدينة: إن أوّلكم خيرُ أوّل ، وآخركم شرّ آخر ، يا أهل المدينة ، الناسُ منا ونحن منهم إلا مشركًا عابدَ وَثَن ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إمامًا جائراً ، يا أهل المدينة ، مَن زعم أن اللهَ تعالى كلَّف نفسًا فوق طاقتها ، أو سألها عمّا لم يُؤْتِها فهو لله عدوّ. ولنا حَرْبٌ . يا أهل المدينة ، أخبرونى عن ثمانيةِ أسهم فرضَها الله تعالى فى كتابه على القوىّ للضّعيف فجاء التاسعُ ، وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعَها[1] لنفسه مُكابراً مُحاربًا لربّه ، ماتقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟ يا أهل المدينة ، بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى ، قلتم : هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا شبابًا أحداثًا ! شَبابٌ والله مكْتَهِلون فى شَبابهم ، غَضيضةٌ عن الشرّ أعيُنهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفُسًا تموتُ غداً بأنفسٍ لا تموتُ أبداً ، قد خلَطوا كَلالهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيام نَهارهم ، مُنحنيةً أصلابُهم عَلَى أجزاء القرآن ، كلّما مروا بآيةِ خوفٍ شَهِقوا خوفًا من النار ؛ وإذا مروا بآية شوقٍ شَهِقوا شوقًا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف قد أُنضِيتْ ؛ وإلى الرماح قد أُشرِعتْ وإلى السهام قد فُوِّقَت ؛

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : «جميعهما» .

وأُرعدت الكتيبةُ بصواعقِ الموت استخَفّوا وعيد الكتيبةِ عند وعيد الله، ولم يستَخِفّوا وعيدَ الله عند وعيد الكتيبة؛ فطُوبَى لهم وحُسنُ مآب! فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بكَى بها صاحبُها من خَشْيةِ الله، وكم من يدٍ قد أُبِينَتْ عن ساعدها طالما اعتمدَ عليها صاحبُها راكعاً وساجداً. أقولُ قولى هذا، وأستغفرُ اللهَ من تقصيرنا، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

٥

مرتكب الكبيرة كافر

قال هارون: وحدثنى جدّى أبوعَلْقَمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر النبى صلى الله عليه وسلم يقولُ: «من زَنَى فهو كافر»، ومن سَرَق فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر:

١٠٥ / ٢٠

* بَرِح الخفاء فأينَ مابكَ يذهبُ *

١٠

خطبة أخرى ضافية له فى أهل المدينة

قال هارونُ: قال جدّى: كان أبو حمزة قد أحسن السيرة فى أهل المدينة، حتى استمالَ الناسَ، وسمع بعضُهم كلامَه فى قوله: من زنى فهو كافر، قال هارون: قال جدى: وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهلَ المدينةِ، مالى رأيت رسمَ الدين فيكم عافياً[1]، وآثارَه دارِسَة! لاتقبلون عليه عِظَة، ولا تفقهون من أهلِه حُجَّة، قد بَلِيتْ فيكم جِدّته، وانطمست عنكم سنّتُه، ترون معروفه مُنكراً، والمُنكرَ من غيره مَعروفاً، إذا انكشفت لكم العِبَر، وأوضحتْ لكم النُّذُر، عميتْ عنها أبصارُكم، وصُمّت عنها أسماعكم، ساهينَ فى غَمرة، لاهينَ فى غَفلة، تَنْبسطُ قلوبُكم للباطل إذا نُشِر، وتنقبضُ عن الحق إذا ذُكِر، مستوحِشَةً من العلم، مستأنِسَةً بالجهل، كلما وقعت عليها موعِظَةٌ زادتْها عن الحق نُفوراً، تحمِلون منها فى صدورِكم كالحجارة أو أشدّ قسوة من الحجارة، أوَ لم تبن لكتاب الله الذى لو أُنزِلَ على جَبَل لرأيتَه خاشعاً مُتصدِّعاً من خَشيةِ الله! يا أهلَ المدينةِ، ما تُغنى عنكم صحّةُ أبدانِكم

١٥

٢٠

(١) س، ب: «باقيا».

إذا سَقِمت قلوبُكم إن الله قد جعل لكل شىء غالبًا يُقادُ له ، ويطيعُ أمرَه ، وجعل القلوبَ غالبةً على الأبدان ، فإذا مالت القلوبُ مَيلا كانت الأبدانُ لها تبعًا ، وإنّ القلوبَ لاتلين لأهلها إلا بصحّتها ، ولا يصحّحُها إلا المعرفةُ بالله ، وقوّةُ النّية ، ونفاذُ البصيرة . ولو استشعرتْ تقوى الله قلوبُكم لاستعملتْ بطاعة الله أبدانكم . يا أهلَ المدينة ، دارُكم دارُ الهجرة ، ومَثْوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمّا نَبَتْ به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداءُ ، وتجهّمتْ له ، فنقله إلى قوم — لعَمْرى لم يكونوا أمثالكم — مُتوازرين مع الحقّ على الباطلِ ، ومختارين للآجلِ على العاجلِ ، يصبرون للضّرّاء رجاءَ ثوابها ، فنَصروا اللهَ ، وجاهدوا فى سبيله ، وآوَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصروه ، واتّبعوا النورَ الذى أُنْزل معه ، وآثروا اللهَ على أنفسهم ولو كانت بهم خَصاصَةٌ ، قال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولمَن اهتدى بهُداهم : ﴿ ومَن يوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون[1] ﴾ وأنتم أبناؤهم ، ومن بَقِىَ من خَلَفهم ، تَتْركون أن تقتدوا بهم ، أو تأخذوا بسنّتهم ، عُمْى القلوب ، صُمّ الآذان ، اتّبعتُم الهوَى ، فأرداكم عن الهُدَى وأسْهاكم ، فلا مواعظُ القرآن تزجرُكم فتزدَجروا ، ولا تعظُكم فتعتَبروا ، ولا توقظكم فتَستيقظوا ، لبئس الخَلَفُ أنتم من قوم مَضَوْا قبلَكم ، ماسِرتُم بسيرتهم ، ولاحَفِظتم وصيّتهم ، ولا احتذيتُم مثالَهم ، لوشُقّت عنهم قبورُهم ، فعُرِضَت عليهم أعمالُكم لعَجِبوا كيف صُرِفَ العذابُ عنكم . قال : ثم لَعَن أقوامًا .

ثم خطبة رابعة رائعة

قال هارون : وحدثنى داود بن عبدالله بن أبى الكِرام ، وأخرَجَ إلىّ خط ابن فَضاله النحوى بهذا الخبر :

أن أبا حمزةَ بلغه أن أهلَ المدينة يَعيبون أصحابَه لحداثة أسنانهم ، وخفّة أحلامهم ، فبلَغه ذلك عنهم ؛ فصَعِد المنبر ؛ وعليه كِساء غليظٌ ؛ وهو متنكّبٌ قوسًا عربية فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم قال : يا أهلَ المدينة ، قد بلغتْنى مقالتُكم فى أصحابى ، ولولا معرفتى بضعفِ رأيكم

(١) الحشر : ٩

وقلّة عقولكم لأحسنتُ أدبكم، ويحكم! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الكتابُ، وبُيِّن له فيه السُّنن، وشرع له فيه الشرائع، وبُيِّنَ له فيه ما يأتى وما يذَر، فلم يكن يتقدّمُ إلا بأمر الله، ولا يُحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه — صلى الله عليه وسلم — وقد أدّى الذى عليه، لم يدعكم من أمركم فى شُبهة، ثم قام من بعده أبو بكر؛ فأخذ بسُنّته، وقاتل أهلَ الرِّدّة؛ وشمّر فى أمر الله؛ حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضُون، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه؛ ثم وَلِى بعده عُمر، فأخذ بسنة صاحبَيْه، وجنّد الأجنادَ؛ ومصّر الأمصارَ؛ وَجَبى الفَىْء؛ فقسّمه بين أهله؛ وشمّر عن ساقه، وحَسَر عن ذراعه، وضرب فى الخمر ثمانين، وقام فى شهر رمضان، وغزا العدُوَّ فى بلادهم؛ وفتح المدائنَ والحصونَ؛ حتى قَبضهُ الله إليه والأمة عنه راضُون، رحمةُ الله عليه ورضوانُه ومغفرته، ثم وَلِى من بعده عُثمانُ بنُ عفان فعَمِل فى ستٍّ سنين بسُنّة صاحبيه؛ ثم أحدث أحداثًا أبطل آخرٌ منها أولًا، واضطرب حبلُ الدين بعدها، فطلبها كلُّ امرىء لنفسه، وأسرّ كلُّ رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه؛ حتى مَضَوْا على ذلك، ثم وَلِيَ علىّ بنُ أبى طالب، فلم يبلغ من الحق قَصْداً؛ ولم يرفع له مناراً ومضى؛ ثم وَلِى معاويةُ بنُ أبى سفيان لعينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ لعينه، وحِلْف من الأعراب، وبقيةٌ من الأحزاب، مؤلّف طليق، فسفك الدمَ الحرامَ، واتّخذ عباد الله خَوَلا، ومالَ اللهِ دُوَلا، وبغى دينه عِوَجًا ودَغَلا[1]، وأحلّ الفرج الحرام، وعَمِل بما يشتهيه؛ حتى مَضَى لسبيله، فعل اللهُ به وفَعَل، ثم ولى بعده ابنه يزيدُ: يزيدُ الخمور، ويزيدُ الصّقور، ويزيدُ الفهود، ويزيدُ الصّيود، ويزيدُ القُرود، نخالف القرآنَ، واتبع الكهّان، ونادم القِردَ، وعَمِل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعَنَهُ الله، وفعلَ به وفعلَ، ثم وَلِيَ مروانُ بنُ الحكم طريدٌ لعينُ رسول الله — صلى الله

(١) دغلا: فسادا.

عليه وسلم وآله — وابنُ لعينه؛ فاسقٌ فى بطنه وفرْجه، فالعنوه والعنوا آباءه. ثم تداولها بنو مروان بعده؛ أهلُ بيتِ اللعنة، طُرَداءُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم وآله — وقومٌ من الطلقاء ليسوا من المهاجرينَ والأنصارِ ولا التابعين لهم بإحسان، فأكلوا مالَ الله أكلا، ولعبوا بدين الله لَعِبا، واتّخذوا عبادَ الله عبيداً، يُورّث ذلك الأكبرُ منهم الأصغرَ. فيالها أمةً، ما أضيعَها وأضعفَها! والحمد لله ربّ العالمين، ثم مَضَوا على ذلك من أعمالهم واستخفافِهم بكتابِ الله تعالى؛ قد نبذُوه وراءَ ظهورهم، لعنهم الله؛ فالعنوهم كما يستحقُّون؛ وقد وَلِى منهم عمرُ بن عبد العزيز؛ فبلغ؛ ولم يَكَدْ؛ وعجزَ عن الذى أظهرَه، حتى مَضَى لسبيله — ولم يذكُرْه بخير ولا شرٍّ —[1] ثم وَلِىَ يزيدُ بنُ عبد الملك، غلامٌ ضعيفٌ سفيه غيرُ مأمونٍ على شىء من أُمور المسلمين، لم يبلغ أشدّه، ولم يؤانسْ رُشدهُ، وقد قال الله عزوجلّ: (فإن آنستُم منهم رُشداً فادفعوا إليهم أموالهم[2]) فأمرُ أمة محمدٍ فى أحكامها وفروجها ودمائها أعظمُ من ذلك كلّه، وإن كان ذلك عند الله عظيماً، مأبون فى بطنه وفَرجه، يشربُ الحرام، ويأكلُ الحرام، ويلبسُ الحرامَ، ويلبسُ بردتين قد حِيكتَا له، وقُوِّمتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقلّ، قد أُخذَتْ من غير حِلّها وصُرِفتْ فى غير وجهها، بعد أن ضُرِبتْ فيها الأبشار[3]، وحُلقتْ فيها الأشعار، واستُحلّ ما لم يُحلُّ الله لعبدٍ صالح، ولا لنبى مُرسَل، ثم يُجلِسُ حَبَابة عنْ يمينه، وسَلّامة عن شِماله تُغنّيانه بمزامير الشّيطانِ، ويشربُ الخمر الصُّراح المحرمة نصًّا بعينها، حتى إذا أخذت مأخذَها فيه، وخالطت روحَه ولحمَهُ ودَمه، وغلبتْ سَوْرتُها على عَقله مزّق حُلّتَيْه[4]، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنانِ لى أن أطيرَ؟ نعَم، فَطِرْ إلى النار، إلى لعنةِ الله وناره حيث لا يردُّك الله.

ثم ذكر بنى أمية وأعمالَهم وسيرَهم فقال: أصابُوا إمرة ضائعةً وقوماً طَغَاماً جُهّالا، لا يقومون لله بحق، ولا يفرّقون بين الضلالة والهُدَى، ويرون أن بنى أمية

(١) ما بين القوسين من كلام المؤلف.
(٢) النساء : ٦
(٣) الأبشار: جمع بشرة أى الجلود.
(٤) ف : «حلته»

أربابٌ لهم ، فملكوا الأمرَ ، وتسلّطوا فيه تسلُّطَ رُبوبيّة ، بطشُهم بطشُ الجبابرة ، يحكمون بالهوَى ، ويقتُلون على الغضب ، ويأخذُون بالظنّ ، ويُعطِّلون الحدودَ بالشفاعات ، ويؤمِّنُون الخَونةَ ويُقصُون ذَوى الأمانةِ ، ويأخذون الصدقةَ فى غير وقتها على غير فَرضها ، ويضعونَها فى غيرِ موضعِها ، فتلك الفرقةُ الحاكمةُ بغير ما أنزل اللهُ ، فالعَنوهم ، لعَنَهُم اللهُ !

وأما إخوانُنا من هذه الشيّعة فليسوا بإخوانِنا فى الدين ، لكن سمعتُ اللهَ عز وجل قال فى كتابه : (يأيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفُوا[1]) شيعةٌ ظاهرتْ بكتاب الله ، وأعلنت الفِريةَ على الله لا يرجعون إلى نظَر نافذٍ فى القرآن ، ولا عقلٍ بالغ فى الفِقه ، ولاتفتيشٍ عن حقيقةِ الصّواب ، قد قلّدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينَهم عصبيّة لحزبٍ لزموه ، وأطاعوه فى جميع ما يقوله لهم ، غيًّا كان أو رُشداً ، أوضَلالةً أو هُدًى ، ينتظرون الدُّوَل فى رَجْعةِ الموتى ، ويؤمنونَ بالبعث قبلَ الساعةِ ، ويدّعون علم الغيب لمخلوق[2] ، لا يعلم أحدُهم مافى داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبُه أو يحويه جسمه ، يَنقِمون المعاصىَ على أهلها ، ويعملُون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرجَ منها ، جُفاة فى الدين ، قليلةٌ عقولُهم ، قد قلّدوا أهل بيتٍ من العربِ دينَهم ، وزعموا أن موالاتَهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عقاب الأعمال السيئة (قاتلهم الله أنّى يُؤفَكون[3]) فأىّ هؤلاء الفِرق يا أهل المدينة تَتّبعون ؟ أو بأىّ مذاهبِهم تقتَدون ؟ وقد بلغنى مقالتُكُم فى أصحابى ، وما عبتموه من حَداثة أسنانهم ، ويحكُم ! وهل كان أصحابُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم وآله — المذكورون فى الخير إلا أحداثا شبابا ؟ شبابٌ والله مكتَهلون فى شبابهم ، غَضيضةٌ عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة[4] قد

(١) الحجرات : ١٣ (٢) ف : « لمخلوقين » (٣) التوبة : ٣٠
(٤) أنضاء : جمع نضو ، وهو فى الأصل البعير المهزول من السفر ، والمراد أن العبادة هزلتهم فأنحفتهم .

نظر اللهُ إليهم فى جَوْف الليل مُنحنيةً أصلابُهم على أجزاء القرآن، كلما مرَّ أحدُهم بآية من ذكر الله[1] بكى شَوقًا، وكلما مرّ بآية من ذكر الله شَهِق خوفًا، كأن زفيرَ جهنمَ بين أذُنيه، قد أكلت الأرضُ جباهَهم ورُكَبهم، ووصلوا كَلَالَ الليل بكلال النهار مصفرّةً ألوانُهم، ناحلةً أجسامُهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنضاءُ عبادةٍ، مُوفُون بعهد الله، مُنتَجِزُون لوعد الله، قد شَرَوْا أنفسهم، حتى إذا التقت الكتيبتان وأبرقت سُيوفُها وفُوّقت[2] سِهامُها، وأشرِعتْ رماحُها لقُوا شَبا الأسنّة، وشائكَ السهام، وظُباةِ السيوفِ بنُحورهم ووُجوهِهم وصُدورهم، فمضى الشابُّ منهم قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عُنُق فرسه، واختضَبتْ محاسنُ وجههِ بالدماء، وعُفِّر جبينُه بالثرى، وانحطّتْ عليه الطير من السماء، وتمزقتْه سِباعُ الأرض، فكم من عين فى مِنقار طائر، طالما بكى بها صاحبُها فى جَوْفِ الليل من خوف الله! وكم من وجهٍ رقيق وجَبين عتيق قد فُلِق بعَمَد الحديد. ثم بكى وقال: آه آه على فِراق الإخوان! رحمةُ الله على تلك الأبدان، وأدخل الله أرواحَهم الجِنان.

قال هارون: بلغنى أنه بايعه بالمدينة ناسٌ منهم إنسان هُذَلىّ، وإنسان سُراقى وسَكسبٌ[3] الذى كان معلم النحو، ثم خرج، وخلّف بالمدينة بعضَ أصحابه، فسار حتى نزل الوادى، وكان مروان قد بعثَ ابن عطية.

مروان يغزوهم بجيش يقوده ابن عطية

قال هارون: حدثنى أبو يحيى الزُّهْرى أن مروانَ انتخَبَ من عسكره أربعةَ آلاف استعمل عليهم ابن عطية، فأمره بالجدِّ فى السير، وأعطى كلَّ رجل من أصحابه مائةَ دينار، وفرسًا عربيًّا، وبغلا لثِقَله، وأمره أن يَمضى، فيقاتِلَهم.

يتيامنون بغلام

وقال المدائنى: بعث عبد الملك بن عطية السعدى، أحد بنى سعد بن بكر فى أربعة آلافٍ، معه فرسانٌ من أهل الشأم ووجوهِهم، منهم شُعَيب البارقى، ورومى بن ماعز

(١) ف: «من ذكر الجنة»

(٢) ركبت فى الفوق وهو موضع السهم من الوتر، والمراد الإعداد للحرب.

(٣) فى ف: وسكسب الذى كان معلم نحو، وسيأتى أنه بشكست فى ص ٢٤٨ من هذا الجزء

المُرّى ، وقيل : بل هو كِلابىّ ، وفيهم ألفٌ من أهل الجزيرة ، وشرطوا على مروانَ أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه ، رجعوا إلى الجزيرة ، ولم يقيموا بالحجاز ، فأجابهم إلى ذلك ؛ قالوا : نخرج ؛ حتى إذا نزل بالمَعلّى . فكان رجلٌ من أهل المدينة يقال له : العلاء بن أفلح مولى أبى الغَيْث يقول :

٥ لقِيَنى وأنا غلام فى ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية ؛ فسألنى : ما اسمك ياغلام؟ فقلت : العلاء ، فقال : ابنُ من ؟ فقلت : ابنُ أفلح ، قال : أعرابىٌّ أم مولى ؟ قلت : بل مولى ، قال : مولى مَن ؟ قلت : مولى أبى الغَيْث ، قال : فأينَ نحنُ ؟ قلتُ : بالمعلّى ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلتُ : بغالِب ، قال : فما كلّمنى ، حتى أردفنى خلفَه ، ثم مضى بى ، حتى أدْخَلنى على ابن عطية ، فقال : سل هذا الغلام : ما اسمه؟ فسألنى ، فرددت عليه

١٠ القولَ الذى قلت ، فسُرّ بذلك ؛ ووهب لى دراهم .

أبو صخر الهذلى يستبشر بابن عطية

وقال أبو صخر الهذلىُّ حين بلغه قدومُ ابن عطية :

قل للذين استُضعِفوا لا تعجَلوا ... أتاكمُ النصر وجيشٌ جَحْفَلُ

عشرونَ ألفًا كلّهم مُسربَلٌ ... يقدُمهم جَلْد القُوى مُستَبسِلُ

دونَكمُ ذا يَمنٍ فأقبِلوا ... وواجِهوا القومَ ولا تستَخْجِلوا [1]

١٥ عبدُ المليكِ القُلّبىُّ الحُوّلُ ... أقسمَ لا يُفْلَى ولا يُرَجَّلُ

حتى يبيدَ الأعورُ المضلِّلُ ... ويقتلَ الصَّباح والمفضَّلُ

الأعورُ عبد الله بن يَحيى رئيسُهم .

ابن عطية ينتصر على بلج

قال المدائنى عن رجاله : وبعثَ أبو حمزةَ بلجَ بن عقبة فى ستمائة رجل ليقاتلَ عبدَ الملك بنَ عطية ، فلقيه بوادى القُرى لأيام خلتْ من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة

٢٠ فتواقفوا ، ودعاهم بلجٌ إلى الكتاب والسنة ، وذكَر بنى أمية وظُلمَهم ، فشتَمهم أهل

(١) فى س . ب « ذا يمين » بدل « ذا يمن »

الشام ، وقالوا : أنتم يا أعداء الله أحقّ بهذا ممن ذكرتم وقلتم ؛ تحمل عليهم بلْجٌ وأصحابُه، فانكشف طائفة من أهل الشام ، وثبت ابن عطية فى [(١)] عصبةٍ صبروا معه ، ونادى يا أهلَ الشام يا أهلَ [(١)] الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكرُّوا ، وصبروا صبراً حسناً ، وقاتلوا قتالا شديداً ، فقُتِل بلْجٌ وأكثرُ أصحابه ، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به ، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثةَ أيام فقتَلَ منهم سبعين رجلا ونجا ثلاثون ، فرجعوا ٥
١٠٩ / ٢٠
إلى أبى حمزة ، ونصب ابنُ عطية رأسَ بلْجٍ على رُمحٍ ، قال : واغتمّ الذين رجعوا إلى أبى حمزة من وادى القُرى إلى المدينة ، وهم الثلاثون ، ورجموا وجزعوا من انهزامهم ، وقالوا : ما بررنا من الزَّحف ، فقال لهم أبو حمزة : لا تجزعوا ، فأنا لكم فِئَة وإلىّ انصرفتم .

أهل المدينة ينقضون على الخوارج

قال المدائنى : وخرج أبو حمزةَ من المدينة إلى مكة ، واستخلف رجلا يقال له : ١٠ المفضّــل عليها ، فدعا عمرُ بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الناسَ إلى قتالهم ، فلم يجد كبيرَ أمرٍ ؛ لأن القتل قد كان شاع فى الناس ، وخرج وجُوه أهلِ البلد عنه ؛ فاجتمع إلى عمرَ البربرُ والزِّنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشُّراة ؛ فقتِل المفضّلَ وعامّةُ أصحابه ؛ وهرب الباقون ؛ فلم يبق فى المدينة منهم أحد ؛ فقال فى ذلك سُهيْل أبو البيضاء مولى زينب بنتِ الحكم بن العاصى : ١٥

ليت مروانَ رآنا يوم الاثنين عَشِيَّهْ
إذ غسلنا العارَ عنّا وانتضينا المَشْرَفيّهْ

قال : فلما قدم ابنُ عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد ؛ فقال له : أصلحك اللهُ ! إنّى جمعتُ قَضِّى وقَضيضى [(٢)] ؛ فقاتلت هؤلاء ؛ فقتلنا مَن امتنعَ من الخروج عن المدينة وأخرجنا الباقين ، فلقيه أهل المدينه بقَضِّهم وقضيضِهم . ٢٠

---

(١) مابين الرقمين زيادة فى ف .

(٢) مثل يضرب للجمع بين الصغير والكبير .

مصرع أبي حمزة وزوجته

قال : وأقام ابنُ عطيةَ بالمدينة شهراً ؛ وأبو حمزة مقيم بمكة ؛ ثم توجّه إليه فقال له عليّ بنُ حُصين العنبريّ : إني قد كنت أشرتُ عليك يوم قُدَيد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم ، فلم تفعل ، وعرّفتُك أنهم سيغدِرون فلم تقبل ؛ حتى قتلوا المفضّل وأصحابَنا المقيمين بالمدينة ؛ وأنا أشيرُ عليك اليومَ أن تضع السيفَ في هؤلاء ؛ فإنهم كَفَرة فَجَرة ؛ وَلو قدِم عليك ابن عطية لكانوا أشدّ عليك منه ؛ فقال : لا أرى ذلك ؛ لأنهم قد دخلوا في الطاعة ؛ وأقروا بالحكْم ؛ وَوَجب لهم حقُّ الولاية ؛ قال : إنهم سيغدِرون ؛ فقال : أبعدهم اللهُ ، (فمن نكثَ فإنما ينكُث على نفسه[1]) . قال: وَقدم عبدالملك ابن عطية مكةَ ، فصيّر أصحابه فِرقتين ، ولقيَ الخوارج من وجهين ؛ فصيّر طائفةً بالأبطح ؛ وَصار هو في الطائفةِ الأخرى بإزاء أبي حمزة ؛ فصار أبو حمزة أسفلَ مكةَ ؛ وصيّر أبرهةَ بن الصبّاح بالأبطح في ثمانين فارساً ، فقاتلهم أبرهة ؛ فانهزم أهل الشأم إلى عَقَبة مِنى ؛ فوقفوا عليها ؛ ثم كرُّوا ؛ وَقاتلهم ؛ فقُتل أبرهةُ : كمَن له هبّار القُرشيّ ؛ وَهو على جبل دمشق عندَ بئر ميمون ؛ فقتله ؛ وَتفرق الخوارجُ ؛ وَتبعهم أهلُ الشأم يقتلونهم ؛ حتى دخلوا المسجد ، والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة ؛ فخرج أهل مكة مع ابن عطية ؛ فقتِل أبو حمزة على فَم الشِّعب وَقُتِلتْ معه امرأته ؛ وهي ترتجز وَتقول :

أنا الجَعيدَاءُ وَبنتُ الأعلمْ من سال عن إسمي فإسمي مَريمْ

* بعتُ سِواريّ بسيف مِخذَمْ[2] *

صلب أبي حمزة وأبرهة

قال : وَتفرّقتِ الخوارجُ فأسر أهلُ الشام منهم أربعمائة ؛ فدعا بهم ابنُ عطية ؛ فقال : ويلَكم ! ما دعاكم إلى الخروج مع هذا ؟ قالوا : ضمن لنا الكَنّة : يريدون الجَنّة ، وهي لغتُهم ، فقتلهم ، وصلَبَ أبا حمزة وأبرهةَ بنَ الصبّاح ورجلَين من أصحابهم على فَم

(١) الفتح : ١٠

(٢) مخذم : قاطع .

١١٠
٢٠

الشّعب : شِعب الخيْف ، ودخل على بن الحصين داراً من دُور قريش ، فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها ، فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلَهم وأُسِر فقُتِل ، وصُلِب مع أبى حمزة ، ولم يزالوا مصلَّبين حتى أفضى الأمرُ إلى بنى العباس ، وحجَّ مهلهل الهُجَيمىّ فى خلافة أبى العباس ، فأنزل أبا حمزة ليلا ، فدفنه ، ودفن خشبته .

مصرع مخنثين

٥ قال المدائنى : وكان بمكة مُخَنَّثان ، يقال لأحدهما : سبكت ، وللآخر : صَقْرة[1] ، فكان صقرة يرجُف بأهل الشام ، وكان سبكت يرجُف بالإباضية ، فعرف الخوارج أمرهما ، فوجهوا إلى سبكت ، فأخذوه فقتلوه ، فقال صقرة : يا ويله هو والله أيضاً مقتول ، وإنما كنت أنا وسبكت نتكايد ونتكاذب ، فقتلوه ، وغدًا يجىء أهل الشام ، فيقتلونَنى ، فلما دخل ابنُ عطية مكة عرف خبرَهما ، فأخذ صقْرةَ ، فقتله . ١٠

وقال هارون فى خبره : أخبرنى عبدالملك بنُ الماجِشون ، قال :

مذهب ابن عطية

لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة : لا تقاتلوهم حتى تختبروهم فصاح بهم : ما تقولون فى القرآن والعملِ به ؟ فصاح ابن عطية : نضعه فى جوف الجوالق[2] ، قال : فما تقولونَ فى مال اليتيم ؟ قال : نأ كل ماله ؛ ونفجُر بأمّه ، [ثم أجاب[3]] فى أشياء بلغنى أنه سأله عنها ؛ فلما سمعوا كلامَهم قاتلوهم ؛ حتى أمسَوا ؛ فصاحت الشُّراةُ : ويحك ، يا بن عطية ! إن الله — جل وعز — قد جعل الليل سكَناً ؛ فاسكن ونسكن ؛ فأبى وقاتلَهم ؛ حتى قتلَهم جميعاً . ١٥

أهل المدينة يجهزون على من بقى منهم

قال هارون : أخبرنى موسى بن كَثير أن أبا حمزة خطب أهلَ المدينة ، وودَّعهم ؛ ليخرجَ إلى الحرب ، فقال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون لحرْب مرْوان ، فإن نظهرْ

٢٠

(١) ف : « يقال لأحدهما سبكت وللاخر صعترة »
(٢) الجو ق — بضم الجيم وكسرها وفتح اللام وكسرها : الوعاء وجمعه جوالق والمراد به (الشوال) .
(٣) زيادة يقتضيها المقام .

نعدلْ فى أحكامكم ؛ ونحملكم على سنّةِ نبيكم ، ونقسم بينكم ، وإن يكن ما تمنّوْن لنا فسيعلمُ الذين ظلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينقلبون ، قال : ووثب الناسُ على أصحابه حين جاءهم قتلُه ، فقتلوهم ، فكان بشكستُ ممن قُتلوا ، طلبوه فرقِىَ فى درجة كانت فى دار أُذينة ، فلحقوه فأنزلوه منها ، وهو يصيح : يا عباد الله ، فيم تقتلوننى ؟

٥ قال : وأنشدنى بعضُ أصحابنا :

لقد كان بشكستُ عبد العزيز ... منَ اهل القراءةِ والمسجدِ

فبُعداً لبشكستِ عبد العزيز ... وأمّا القُرانُ فلا يَبعـــــدِ

سحقا للشارى والشامى معا

قال هارون : وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رأى رجلا واقفًا على سطح يرمى بالحجارة فقيل : ويلك ! أتدرى من ترمى مع اختلاط الناس ؟ قال : والله ما أبالى مَن رميت ؟ إنما ١٠ هو شامٍ وشارٍ ، والله ما أُبالى أيَّهما قتلتُ !

مصرع طالب الحق

وقال المدائنى : لما قَتَل ابنُ عطية أبا حمزة بعث برأسه مع عُروة بن زيد بن عطية إلى مَروانَ ، وخرج إلى الطائف ، فأقام بها شهرين ، وتزوج بنتَ محمد بن عبد الله بن أبى سويد الثقفى ؛ واستعمل على مكة روميَّ بنَ عامر المُرّى . وأتى فَلُّ أبى حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه أصحابُه . — وقد لقبوه طالبَ الحق — يريد قتالَ ١٥ ابنِ عطية ، وبلغ ابنَ عطيةَ خبرُه ، فشخَصَ إليه ، فالتقوا بكسة[1] ، فأكثر أهلُ الشام القتلَ فيهم ، وأخذوا أثقالهم وأموالهم ، وتشاغلوا بالنّهب ، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم ، فقتَل منهم نحو مائة رجل ، وقتلَ قائداً من قوّادهم يقال له : يزيد بن حَمل القُشَيْرىّ من أهل قِنَّسْرين ، فذمرهم[2] ابن عطية ، فكرُّوا ، وانضم بعضُهم إلى بعض . ٢٠ وقاتلوا حتى أمسَوْا ، فكفَّ بعضُهم عن بعض ، ثم التقَوْا من غد فى موضع كثيرِ الشجر

١١١/٢٠

٢٠ (١) فى ف « فالتقوا بكثبة » وهى موضع .
(٢) ذمرهم : حثهم

والكَرْم والحيطان ، فطال القتالُ بينهم ، واستحرّ القتلُ فى الشُّراة ، فترجّل عبدُ الله بنُ يحيى فى ألف فارس ؛ فقاتلوا ، حتى قُتِلوا جميعاً عن آخرهم ؛ وانهزم الباقون ؛ فتفرّقوا فى كلّ وجه . ولِحَق مَن نجا منهم بصنعاء ؛ وولّوا عليهم حَمامة[1] فقال أبو صخر الهُذَلىّ :

قتلنا دُعيساً والذى يكتَنى الكُنى ... أبا حمزة الغاوى المضلّ اليمَانيا

وَأبرهةَ الكِندىَّ خاضتْ رماحُنا ... وبلْجاً صبحناه الُحتوفَ القَواضيا[2]

وَما تركت أسيافُنا منذ جُرِّدَت ... لمروَانَ جبّاراً على الأرض عاديا[3]

قال المدائنى :

وَبعث عبدُ الملك بن عطية رأسَ عبدِ الله بن يحيى مع ابنه يزيدَ بنِ عبد الملك إلى مروَان.

وقال عمرو بن الحصين — وَيقال : الحسن العنبرى — مولى لهم يرثى عبد الله بن يحيى وَأبا حمزة . وَهذه القصيدة التى فى أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار : ١٠

مطولة فى رثاء الشراة

هبّتْ قُبيلَ تبلُّج الفجرِ ... هنــــدٌ تقول وَدمعُها يَجرى

أن أبصرتْ عينى مَدامعَها ... ينهلّ واكِفُها على النّحر

أنّى اعتراكَ وكنتَ عهدىَ لا ... سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صبْر

أقذًى بعينك ما يفُارقها ... أم عائرٌ[4] أم مالها تُذرِى ؟

أم ذِكرُ أخوان فُجِعتَ بهم ... سلكوا سبيلَهُمُ على خُبْرِ ١٥

فأجبتُها بل ذكرُ مصرَعِهم ... لا غيرُه عــــبراتُها تَمرِى

يا ربِّ أسلِكنى سَبيلَهمُ ... ذا العرش واشْدُد بالتقى أزرِى

(١) فى هج « حمانة » بالنون .

(٢) فى ف «السيوف» بدل «الحتوف» .

(٣) فى ف « حسادا » بدل « جبارا » . ٢٠

(٤) كذا فى ا ، ف ومعناه : كل ماأعل العين كالعوار ، وفى س ، ب : « عابر » .

في فِتيةٍ صبروا نفوسَهمُ للمشرفيّة وَالقَنا السُّمْرِ
تاللهِ ألقى الدهرَ مثلَهمُ حتى أكونَ رهينةَ القبرِ
أوفى بذمتهم إذا عَقَدُوا وَأعفّ عنه العُسر واليُسرِ
متأهِّلينَ لكلِّ صالحةٍ ناهين مَنْ لاقوْا عن النُّكْرِ
٥ صُمتٌ إذا احتضروا مجالسَهم وُزُن لقول خطيبهم وُقْرُ[(١)]
إلّا تجيبهمُ فإنهمُ رُجُف القلوب بحضْرة الذِّكْرِ[(٢)]
متأوِّهون كأنّ جمرَ غضاً للخوف بين ضلوعهم يَسرى
تلقاهمُ إلاّ كأنّهمُ لخشوعهم صَدَروا عن الحَشْرِ
فهمُ كأنّ بهم جَوى مرضٍ أو مسّهمْ طَرْفٌ من السِّحرِ
١٠ لا ليلُهم ليلٌ فيلبَسُهم فيه غَواشى النومِ بالسُّكْرِ
إلّا كذا خُلساً وآونةً حذرَ العقابِ وهم على ذُعْرِ
كم من أخ لك قد فُجعتَ به قوّامُ ليلتِه إلى الفَجْرِ
متأوِّهٍ يتلو قوارعَ مِن آى القُران مفزَّعِ الصَّدْرِ
نَصِبٍ تجيشُ بناتُ مُهجته بالموت جَيْش مُشَاشةِ القِدْرِ[(٣)]
١٥ ظمآنَ وقدة كلِّ هاجرةٍ تَرّاكُ لذّته على قَدْرِ

١١٢
٢٠

(١) فى ف «أذن» ، ووقر جمع وقور ، أى رزين ، وسكنت العين .
(٢) فى ف «إلا تحيّهم» .
(٣) فى حـ «ملخوف جيش» ، ومشاشة القدر : العظم الهش فى أطراف المفاصل ، والجيشان : التحرك والاضطراب .

تَرّاكَ ما تهوى النفوسُ إذا رُغَبُ النفوسِ دَعتْ إلى النَّذْرِ [١]

[٢]ومبرّأً من كل سَيِّئةٍ عفٍّ الهوى ذُو مِرّةٍ شَزْرِ [٢]

والمصطلِى بالحرب يسعَرُها بغبارها وبفتيةٍ سُعْرِ

يجتاحها بأحلَّ ذى شُطَبٍ عضبِ المضارب قاطعِ البَتْرِ [٣]

لا شىء يلقاه أسرَّ له من طعنةٍ فى ثُغْرةِ النَّحرِ ٥

نجلاء مُنهَرة تَجِيشُ بما كانت عواصى جَوفِهِ تَجرى [٤]

كخليلكَ المختارِ أذْكِ به من مقتدٍ فى الله أو مُشْرِ

خوّاض غمرةٍ كلٍّ مَتلفة فى الله تحت العِثْيرَ الكُدْرِ [٥]

تَرّاكِ ذِى النَّخوات مُختَضِبًا بنجيعه بالطَّعنة الشَّزْرِ

وابن الحصين وهل له شَبَهٌ فى العرف أنَّى كان والنُّكْرِ ١٠

بسّامةٍ لم تُحنَ أضلُعه لذوى أُخوّته على غِمْرِ

طلق اللسانِ بكلٍّ مُحكمة رآبُ صدع العَظم ذِى الوقْرِ

لم ينفكك فى جوفه حَزَنٌ تغلى حرارتُه وتستَشرى

ترقى وآونة يُخَفِّضُها بتنفّس الصُّعَداء والزَّفْرِ

ومُخالطى بَلْجٍ وَخالصتى سُمُّ العدوّ وجابر الكَسْرِ ١٥

نِكلِ الخصومِ إذا هُمُ شَغِبوا وسِداد ثُلمة عورة الثَّغْرِ

(١) النذر : النحب والأجل .

(٢-٢) زيادة فى ف . والشزر : الشدة والصعوبة .

(٣) عضب المضارب قاطع البتر ، صفات السيف البتار

(٤) كذا فى ف وقد تقدم شرح منهرة . ٢٠

(٥) العثير الكدر : الغبار .

والخائضُ الغمراتِ يخطِرِ في وسط الأعادى أيَّما خَطْرِ
بمشطَّبٍ أو غيرِ ذى شطَب هامَ العِداَ بذُبابِهِ يَفْرِى
وأخيكَ أبرهةَ الهجان أخى الــحَرْبِ العَوانِ مُلقِّــحِ الجَمْرِ
بمُرِشَّةٍ فَرْغٍ تَشُجُّ دَمًا ثَجَّ الغوىّ سُــــلافَةَ الخَمْرِ
والضارب الأخدودِ ليس لهـا حَدٌّ ينهنها عن السَّــحْرِ
وولىِّ حكمهم فجعتُ به عمرو فَوا كَبِدى على عمْرِو !
قوّالُ مُحكمَةٍ وذى فَهَمٍ عَفٍّ الهوى متثبّتِ الأمْرِ
ومسيَّبٍ فاذكرْ وصيّتَه لاتنسَ إمّا كنتَ ذا ذُكْرِ
فكلاهما قد كان مُحْتَسِبًا لله ذَا تقوى وذا بِرِّ
فى مُخْبِتِينَ ولم أُسمّهمُ كانوا يدى وهمُ أولو نَصرِى
وهمُ مساعرُ فى الوغى رُجُحٌ وخيارُ مَن يَمشى على العَفْرْ[1]
حتى وَفَوْا لله حيث لَقُوا بعهودٍ لا كذبٍ ولا غَدْرِ
فتخالَسوا مُهجاتِ أنفسهم وعُداتهم بقواضبٍ بُتْرِ
وأسنَّةٍ أُثبِتْنَ فى لُدُنٍ خَطِّيةٍ بأكفِّهم زُهْــرِ
تحتَ العَجاجِ وفوقَهم خِرَقٌ يخفِقْنَ من سُودٍ ومن حُمْرِ
فتفرّجتْ عنهم كأنّهمُ[2] لم يُغمِضوا عيناً على وِتْرِ

(١) مساعر ، جمع مسعر ، يقال ، فلان مسعر حروب ومردى حروب : إذا كان من المجدين المتحمسين لها ، والعفر : التراب .
(٢) ب : « كأنهم »

فشعارُهم نيرانُ حربِهِمُ ما بين أعلى الشِّحْر فالحِجْر[1]
صرعَى فَحاجِلةٌ تنوشُهُم وخَوامِعٌ لُحماتِهِمْ تَفْرى[2]

ابن عطية يتوجه إلى صنعاء

قال المدائنى : وكتب مروانُ إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء ، ليقاتل مَن بها من الخوارج ، فاستخلفَ ابنَه محمد بن عبد الملك على مكة ، وعلى المدينة الوليدَ بنَ عروة ابن عطية ، وتوجّه إلى صنعاء ، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلادهم ، وكذلك كان مروان شَرَط لهم ، فلما قرُب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها ، فأخذ[3] أهْل صنعاء أثقاله وحملين من مالٍ كان معه ، فسلّموا ذلك إلى ابن عطية ، وتتبع أصحابَ عبد الله بن يحيى فى كل موضع يقتلُهم ، وأقام بصنعاء أشهراً ، ثم خرج عليه رجل من أصحابِ عبد الله بن يحيى فى آل ذى الكلاع ، يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السّباق فى جمع كثير بالجند ، فبعثَ إليه ابنُ عطية ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، فلقيه بالحرب ، فهزمه ، وقتل عامة أصحابه ، وهرب منه فنجا ، وخرج عليه يحيى ابن كَرْب الحميرى بساحل البحر ، وانضمت إليه شُذّاذُ الإباضية ، فبعث إليه أبا أمية الكِندىّ فى الوضاحية ، فالتقَوْا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحوَ مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء فهربت الإباضية إلى حَضْرموت ، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له : عبدالله ابن معبد الجرْمى[4] ، فصار فى جيش كثير ، واستفحل أمرُه . وبلغ ابنَ عطية الخبرُ ، فاستخلف ابنَ أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء ، وشخص إلى حضرموت وبلغ عبدَ الله بن معبد مسيرُ عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعامَ وكلَّ مايحتاجون إليه فى

(١) الشحر ويكسر : بلد على الخليج الفارسى ، والحجر : بلد بأعلى المدينة . وفى هج : «السحر والنحر»

(٢) فحاجلة : جمع فحجل وهو الأفحج الذى تتدانى صدور قدميه ، وتنوشهم : تتناولهم ، خوامع : ضباع جمع خامعة ، وفى ف «تبرى» .

(٣) ب ، س : « فأخذ أثقاله وحملين من مال كان مع أهل صنعاء فسلموا .. الخ والعبارة غير مستقيمة

(٤) فى هج : « عبد الله بن سعيد الحضرمى » .

مدينة شبام[1] وهى حصن حضرموت مخافة الحصار . ثم عزموا على لقاء ابن عطية فى الفلاة ، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت ، فى عدد كثير فى فلاة . وأتاهم ابن عطية ، فقاتَلهم يومه كلّه ، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا فى شبام حَدَر عسكرَه فى بطن حضرموت إلى شبام ليلا . ثم أصبح ، فقاتلَهم حتى انتصف النهارُ . ثم تحاجزوا ، فلما أمسوا ، تبع عسكرَه . وأصبح الخوارج ، فلم يروا للقوم أثراً . فاتّبعوهم وقد سبقوهم إلى الحِصْن ، فأخذوا جميعَ ما فيه وَملَكوه ، ونصب ابنُ عطية عليهم المسالِح ، وقطع عنهم المادّة[2] وَالمِيرَة ، وجعل يقتل مَن يقدر عليه ويَسبي ويأخذُ الأموال .

مصرع ابن عطية

ثم ورد عليه كتابُ مروان بن محمد يأمره بالتعجّل الى مكة ، ليحُجّ بالنّاس ، فصالح أهل حضرموت على أن يردّ عليهم ما عرفوا من أموالهم . ويولى عليهم مَن يختارون ، وسالَموه[3] ، فرضى بذلك ، وسالَمَهم ، وشخَص إلى مكة متعجّلا مُخفًّا . ولما نَفَذ كتابُ مروان ندِمَ بعد ذلك بأيام ، وقال : إنا لله ! قتلتُ واللهِ ابنَ عطية ؛ هو الآن يخرج مُخفًّا مُتعجّلا ، ليلحق الحج ، فيقتُلَه الخوارجُ . فكان كما قال : تعجّل فى بضعة عشر رجلا ، فلما كان بأرض مُراد تلفّفت عليه جماعةٌ ، فمن كان من تلك الجماعة إباضيًّا عرفه ، فقال : ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه ، ومن لم يكن إباضيا ظنه من الإباضية ، وأنه منهزم ، فلما علم أنهم يريدونَه قال لهم : ويحكم ! أنا عاملُ أمير المؤمنين على الحجّ ، فلم يلتفِتوا إلى ذلك ، وقتلوه ، ونصبتِ الإباضية رأسَه ، فلما فتشوا متاعه ، وجدوا فيه الكتابَ بولايته على الحجّ ، فأخذوا من الإباضية رأسَه ، ودفنوه مع جسده .

١١٤/٢٠

قال المدائنى : خرج إليه جُمانة وسَعيد ابنا الأَخْنَس ، فى جماعةٍ من قومهما من كِندةَ ،

(١) ب : « سنام » وانظر معجم البلدان : « شبام »

(٢) لعلها «والمياه» كما فى هج .

(٣) ف : « ويسالمون فرضى بذلك وصالحهم » .

وعرفه جُمانة لمّا لقيه، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من هَمْدان، يقال له: رُمّانة. وثلاثة من مُراد، وخمسة من كِندة، وقد توجّه فى طريق مع أربعة نفرٍ من أصحابه. وتوجّه بباقيهم فى طريق آخر، فقصدوا حيث توجّه ابن عطية، ووجّهوا فى آثار أصحابه نحو أربعين رجلا منهم، فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيدٌ وجُمانة وأصحابُهما ابنَ عطية، فمطف عبد الملك على سعيد، فضربه وطعنه جُمانة، فصرعه عن فرسه، ونزل ٥ إليه سعيد، فقعد على صدره، فقال له ابنُ عطية: هل لك، يا سعيدُ فى أن تكون أكرم العرب أسيراً؟ فقال: ياعدوّ الله، أترى اللهَ كان يمهلك؟ أو تطمع فى الحياة وقد قتلتَ طالبَ الحقّ وأبا حمزة وبلْجا وأبرَهة! فقتله وقتل أصحابَه جميعاً. وبعثوا برأسه إلى حضرموت، وبلغ ابنَ أخيه — وهو بصنعاء — خبرُه. فأرسل شُعيباً البارقىّ فى الخيل. فقتل الرجاَل والصّبيان. وبقر بطونَ النساء، وأخذ الأموالَ، وأخربَ القُرى، وجعل ١٠ يتتبع البرِىَّ والنَّطِف[1]. حتى لم يَبْقَ أحدٌ من قتلة ابن عطية ولا من الإباضية إلا قتله، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمرُ إلى بنى هاشم، وقام بالأمر أبو العباس السفاح.

تم الجزء الثالث والعشرون من كتاب الأغانى ويليه الجزء الرابع والعشرون وأوله خبر عبد الله بن أبى العلاء

فهارس

الجزء الثالث والعشرين من كتاب الأغانى

فهرس التراجم

فهرس الموضوعات

فهرس الشعراء

(د)

(ر)

(س)

(ع)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس رجال السند

(ث)

(ج)

(ح)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

فهرس الجماعات والقبائل

(ت)

(ث)

(ح)

(خ)

(د)

فهرس الأماكن

فهرس القوافى

(ق)

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ــ الجزء الثانى عشر (طبعة دار الكتب) ٢٠٥ : ٧ ، ٢٠٧ : ٢٣ و ٢٦ ، ٢٠٨ : ٢٠ : ٢٠٥ : ٧

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ــ الجزء الثانى عشر (طبعة بيروت) ٢٠٥ : ٧

تجريد الأغانى لابن واصل (الدار القومية الطباعة والنشر) ١٥٤ : ١٢

خزانة الأدب للبغدادى (طبعة بولاق ١٢٩٩) ٥٦ : ٢٠ ، ١٥٥ : ٨

مختار الأغانى لابن منظور (طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة) ١٥٦ : ٢١ ، ١٦٦ : ١٩ ، ٢٠٦ : ١٨ ، ٢٠٨ : ١٩ ، ٢١٦ : ٢٦ ، ٢٢٠ : ١٧ ، ٢٢٩ : ٢١

المخصص لابن سيده (بولاق ١٣٦٠ هـ) ٢٤٦ : ٢٢

معجم البلدان لياقوت (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ) ٣٠ : ١٩ و ٢٠ و ٢٢ ، ١٤٣ : ٢٠ ، ٢٢٥ : ٢١

معجم الشعراء للمرزبانى (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٦٠ م) ٢٢٦ : ١٨ ، ٢٣٤ : ٢٠

مهذب الأغانى لمحمد الخضرى (مطبعة السعادة ١٩٢٥ م) ١١ : ١٨ و ٣٦ : ١٤ ، ١٦٨ : ١٢

التصويبات

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	
٣١	٧	يفحمه	يفجعه	(عنوان جانبی)
٥٢	٣	بيجيـي	بيحيـى	(عنوان جانبی)
٥٩	٩	شـعزا	شـعرا	(عنوان جانبی)
٩٣	عنوان راس الصفحة	اخبار عثمان	اخبار عنـان	
٩٥	١٨	الممتدة	المعتمدة	(عنوان جانبی)
١١٩	١٥	شـعراء	شـعرا	
١٤٠	٣	ابی	ابنی	
١٤٣	٢٠	خفر وسابور	خسروسابور	
١٧٠	٣	قيـل	قبـل	(عنوان جانبی)
١٨٩	١٤	دعيل	دعبـل	
٢٠٣	١	الحاقه اسفق	الحماقة انفق	
٢٣٧	١٦	القئلل	القـائل	
٢٣٩	١٢	المنديه	المدينة	
٢٤٤	٣٠	ماعز	عامر	

الاستدراكات

ا ـ حواشي ص ٢

توضع الحاشية رقم (١) على السطر رقم (١)

ب ـ حواشي ص ٩٧

توضع الحاشية رقم (١) على سـطر رقم (١٩)

ج ـ حواشي ص ١٠٦

حاشية رقم (١) توضع على سـطر رقم (١)
حاشية رقم (٢) توضع على سـطر رقم (٣)
حاشية رقم (٣) توضـع على سطر رقم (٥)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٢٠١١/١٩٩٣

I.S.B.N 977-01-3613-1





